

الترجمة الكاملة
(٥)

وطني مصر

ترجمة
زهير الشايب

تأليف
علماء الحملة الفرنسية

النظام المالي والإداري في مصر العثمانية

دار الشايب للنشر

وصف مصر
الترجمة الكاملة

وصف مصر

الحياة الاقتصادية في مصر

في القرن الثامن عشر

النظام المالي والإداري في مصر العثمانية



ترجمة
دار الشايب
General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque d'Alexandrie

تأليف
علاء أحلمة الفرنسية

دار الشايب للنشر

١٠ ش سليمان الحلبي - التوفيقية
ت: ٥٧٤١٣٧١ - ٥٧٢٦٨٣٠

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المقدمة

هذا هو المجلد الخامس من الترجمة العربية الكاملة لكتاب وصف مصر ، وهو فى الوقت نفسه الجزء الثانى مما أسميته « الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر » ، وهذا التبويب أو التصنيف الجديد لموسوعة وصف مصر هو اجتهاد خاص بالترجمة العربية أرجو أن أكون قد وفقت فيه ، مع العلم بأننى قد وجدت ذلك ضروريا للغاية ، ولأسباب عديدة ، على نحو ما أوضحت فى مقدمات المجلدات الأربعة السابقة .

ويضم المجلد الذى بين أيدينا أبوابا ثلاثة ، آثرت أن أطلق على كل منها اسم كتاب تيسيرا على القارىء من جهة ، ولكى أسهل على نفسى من جهة أخرى تقديمه فى ترتيب واضح ، وحرصا منى على عدم تداخل مدلولات الفاظ فى التبويب مستقرة ، وإن كنت أرجو ألا أكون بسعياً وراء ذلك قد فعلت فى سبيل تحقيقه ، عكس ماكنت أبغى .

أما الكتاب الأول من هذا المجلد فبضم دراسة عن نظام الضرائب على الأتيطان الزراعية التى كانت الأرض ، أو بمعنى أدق كان الفلاح ملزما بسدادها كل عام . ومؤلف هذه الدراسة هو لانكريه المولود فى عام ١٧٧٤ والمتوفى فى عام ١٨٠٧ ، وهو كما يذكر المؤرخ المصرى الكبير عبد الرحمن الرافعى فى الجزء الأول من موسوعته « تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر » من علماء الرياضيات ، ومن مهندسى القناطر والجسور ومن علماء الآثار ، وله أبحاث مستفيضة عن آثار الوجه القبلى نشرت فى وصف مصر ، كما أن له بحثا جغرافيا عن الفرع الكانوبى من فروع النيل القديمة ، وقد تولى العمل فى اللجنة المسكونة لنشر وصف مصر فى عام ١٨٠٥ .

ويضم الكتاب الثانى دراسة هامة عن موارد الخزينة المصرية وإنفاقها ، وانتغطية ذلك كله قامت الدراسة بمسح شامل للنظام الإدارى فى مصر فى العصر العثمانى ، وهذه الدراسة من وضع الكونت استيف مدير خزانة الحملة فى البداية ثم مدير الشؤون المالية لمصر فى أواخر هذه الحملة الفرنسية ، ويمكن القول بأنها وضعت على أساس ما جاء بسجلاته وأوراقه ، بمعنى أنه ليس كاتبها كما نلمس ذلك من مقدمة فوربيه انى نشرناها فى المجلد الأول فى طبعته الثانية .

ويحوى الكتاب الثالث ثلاث دراسات قصيرة عن بعض الصناعات المصرية التى اكتفى المسيو جيرار فى دراسته عن الزراعة والصناعات والحرف والتجارة فى مصر بأن يشير إليها إشارة عابرة أو بأن يقدم موجزا مركزا عنها محيلا الى الدراسات الثلاث التى نشرتها هنا ، وكنت أزمع أن أنشرها ملاحق لدراسة جيرار (وهى المجلد الرابع من الطبعة العربية) لكننى خشيت أن يزيد حجم المجلد الرابع أكثر مما ينبغى ، ولذلك فإننى أقدمها هنا مشبرا فى الوقت نفسه الى موضعها فى دراسة جيرار استكمالا للفائدة . أما هذه الدراسات الثلاث فهى : دراسة عن معامل التفريخ وهى تنقسم بدورها الى قسمين ، قسم كتبه روزير ، وهو مهندس منساجم له أبحاث مستفيضة عن أحجار مصر ومعادنها وجيولوجيتها ، كما قام برسم أحجارها وصخورها ومعادنها ، ونشر ذلك كله فى وصف مصر ، أما القسم الثانى فكتبه الكيميائى الصيدلى روييه ، ثم دراسة عن طريقة صنع ملح النوشادر، وهى من تأليف ديكونتيل، وهو كيميائى عين بعد انتهاء الحملة كبيرا لمهندسى المناجم فى فرنسا وكان عضوا بالمجمع العلمى المصرى شعبة الطبيعيات ، أما الدراسة الثالثة فهى من وضع بوديه كبير صيادلة جيش مصر ، وعضو المجمع العلمى المصرى (طبقا لما جاء بوصف مصر) والحائز على وسام الشرف .

وسوف نلاحظ القارئ بعض التكرار فى « الكتابين » الأول والثانى ولكنه تكرار تقتضيه طبيعة المعالجة لموضوع واحد ، وإن كانت وجهة كل من الدراستين مختلفة كما أن منهاجيهما يختلفان .

وببى علينا بعد ذلك لكى تكتمل ما أسميتة « موسوعة » الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر « أن أقدم دراسيين آخرين

للهما دراسة عن الموازين العربية في مصر ، ودراسة أخرى عن النقود العربية في مصر وكلناهما من تأليف صامويل برنار ، وهما معا تكوينان المجلد السادس من هذه الترجمة العربية ، وكنت أود أن ألحق بهما دراسة جيران عن المقاييس في مصر القديمة ، وهي دراسة تقع في مجلدات وصف مصر عن العصور القديمة (لمصر) ، باعتبار أن هذه المقاييس كما ذكر جيران نفسه في المجلد الرابع (من الترجمة العربية) تكاد تكون هي المقاييس نفسها التي كانت لاتزال تستخدم في مصر عند مجيء الحملة الفرنسية ، لولا أنني أخشى الا يكون الجمع بين دراسات تتناول الدولة أو الحالة الحديثة في مصر وتلك التي تتناول عصور مصر القديمة أمرا موفقا ، أو أنه قد يصيب ببعض البلبلة لدى القارئ .

ولقد واجهت صعوبات عدة في تحقيق أسماء بعض الأماكن والوظائف التي جاءت في دراسة الكونت استيف عن النظام المالي والإداري لمصر ، كما لا بد أن أشير كذلك لصعوبة تحقيق أسماء بعض القرى والقبائل ، بل وأحيانا بعض الجهات (أو أجزاء القرى أو الأحياء) وكذلك بعض أسماء الأفراد المستفيدين من المخصصات أو الصدقات أو نحو ذلك — وقد يكون ذلك أمرا جانبييا أو ثانويا لا يؤثر مطلقا في سياق الدراسة ، لكن له أهميته القصوى في نظري ، وبخاصة كما تبينت أنه قد يكون على جانب أكبر من الأهمية لبعض دارسين سيتناولون هذه الأمور نفسها ولكن في مجال مختلف ، ولذلك فقد انفتحت فيها وقتنا طويلا ومشقة أكبر وأرجو أن أكون قد استعدت كثيرا عن دوام الخطأ .

كما استهيج القارئ عذرا لأنني أدخلت بعض تعديلات وجدتها ضرورية في تنسيق الجداول السكثيرة في دراسة استيف لتصبح أكثر وضوحا — هكذا نصورت ، عند قراءتها .

وبمع أنني واحد ممن يماون التكرار إلا أنني لا أمل مطلقا من اسداء الشكر لسكل من آذروا هذا العمل وأخذوا بيده منذ كان مجرد فكرة وحتى الآن بعد أن قطع هذا الشوط وفي مقدمة هؤلاء الأخ الدكتور عبد العزيز الدسوقي رئيس تحرير مجلة الثقافة الذي لا يفتأ يقدم من اللطائف لهذا العمل ، ويؤكد صحة قولى حين اعتبره — ومجلة الثقافة —

شريكين حقيقيين فى انجاز هذا العمل ، ولا بد كذلك ان اوجه شكرى لكل الاقلام الجادة والمسئولة التى رحبت بالعمل ، وفى احيان كثيرة دون صلة شخصية تربطنى بهم من أى نوع ، وهو الأمر الذى شرفنى بحق وزاد من إيمسانى وثقتى بأن كل الأعلام وكل النفوس الشريفة - ايا كانت مشاربها - تنبض بحب مصر ، التى لا اجد سواها وسوى إخوتى فى الوطن ، المصريين ، لاتوجه بعملى هذا .

ولا بد من توجيه شكر خاص للمؤرخ الكبير الدكتور عبد الرحمن زكى ، وللأخ الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، وللاستاذ رينيه خورى ، وللسيدة زوجتى التى ساندتنى بكل ماتستطيع ، فى الظروف العصيبة التى كدت ان أفصل فيها من عملى بسبب إصرارى على إتمام ترجمة هذا السفر الكبير .

كما لا بد لى ان اظل اذكر بالخير كل من عاون بالنصح أو التوجيه أو الإرشاد أو حتى بكلمة طيبة ، وكل من عاون فى إخراج هذا العمل إلى حيز الوجود بدءاً ممن اتاحوا لى فرصة الحصول على الأصل الفرنسى إلى عمال الطباعة إلى مكتبة الخانجى التى أسهمت فى الإنفاق على هذا العمل الى الموزع الذى اتاح وصول هذا العمل إلى يد القارىء الكريم . كما لا بد ان اوجه شكراً خاصاً للجنة التفرغ بوزارة الثقافة التى تحملت مشكورة عبء تفرغى لاتمام هذا العمل الكبير ، ولا بد من توجيهه شكر واجب للجنة المختصة فى المجلس الأعلى للفنون والآداب التى قررت منحى جائزة الدولة التشجيعية عن ترجمة المجلدات الأربعة السابقة وأوصت مشكورة وبعبارات طيبة للغاية بضرورة تشجيع هذا الجهد .

والله سبحانه وتعالى أسأل التوفيق والعون والسداد .

زهير الشايب

القاهرة ، سبتمبر ١٩٧٩

فهرس

صفحة

| | |
|---------------------------------------------------------|----|
| المقدمة | |
| الكتاب الأول : | |
| الريف المصرى فى عصر المماليك العثمانيين تأليف لانكويه ٩ | ٤٨ |
| ١ - الوسائل المختلفة التى تملك بها الأرض | ١٤ |
| ٢ - ادارة الأراضى | ٢١ |
| ٣ - بعض العادات الخاصة بصعيد مصر | ٢٩ |
| ٤ - عن مال الكشوفية أو ضريبة الكاشف | ٣٣ |
| ٥ - عن الميرى وعن الأفندية | ٣٨ |

الكتاب الثانى :

| | |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------|
| النظام المالى والادارى فى مصر العثمانية تأليف استيف ٤٩ | ٢٦٢ |
| مقدمة : عن الحكومة - عن الملكية | ٥١ - ٦٠ |
| الباب الأول : الضرائب العامة | ٦١ - ٢١٠ |
| الفصل الأول : الضرائب على الأراضى ، أولا : عن المال الحر ، ثانيا : إدارة القرى ، ثالثا : جباية الضرائب ، رابعا : عن مصر العليا ، خامسا : عن | |
| الأوقاف | ٦١ - ١١٣ |
| الفصل الثانى : الضرائب على الوظائف | ١١٤ - ١٢٢ |
| الفصل الثالث : الضرائب العامة على الصناعة والتجارة ، أولا : الجمارك ، ثانيا : رسوم متفرقة | ١٢٢ - ٢٠٧ |
| الفصل الرابع : الضرائب على الأشخاص | ٢٠٧ - ٢١٠ |
| الفصل الخامس : موجز دخول السلطان | ٢١٠ - ٢١٣ |

| صفحة | |
|---------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٢٥٥-٢١٤ | الباب الثاني : الإنفاقات الصامة الفصل الأول : إنفاقات تقع على عاتق السلطان ، أولا: رواتب قررها السلطان لمتفرقين ، ثانيا: مصروفات الجيش ، ثالثا : مصروفات عامة ، رابعا : المعاشات والمرتبات ، خامسا : الأعمال و المنشآت الخيرية ، |
| ٢٤٦-٢١٤ | سادسا : محتل مكة الفصل الثاني : الإنفاقات التي تقع على عاتق أصحاب المناصب أولا : الإنفاقات التي تقع على عاتق الباشا ، ثانيا : الإنفاقات التي تقع على عاتق حكام |
| ٢٥٢-٢٤٧ | الأقاليم الفصل الثالث : موجز الإنفاقات التي تقع على عاتق |
| ٢٥٥-٢٥٢ | السلطان |
| ٢٦١-٢٥٦ | الباب الثالث : محصلة موارد وانفاقات السلطان . |

الكتاب الثالث :

| | |
|---------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٢٨٨-٢٦٥ | الدراسة الأولى : معامل التفريخ تأليف : روزير ورويه الدراسة الثانية : صناعة ملح النوشادر تأليف : كولليه |
| ٣١٢-٢٨٩ | ديكوتيل |
| ٣٢٦-٣١٣ | الدراسة الثالثة : صناعة دبع الجلود ، تأليف : بوديه |

الكتاب الأول

الريف المصري في عصر المماليك العثمانيين

تأليف : لانكريد

العنوان الأصلي للدراسة :

« دراسة في نظام الضرائب على الأتليان ، وفي الإدارة الإقليمية في مصر ، في السنوات الأخيرة من حكم المماليك »

تشكل حكومة المماليك (١) فى التاريخ المصرى فصلا شاذا لدرجة يبدو معها أن من المفيد أن نجمع كل ملامحه وأن نحفظها بعناية فى ذاكرتنا ، كما يحتفظ علماء الطبيعة من بين كل معطيات الطبيعة الجميلة بفرائب المخلوقات وشواذها .

وليس ثمة واحد من الرحالة الذين سبقونا قد أولى عنايته بدراسة نظام الملكية والادارة فى الريف ، ومع ذلك فان هذه الأمور التى كان من العسير عليهم أن يدرسوها ابان زياراتهم للبلاد ، تشكل فى كل الدول جزءا أساسيا من نظام الحكم ، يستحق الدراسة .

ولقد كان الجنرال كافاريللى قد جمع حول هذا الموضوع عددا كبيرا من المعلومات ، فلقد كان يجب هذا النوع من الاهتمامات ، ولم يكن ثمة من يستطيع أكثر منه الإلمام بسهولة بتفاصيل التشريع ، وبالخيطة الذى يربط بينها جميعا ، لكنه رحل عنا واختفت معه معظم المعلومات التى جمعها ، وكم تجعلنا الملاحظات التى أمكننا العثور عليها فى أوراقه والتى تمس هذا الموضوع نشعر بالأسف لأنه لم يتم عمله . اننى أبعد ما أكون عن القدرة على أن أحل محله ، لكننى سوف أحاول على الأقل أن أقدم بعض المعلومات المفيدة لمن يرغبون أن يأخذوا على عاتقهم مثل هذه الدراسات .

وقبل الدخول فى الموضوع ، سوف أقدم بعض الأفكار العامة عن صعوبة الرجوع الى أصل غالبية العادات السائدة فى مصر .

ليس ثمة سوى قليل من البلدان التى خضعت على الدوام لحكم الغير يمكن القول بأنها قد خضعت لهذا العدد من السادة الأجانب الذى خضعت له مصر ، وفى مقابل ذلك فليس ثمة بلد استطاع بفضل سيطرة طباعه وتقاليده أن يسجل مثل هذه الانتصارات الكثيرة على غزاته وأن يقوم

(١) قرىء هذا البحث فى المعهد العلمى المصرى فى الأول من فرمير من العام التاسع (٢٢ نوفمبر ١٨٠٠) .

وبالإضافة لذلك ، فإنها هي نفس المادة التي يوجد بها في أوراقها راسخة ذلك أقل غموضا ، وذلك على عكس النسخة التي كانت تسمى بالوثائق ، أن يدقن دلائلهم ويدعون أن قد عثر على أوراقهم التي عثر عليها في حرقهم (١) ، ومن جهة أخرى ، فإننا نعرف أن هذه الوثائق قد عثر عليها عند العبريين ، الذين يسمون عاداتهم بحرقها ، والدليل على الحسنة الشديدة .

وأخيرا فإن الرقيم الموجود في كهوف بابل (Babylon) ، ذلك الموجودة في كهوف طيبة في مائة ندرات ذلك النسخة التي يقوم بها بعض الأنبياء والأدوات وبعض فقهاء القضاة في مصر القديمة ، وبيتها عند شعوب مصر الحديثة : كما رأينا ، والكتابة التي عثر عليها في قواع دن الحليين الأحمر وحداثة ذي التوائم الأربعة ، وقد عثر عليها في اليوم بتفصيل الشكل الذي كان عليه وقت رجوعه طيبة بل وما كان عليه في اليوم الذي كان عليه .

وتبدو هذه التماثلات التي ذكرنا أن تكون أنماطها ذات صلة كي نجعلني اعتقد أن أصلهم من الأحداث والقيام بالحياة تعود إلى عصور بالغة القدم ولربما ما سوف نبقى من تلك العادات والقيام التي مستقبل غير مرئي .

ومع ذلك فإنه قد عثر على أوراقهم في مصر (أي في تسمات في صنع أصل) (٢) هذه النظم والادوات ، وبما هي من الأساطير مسلمات الأول . وفي الواقع فإنه لا بد أن التمسك من تلك النظم التي حاول العثمون أن يقوموا بها حول أصلها من النظم في مصر القديمة ، بل في مصر على وجه التقريب لا بد من عدم الأساطير والادوات التي عثر عليها في الحاديث العامة كل القوانين التي يعمل بها حاليا في مصر ، ذلك فقد أوضح لنا الأستاذ فوربيه Mourier أن أصلها يعود إلى هذه القوانين بل أنه لم يكن مستطبع أن يفعل ذلك ، كما أثبت أن بل الأثلية التي يعتقد أنها من وضع سليمان ليست إلا من وضع خلفه سليمان الأول والباشموات الذين حكموا مصر نيابة عنه ، كما فسر السحب الذي تقوم عليه الحاديث العامة حين بين أن سليمان كان يتصرف على الأوامر باسم والده سليمان

(١) رأيت ومعى كثيرون من أعضاء لجنة العلوم والفنون هذه الأشهاد في الأقصر .
 (٢) الكاب حاليا .

وهو الرجل الذى حفرت انتصاراته الكبيرة ذكريات عميقة فى عقل الشعب
المصرى .

ولقد قدم لنا المسيو فوربيه — بينما هو يواصل قراءته عن الثورات
التي قامت بها مصر وعن تقاليد مختلف طبقات سكانها — كل ما أمكنه جمعه،
ماسا بنظام إدارة الأراضى التي تعود فى معظم تفاصيلها الى مثابرة
الأقباط . كما قدم لنا المسيو فوربيه لمحة عامة عن ظروف الفلاحين وعن
نظام الملكية (*).

إن الغاية التي الضعها على عاتقى هنا هي أن آخذ هذا الجزء من اللوحة
التي رسمها وأن أنميها بكل العناية التي تقتضيها ، وبذلك أصل الى عرض
لنظام إدارة الأرض الزراعية .

وسوف لا أعتبر المالك في البداية إلا كمجرد ملاك للأرض، وسوف
نرى بعد ذلك مقدار الضرائب التي كانوا يحصلونها كحكام (١) .

١ — الوسائل المختلفة التي تملك بها الأرض أنواع الملكية : الضرائب الرئيسية

يوجد فى مصر ثلاث طبقات من ملاك الأراضى الزراعية : الفلاحون
(فلاح) ، الملتزمون (ملتزم) أو السادة ، وأخيرا المساجد أو ملاك الأراضى
الموقوفة .

أن معظم الفلاحين فى أية قرية هم ملاك أراضىها ، أى ملاكها
الحقيقيون، بمعنى أنهم يستطيعون أن يهبوها أو يبيعوها الى فلاحين آخرين (٢)

(*) انظر مقدمة المسيو فوربيه سكرتير المجمع العلمى المصرى
للوحات وصف مصر التي نشرت مقدمة للطبعة الثانية من المؤلف الضخم
والتي نشرناها نحن ملحقه بالمجلد الأول من الترجمة العربية فى طبعته
الثانية تحت عنوان مصر والحملة الفرنسية . (المترجم)
(١) ينبغى أن أوضح اننى سأفترض فيما يلى أن مختلف القوانين
والعادات ما تزال سارية بأكملها، ذلك لأن هدفى هو أن أبين حالة الأمور كما
كانت قبل مجيء الفرنسيين الى مصر .
(٢) نادرا ما يبيع الفلاحون أرضهم لأن الأراضى عادة بخسة القيمة ،
وإذا ما أصبح فلاح ما حائزا على وسائل الزراعة فإنه يحصل على الأرض
دون شرائها . وفى نفس الوقت فإنه من المؤكد أن الفلاحين كان حق بيعها،
ولن نعدم أمثلة على ذلك .

ومهم ما كانت التغييرات التي تصيبها ، تبقى على الدوام مقيّدة بضريبة ، ويحمل الشخص الذي تؤدي إليه هذه الضريبة اسم : ملتزم أو سيد . وهو في الواقع سيد هذه الأراضى اذ هو يستطيع أن يزيد أو ينقص من قدر الضريبة التي يحصلها من هذه الأراضى (١) ، كما انه يستطيع أن يعطيها أو يبيعها للتمزم آخر ، كما أن هذه الأرض تصبح من بعده ملكا لأبنائه ، ثم انه في النهاية يضمها الى ملكه الخاص اذا مات الفلاح المالك دون وريث ، وهو الأمر الذي لا يحدث بخصوص أنواع الملكيات الأخرى التي يمتلكها الفلاح حيث إن منزل الفلاح وأثاثه وقطعانه تؤهل في حالة موته الى بيت المال وليس إلى الملتزم .

وعندما يموت الملتزم ، ينبغي على اولاده ، حتى يحصلوا على حق ارث أملاكه ، أن يحوزوا موافقة الباشا ، وكانوا يحصلون على هذه الموافقة بأن يدفعوا له ضريبة محددة ، كان الاتراك ينظرون اليها — أى الى هذه الضريبة — باعتبارها شكلا من اعادة الشراء للأرض وبدون ذلك تعود الأرض لتصبح من حق بيت المال . واذا مات مالك دون أن يخلف أبناء أو يكتب وصية فان ممتلكاته تؤهل الى بيت المال ، ولكن اذا ما كتبت وصية فان تنفيذها يقع على عاتق من كتبت لصالحهم ايا كانوا ، وبذا يكون عليهم أن يدفعوا الضريبة الى الباشا .

ولست أود هنا وأنا اتحدث بشأن المواريث أن أحاول التعريف بها لايضاح كيفية اكتساب الناس حق ملكيتها ، فسوف تواتينا الفرصة للمودة الى هذا الموضوع نفسه عند الحديث عن وظائف الأفتدية (أفندى) .

وعندما يجد فلاح ما نفسه عاجزا لحد لا يستطيع معه أن يزرع كل أراضيه فإنه يقوم برهن جزء منها نظير مبلغ معين يستغله في زراعة الجزء من الأرض الذي احتفظ به ، وعندما يستطيع أن يرد المبلغ الذي حصل عليه فان الرهن يتوقف وتعود الأرض التي رهنها الى حوزته : ويسمى هذا النوع من الرهن : الغروقة .

ولا يستطيع الملتزم أن ينزع من الفلاح الأرض التي يزرعها مادام —

(١) ربما لم تكن هذه الزيادات سوى انتهابات ، لكن هذه الانتهابات ظلت تمارس لوقت طويل لدرجة أن حق فرضها لم يعد يلقي مجرد الممانعة أو الاستنكار .

على الأقل — لم يلمس أن الفلاح غير قادر على زراعتها — فى الحالة المخالفة — وما دام الفلاح ننيجة لذلك يقوم بدفع الضرائب المقررة ، لكن الفلاح يحتفظ بحق العودة الى ارضه اذا ما تملك الوسائل التى تمكنه من سداد ما عليه من ديون متأخرة الى الملتزم (١) ، وبمعنى آخر فان الفلاحين يتمتعون بكل الحرية فى اختيار نوع المحاصيل التى يريدون أن يزرعوها فى أراضيهم فهم يستطيعون أن يذروها بالقمح او الأرز او الذرة حسبما يتراءى لهم بشرط أن يدفعوا الضريبة للملتزم وليس للاخير أن يرغمهم على شىء .

والضريبة التى ينبغى على الفلاح أن يدفعها عن ارضه للملتزم هى ما يطلق عليه اسم المال الحر ، وهى على الدوام أكبر من ضريبة المال الميرى ، وتسد من ضريبة المال الحر هذه الضريبة المقررة للسلطان (الميرى) وما يتبقى بعد تسديد هذا الميرى يكون من حق الملتزم ويحمل اسم الفايض (الفايظ) .

وقد تقرررت ضريبة الميرى على يد السلطان سليم او بالأحرى على يد خليفته حسب الملاحظة التى سبق أن قدمناها . ويبدو أن الأتراك بعد غزوهم لمصر قد وجدوا — عندما أرادوا أن يفرضوا ضريبة على الأراضى لصالح سلاطين القسطنطينية — أن سجلات الضرائب كانت قد أحرقت ، واستوجب الأمر عندئذ أن يلجئوا الى المعلومات التى كانت لدى أوجاق الجاويشية حول هذا الموضوع، وتبعاً لذلك فقد قرروا الميرى لابس بحسب فدان الأرض ولكن بالنسبة للقرية وحدة واحدة، ثم اقتسم الملتزمون فيما بينهم هذه المهمة بحسب مساحة ممتلكاتهم . وهذا التقسيم المبدئى للميرى بحسب القرى هو الذى استمر العمل به حتى اليوم . وقد كان الأمر بالغ الحيف حتى أن نسبة من المال الحر تبلغ ٥ مدينى كان يخصص منها من للميرى ما يتراوح فقط بين ٢ الى ٢٠ مدينى .

وقد قرر سليمان — كذلك — فى بلاد الصعيد نظام دفع الميرى عينا أى بمواد غذائية حتى يتسنى تأمين طعام جنود فرق الأوجاقلو ، التى أعاد تنظيمها . وما تزال لدى بعض التفاصيل حول جمع واستخدام الميرى سوف عرضها عليكم عندما يحين وقت الحديث عن الإدارة المختصة بانفساق الميرى .

(١) يتوقف هذا كثيرا على ارادة الملتزم الخاصة .

ولقد استقر نظام المال الحر حسب عادة قديمة من عادات البلاد
والتي أتاح لها السلاطين العثمانيون أن تستمر بعد أن أقروها بدورهم .
ويبدو للوهلة الأولى أن هذه الضريبة كانت الضريبة الوحيدة التي كان يحق
للملتزمين تحصيلها بشكل قانوني ، لكنهم بعد ذلك وبالتدريج أخذوا يرغمون
الفلاحين تحت ادعاءات مختلفة على زيادة نسبة هذه الضريبة ثم فرضوا
عليهم ضريبتين جديدتين : الأولى ، ويبدو أنها لم تقرر إلا منذ حوالي مائة
عام وتسمى المضاف ، والثانية ، وهي لم تكن في البداية إلا نوعاً من الهدايا
التي كان يقدمها الفلاحون إلى الملتزم ، لكنها نأكدت بالتدريج وزادت حتى
أصبحت في بعض الجهات تدر أكبر مما يدره الفايض (الفايظ) ، ولكنها لم
تتقرر بشكل منتظم إلا منذ حوالي خمسين عاماً وكانت تعرف باسم : البراني ،
أي الضريبة غير الاعتيادية .

وفي النهاية ، فإن هاتين الضريبتين — حيث إنهما يعودان لنفس
الأصل — كانتا تختلطان عادة بحيث أصبحتا ضريبة واحدة تحمل تبعاً لاختلاف
البلاد ولكن بدون اختلاف في المعنى — اسم : المضاف أو البراني .

وقد استقرت هاتان الضريبتان على وجه الخصوص في
عهد علي بك . إذ استولى هذا المملوك — بعد أن قضى قضاء شبيه تام على
فرقة الأوجاقلو ، والتي كان معظم أفرادها من كبار الملاك — استولى على
القرى التي كانوا يمتلكونها ووزعها على أتباعه ، وزاد كثيراً من أعباء الفلاح
وسار على نهجه في ذلك كل الملتزمين الذين كانوا يدينون له ببعض الديون
وذلك بأن فرضوا ضرائب جديدة وجائرة . وبعد عهده هذا ، جاء نظام محمد
بك ، وبخاصة في عهد إبراهيم بك ، ليتيح زيادات جديدة في دخول
الملتزمين ، ومع ذلك فقد بقي نفر قليل للغاية من هؤلاء الملتزمين ، من أولئك
الذين كانوا يرون أن هذه الضرائب الجديدة ظالمة أو أولئك
الذين لم يكن بمقدورهم تحصيلها — يكتفون بتحصيل المال الحر . وبهذا ،
ومع استبعاد هذه الاستثناءات — وصل جشع الملتزمين ، وبخاصة الممالك
منهم ، إلى مداه .

انتهيت الآن من شرح الطريقة التي كان الفلاحون يملكون بها الأرض
وكيف كانت ملكيتها تقسم بينهم وبين الملتزمين ، وسأتحدث الآن عن جزء آخر
من الملكية كان في حوزة هؤلاء الملتزمين ، وهو يشمل على الأراضي التي تتبعهم
كلية والتي لم تكن تدفع من ضرائب الاضريبة الميري . وهذه الأراضي التي
(وصف مصر — م ٢)

كانت تعتبر ملكية خاصة للملتزمين كانت تسمى أرض الوسية أو أرض الملاك . ولم يكن هذا النوع من الملكية موجودا في الصعيد بعد النيا ، ولكن يمكن القول عامة أن أراضي الوسية في مصر السفلى ، كانت تبلغ حوالى ١/١٠ من أراضي الفلاحين (*) .

وقد حاول الأتراك دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الرجوع الى أصل نظام الملكية تفسير ذلك بأيسر السبل ، فظن الكثيرون أن الملتزمين هم مجرد فلاحين عند المالك الأكبر (السلطان) ، وأن ايجار الأرض هو ما يدفع تحت اسم الميرى وأن فائدة هؤلاء الملتزمين تتكون من : ١ — الفايز ٢ — اجمالى دخل أراضي الوسية . وعلى هذا النحو كذلك فسروا ضرورة قيام الملتزمين بدفع ضريبة الارث الى المالك الكبير (الوالى — السلطان) . لكن هذا التفسير ليس صحيحا . واليك ما يمكن أن نستنتجه من فحص السجلات القبطية وما يعرفه كذلك الشيوخ المتعلمون وهو ما سوف نقدمه كملخص لكل ما قلته للتو .

تقدر الضريبة المسماة : المال الحر على مجموع أراضي القرية . ويحوز الفلاحون جزءا من هذه الاراضى يسددون عنه للملتزم المال الحر . أما الجزء الثانى فيزرعه الملتزم بنفسه أو يؤجره ويعود اليه كل ناتج هذا الجزء . ومن المال الناتج عن هذين الجزئين يدفع الملتزم الميرى المقرر على قريته من قبل الحاكم ، أما البرانى فهو ضريبة مستحدثة أضافها الملتزمون .

نتحدث الآن عن النوع الثالث من الملاك، وهم كما سبق أن بينت ملاك الأوقاف وملكيات المساجد .

كل ملكيات المساجد قد وهبت اليها في فترات مختلفة ، وقد تمت معظم هذه الهبات قبل مجيء سليم بوقت طويل ، بل ومنذ الأوقات الأولى لاستقرار الاسلام في مصر . وعندما تقررت ضريبة الميرى لم تخضع ملكيات المساجد

(*) يذكر الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن في كتاب الريف المصرى فى القرن الثامن عشر أن هذه النسبة لم تكن ثابتة كما انها كانت أكبر من ذلك عادة فكانت تبلغ النصف أو الثلث أو الربع وأحيانا كانت تتجاوز النصف كما حدث في قرية ميت بشار . (المترجم)

لهذه الضريبة مطلقا ، وظلت حرة تماما من أية ضريبة كما كانت من قبل وكما ظلت حتى اليوم .

وتحمل المخصصات الدينية بالغلة العربية عادة اسم الأوقاف، ومعناه ما ينبغى أن يترك وما ينبغى أن يظل هكذا الى الأبد . ولعطاءات الأراضى اسم خاص هو الرزقة أو الاحسان ، لكن هذا العطاء لا يمكن أن يتم قبل الحصول على موافقة الباشا، وهى موافقة قلما كانت ترفض ، لأن هذه العطاءات ، وكل الأوقاف على وجه العموم ، كانت لها على الدوام أغراض دينية أو خيرية ، كما كان بعضها يخصص لصالح المدينتين المقدستين (مكة والمدينة) ، أو للمستشفيات والمدارس . . الخ. كما كان يخصص بعضها لصالح بعض العبيد أو لبعض العائلات وأحيانا لعائلة مؤسس الوقف نفسه .

وقد بدأ تأسيس هذا النوع الأخير من الأوقاف لיתفادى الناس على وجه الخصوص اغتصاب المالك ، فعندما كان يريد مالك ما أن يؤمن لخلفه جزءا من ثروته ، فقد كان يجعل منها وقفا لصالحهم ، وبهذه الطريقة كان خلفاؤه يحصلون على فائدة أخرى وهى اعفائهم من دفع ضريبة الوراثة للمالك الكبير ، ولهذا السبب فنحن ندهش من أن كثيرا من الملاك لم يجعلوا من ممتلكاتهم أوقافا . ومع ذلك فقد كان ثمة ما يمنعهم من ذلك وهو أن الأوقاف ليست قابلة للبيع والشراء ، فهم بوقفها ينزعون عن أنفسهم ، وكذلك عن خلفهم ، الى الأبد، حق بيع هذه الثروات حتى فى حالة ما اذا احتاجوا لذلك، ومن جهة أخرى فمن المحتمل أن الحكومة — عندما سمحت بإنشاء بعض الأوقاف — لم تشأ أن تحول كل الملكيات على هذا النحو ، لذا فقد كان على المتزمين عندما كانوا يريدون انشاء مثل هذا النوع من العطاءات ، وحتى يحصلوا على موافقة المختصين أن يخصصوا جزءا من هذه العطاءات لمنشآت دينية على أن يؤول ما يتبقى من هذا العطاء الى المنشآت الدينية كذلك فى حالة انقراض ذريتهم .

وفى العادة ، عندما كان ينشئ ملتزم ما رزقه ، فإنه كان يأخذ الأراضى التى خصصها لذلك من أراضى الوسية ونادرا ما كان يأخذها من أراضى الفلاحين الذين يدفعون له الضريبة ، ومع ذلك ، فقد كان فى كلتا الحالتين يتنازل عن كل الضرائب التى كان يحصلها منها بل وكان يعفيها أيضا من ضريبة الميرى وذلك بأن يتكفل هو بأن يسدد ما عليها من ضريبة من بقية دخله . وعلى الرغم من ذلك — وهذا فى الحقيقة أمر نادر الحدوث — فإنه

إذا ما قام أحد الملتزمين بايقاف جزء كبير من ممتلكاته على مسجد ما أو وقف عليه قرية بأكملها فإن المسجد فى هذه الحالة يصبح ملزماً ويكون مكلفاً بدفع الميرى المفروض على أراضى هذه القرية ، وتلك هى الحالة الوحيدة التى تكون فيها الأراضى المملوكة للمساجد خاضعة لهذه الضريبة المستحقة للمالك الكبير ، اذن فبمكنا أن نقول على وجه العموم أن الممتلكات العقارية الخاصة بالمساجد و المنشآت الدينية الأخرى كانت معفاة من كل أنواع الضرائب ، وكان كثير من ملاك هذه المنشآت حتى حصلوا على حماية الباشا فى عملية جمع دخولهم يدفعون له ضريبة صغيرة تسمى : مال حماية .

وكما قلت فانه لا المساجد ولا ملاك الأوقاف الآخرون كان لهم حق بيع هذه الأراضى ، لكنهم كانوا يستطيعون أن يهيئوا لها نوعاً من التنازل يسمى : المدة الطويلة — وكانت هذه المدة تستمر فى العادة تسعين سنة . وكان هؤلاء الملاك يحصلون من هذا البيع المؤقت على مبالغ معين يدفع دفعة واحدة ثم على ايجار سنوى يسمى : أجر وهو يستخدم على نحو ما كحفظ لحق الملكية فى هذه الأراضى أو العقارات . وإذا ما حدث بعد مضى هذه التسعين عاماً أن ظلت الأراضى أو المنازل التى بيعت بهذه الطريقة على نفس الحالة التى كانت عليها من قبل فانه يكون من حق المالك أن يستعيدها . أما إذا كانت الأرض قد زرعت بالأشجار ، أو إذا كانت قد أدخلت تحسينات على المنزل ، فإن العقار يظل فى حوزة الشخص الذى أدخل هذه التحسينات بشرط أن يظل يدفع على الدوام الإيجار السنوى الى المالك الأسمى، وإذا ما نشأت منازعات بين الطرفين فإن القاضى يقوم بالفصل فيها .

ولم تكن المساجد تستغل عائد مثل هذا البيع الا لى تشتري عقارات أخرى ، كما أن هذا التحويل لم يكن يسمح به الا للممتلكات التى تكون فى حالة سيئة . ومع ذلك فيمكن لنا أن نستنتج أن كثيراً من ملاك الأوقاف كانوا يبيعون فى معظم الأحيان بهذه الطريقة عقارات ذات قيمة عالية ، ولا يمكن تصور ذلك الا على أنه وسيلة للافلات من القانون، حيث إن مثل هذا البيع لم يصبح أمراً معتاداً الا بالنسبة للأوقاف التى لم تكن بحكم اسمها ونظامها لبسوح بالتصرف فيها .

كان لكل وقف ناظر أو مدير ، وهو فى العادة واحد من نسل مؤسس الوقف ، وكان هذا الناظر يقوم عادة بجمع ريع الوقف ويقوم كذلك بتوزيعه حسب ارادة مؤسسه كما سجلها فى حجة الوقف .

وكانت كل الرزق تسجل بمعرفة أفندى مكلف خصيصا بهذا الأمر ولم يكن هذا الأفندى عضواً في هيئة أفندية الميرى الذين سأتناولهم بالحديث فيما بعد . ولكن قبل أن أنتقل الى فقرة أخرى سأتوقف قليلا كي أقدم ملاحظة تبدو لي ذات فائدة جمة .

نستطيع أن نستنتج أن مختلف الملاك ، في ظل نظام قمع كهذا الذى كان موجودا في مصر منذ وقت طويل لم يكونوا ليستشاروا في وضع الضرائب — برغم أن كل واحد منهم كان سيدياً في دائرته — بحيث تكون الضرائب منمائلة والعادات (١٠) موحدة في كل أنحاء الدولة . لذا فقد كانت هناك اختلافات كثيرة بهذا الخصوص من منطقة لأخرى . ومع ذلك فقد كانت معظم العادات الخاصة بكل قرية مدونة في سجلات بالغة القدم يسبرون حسب ما جاء بها أو يبتعدون عنها قليلا أو كثيرا بحسب الظروف .

ومن بين معظم المعلومات التى جمعتها ، اخترت أكثرها عمومية وهى التى تشكل نظام الملكية والضرائب ، وسوف أوصل على هذا النحو فى كل ما سيلي ذلك دون أن أهمل الأمور الخارجة عن المألوف اذا ما كانت هامة ويعمل بها فى أماكن كثيرة ، وحيث إن الكثير من هذه الأمور غير المسألوفة كان يعمل بها فى صعيد مصر فسوف أخصص لها فقرة خاصة .

٢ — إدارة الأراضى

كانت أراضى الفلاحين وكذلك أراضى الوسية فى كل قرية مقسمة كل منها الى ٢٤ جزءا . وكانت هذه الـ ٢٤ جزءا تعود الى ملتزم واحد أو الى عدة ملتزمين . وكان يبلغ نصيب قرية فى بعض الأحيان عشرين ملتزما . ويتملك الملتزم على الدوام من قراريط وأجزاء من قيراط من أراضى الوسية بقدر عدد القراريط أو أجزاء القيراط التى يمتلكها من أراضى الفلاحين . وقد استقرت هذه العادة لحد أن الملتزم لم يكن يستطيع مطلقا أن يبيع جزءا من أراضى الفلاحين دون أن يبيع جزءا مساويا من القراريط من أرض الوسية .

ومن السهل أن نعثر على سبب هذه العادة وأن ندرك كيف كانت هذه

(١٠) نوع من الأتاوات وكان يحصلها الملتزمون وفئات أخرى من رجال السلطة كما سيتضح فيما بعد .
المترجم

المسادة مفيدة لكل من الفلاحين والملتزمين على حد سواء . واليكم كيف
امكنى استنتاج ذلك .

حيث إن عائد اراضي الوسية هو نسبيا الأهم والأكبر بالنسبة للملتزم
بينما زراعتها تشكل عبئا باهظا على الفلاحين فى بعض الأحيان حيث هم فى
بعض المناطق يرغمون على زراعتها بطريق السخره . وحيث إن اراضى
الفلاحين فى مقابل ذلك هى الأكثر نفعا لهؤلاء ، فنحن من هنا نستطيع أن
نرى كيف يهتم الملتزمون أن يملكوا بقدر الامكان ما يستطيعون من اراضى
الوسية ، وكيف يهتم الفلاحون فى نفس الوقت وبنفس القدر الأ يدعوا
الملتزمين يملكون الا اقل ما يستطيعون من هذه الأراضى . وهكذا ينشأ
توازن يحفظ حقوق الطرفين . لكن هذا التوازن سوف يزول اذا لم يرغب
الملتزمون انفسهم فى الاحتفاظ بهذا الحق فى العقود التى يبرمونها فيما
بينهم . وفى واقع الأمر ، فاذا كان البائع لا يريد أن يبيع سوى اراضى
الفلاحين ، فان المشتري فى المقابل لا يريد أن يشتري الا اراضى الوسية .
ومن اختلاف المصالح هذا ينتج بالطبع الحل الوسط وهو الذى يقضى بأن
يلحق دائما بعدد معين من قراريط ارض الوسية عددا مساويا من قراريط
ارض الفلاحين .

من هذا الشرح نستطيع أن نرى أن الملتزم لا ينبغي أن يملك اراضى
الوسية فقط . ولسنا نعدم أمثلة لتأكيد ذلك وان كنا نجد من جهة أخرى أن
اراضى بعض القرى لا تشتمل على اراضى وسية .

أعود الآن الى ادارة الاراضى وسوف أتحدث على التوالى عن اراضى
الفلاحين ، وارضى الوسية ، وارضى المساجد .

يختار كل ملتزم من بين الفلاحين الذين يملكون الاراضى التى يدفع
عنها حصته فى الضرائب ، مزارعا رئيسيا ليصبح رئيسا للآخرين ويحمل
اسم شيخ البلد . ويحدث أيضا أن تكون ممتلكات الملتزم فى قرية واحدة
بالغة الاتساع ، وعندئذ يقوم هو بتقسيمها حسبما يترأى له الى أجزاء عديدة
ويعطى رياستها لعدد مساو من المشايخ المختلفين ، مما يؤدى إلى أن يوجد فى
بعض القرى-سواء كانت اراضيتها تتبع ملتزما واحدا او عدة ملتزمين-عدد
كبير من مشايخ البلد يبلغ فى العادة من ٨-١٠ مشايخ ، وليس من النادر
أن نرى هذا العدد يرتفع ليصل الى ما فوق العشرين .

ويمارس شيخ البلد مهمة الادارة (البوليس) على الفلاحين الذين

يزرعون جزء الاراضى الذى ينترفون عليه ، ومنه وحده يطلب الملتزم عائد الضريبة حيث قد ترك له مهمة جمعها من ايدى الفلاحين . ونتيجة لذلك فللشيخ الحق فى أن يأمر بضربهم بالعصى أو بحبسهم فى منزل أرض الوسيعة (١) حتى يسددوا ما عليهم من ضرائب ، ومن جهة أخرى فان الشيوخ بدورهم أكثر حرصا على ألا يهملوا أية وسيلة تؤدى بالفلاحين أن يدفعوا ما عليهم، ذلك أن الملتزم سوف يوقع جزاءه عليهم اذا ما أحس منهم بأى تراخ فى تحصيل الضرائب .

وعندما يموت أحد مشايخ البلد فان الملتزم يختار عادة خلفا له واحدا من أبنائه يخلع عليه « ثال وبنيش » ، ويقدم له الشيخ الجديد بدوره كى يشكره هدبه تسمى : تقدمه، وهى عبارة عن حبوب ونقود فضية بل وتقدم أحيانا فى شكل حصان ، وزيادة على ذلك فئمة قرى يلزم مشايخها بأن يعطوا للملتزمين عددا معيناً من البوطاقات (٢) ، وفى قرى أخرى لا تقدم مثل هذه العطاءات الا مرة كل ثلاثة أو أربعة أعوام ، وفى بعض القسرى لا تسرى مثل هذه العادة .

وبخلاف ذلك فلكل من المشايخ وكبار الملتزمين- مثل البكوات وكبار المماليك- مباشر أو وكيل يختارونه كما يتراءى لهم من بين الأقباط ، وكانت وظيفة المباشر الأساسية أن يشرف على الصرافين فى دائرته وأن يمسك بدفاتر لتسجيل الدخول بمجرد تسديدها وكانت تودع لديه سجلات المسيرى وواحد من كل من سجلات المال الحر^(٣) والبرانى الخاصة بكل قرية ، وبالإضافة الى ذلك فهناك سجلان لهاتين الضريبتين الأخيرتين : واحد فى يد الصراف ويودع الآخر وهو الخاص بالفلاحين لدى الشاهد (٤) .

وفى العادة لم يكن لكل قرية سوى صراف واحد يختاره المباشر القبطى ، والصراف هو الآخر وعلى الدوام قبطى ، وكانت مهمته تحصيل الدخول والتأكد من قطع النقد وهو مسئول عن قيمتها ، وكان الصراف فى ضمانته المباشر، فهو مسئول عن تسديد ما قد يتبين من خطأ أو نقص فى الإيراد . ويعمل تحت رئاسة المباشر القبطى كذلك عدد من الكتبة بحسب حجم مسؤولياته .

(١) حيث يقيم حكام القرية من المماليك

(٢) تساوى البوطاقة ٩٠ مدينى - وكل ٨٠ مدينى = فرنك واحد .

(٣) ستوضح فيما بعد وظيفة الشاهد - المترجم .

(٤) لم يكن هناك سجل عام للمال الحر فى مصر .

وعندما لا يكون للملتزم مباشر فانه يقوم بنفسه بتعيين صرافيه .

والشاهد على الدوام واحد من فلاحى القرية ، ويشترط فيه أن يعرف الكتابة والحساب ، وهو على نحو ما رجل الفلاحين فهو الذى يسيّر مصالحهم ، وهو يمسك كشفا بالأموال التى دفعها الفلاحون على مدار العام لكى تخصص عند تحصيل الضريبة ، وليس للقرية الا شاهد واحد ويختار من قبل الفلاحين . وينبغى أن يحوز قبول الملتزمين أو أكبر هؤلاء الملتزمين نفوذا .

وإذا حدث أن بعض قطع الأرض لم تصلها مياه الري فان الملتزم يأمر بقياسها حتى لا يكلف الفلاحون الا بدفع الضريبة التى تتناسب مع مساحة الأرض التى يمكن لهم زراعتها ، وفى بعض الأحيان يرسل لهذا الغرض مساحا قبطيا ، ولكن هناك فى معظم الأحيان واحدا من أهالى القرية، مكلفا بإدارة زراعة أراضى الملتزم ويسمى : الخولى ، وهو الذى يقوم بمساحة الأرض وقياسها بينما الصراف يدون ويحسب . ويشهد هذه العملية شيخ البلد الذى تنبعه هذه القطعة من الأرض ، ويشهد هذه العملية أيضا القائمقام فى حالة كون قطعة الأرض التى لم ترو كبيرة المساحة .

وفى القرية التى يكون بها عدد من الملتزمين وبالتالي عديد من الخولة فان الخولى الأكثر نعلبها والأكثر نفوذا يكلف بالتمييز بين الملكيات الخاصة للزراع فى حالة ما إذا كانت سببا فى تفاقم النزاعات بينهم ، والخولى فى معظم الأحيان لا يعرف لا القراءة ولا الكتابة ويحفظ بمعلوماته فى ذاكرته وحدها ، لذلك كان المعتاد أن يخلف الابن أباه فى وظيفة المساحة ، وفى نفس الوقت ، فانه اذا حدث أن ارتكب الخولى بعض الأخطاء فى قياسه فان شيوخ البلد يبلغون أمره الى أقوى الملتزمين نفوذا ويرشحون له فى نفس الوقت رجلا قادرا على أن يحل محله ، عندئذ يعزل الملتزم الخولى المخطئ ويعين الرجل الذى رشحه الشيوخ خوليا بدلا منه .

وتدفع الأراضى المنزرعة نخيلا فى بعض البلاد بحسب مساحة الزرع وفى بلاد أخرى تحدد الضريبة على هذه الأراضى بعدد النخلات .

وتخضع العادات التى كانت متبعة فى إدارة أراضى الوسية لعدد كبير

من الاختلافات، إذ هي لا تختلف فقط من قرية لأخرى وإنما تتنوع أيضا بحسب أهواء الملتزمين . وبرغم ذلك فاليكم ما كان يحدث في العادة :

كان الملتزم إما أن يؤجر أرضه وإما أن يزرعها بطريق السخرة . وفي الحالة الأولى يؤجر المالك أرض وسيته إلى شيخ البلد الذي يدير في نفس القرية زراعة أراضي الأخرى . ومن الأيجار على الدوام أكبر من مجموع المال الحر والبراني الذي تغله أراضي الفلاحين في هذه القرية . وتتراوح هذه الزيادة من ١ — ٤ بوطاقات للفدان الواحد حسب جودة الأراضي وحسب اقترابها أو بعدها من المدن ، لذلك كانت الأراضي المجاورة لبولاق تؤجر بسعر أكبر ارتفاعا .

وفي الحالة الثانية يكون للملتزم في كل قرية من القرى التي تتبعه بصفة أساسية رجلان مكلفان بزراعة وحصد أراضي (الوسية) ويسمى الأول : الخولى أو المشرف، ويسمى الثاني الوكيل أو المحصل .

ويقوم الخولى بالتنسيق مع مشايخ البلد بتوزيع الأرض على مختلف الفلاحين حسب حاجاتهم أو طلباتهم ، وهو — أو أى رجل آخر يوثق به — هو الشخص الذى تودع لديه الأموال اللازمة لدفع نفقات الفلاحين .

ويبدأ الوكيل القيام بأعماله عندما يحين وقت الحصاد ، فيمسك سجلا بكميات الحبوب المحصودة ويودعها في بينه ويجزر معه شيخ البلد كشاهد، ويتلقى الفلاحون من ٤٥ إلى ٦٠ مدينى عن زراعة الفدان الواحد . أما عن الحصاد فانهم يحصلون على مكيال من القمح أو الشعير يساوى على أكثر تقدير ١/٢٦ من الأردب ، وذلك عن اليوم الواحد .

وفي الحالة الثالثة (*) ، وهي الحالة التي يتم فيها العمل في أرض الوسية بطريق السخرة فإن الخولى يظل على الدوام موزعا للأراضي ومشرفا على الزراعة، كما تبقى اختصاصات الوكيل بنفس الشكل الذى سبق أن أوضحناه .

وفي كل الحالات التي لا تؤجر فيها الأرض يقدم الملتزم كل الحيوانات

(*) من الواضح أنه كانت هناك ثلاثة طرق لاستغلال أرض الوسية :
١ — الأيجار ، ٢ — الاستزراع بالأجر ٣ — الزراعة عن طريق السخرة .
(المترجم)

اللازمة للرى وكذلك البذور اللازمة ، ويعهد برعايه الحيوانات الى حارس يسمى : كلاف . وفى القرى التى تزرع فيها اراضى الوسية بالسخرة يحصل الناس الذين يعملون فى الأرض بالمحاريث على أجر ، ويعيش على هذا العمل بالدرجة الأولى أشد طبقات الفلاحين بؤسا .

والفلاحون مجبرون على تطهير القنوات والترع الخاصة لكن ينبغى على الملتزم أن يدفع لهم بحسب الأجر الذى أقرته العادة . والخولى كذلك هو الذى يقوم بالاشراف على العمل .

وكما تدار أراضى الوسية تدار أيضا الأراضى المملوكة للمساجد وكل الأراضى التى تسمى رزقة، أى أن الناظر يقوم بتأجيرها أو يعمل على زراعتها، من طريق خولى أو وكيل، وقد قيل لى أن الأراضى المملوكة للمساجد لا تزرع مطلقا عن طريق السخرة .

ولا أستطيع أن أنهى الحديث عن ادارة الأراضى دون أن أتناول بالحديث مختلف طبقات السكان وكذلك الطريقة التى تمارس بها حراسة الأمن بينهم .

هناك فى القرى بخلاف الفلاحين التابعين للمشايخ ، فلاحون لا يمتلكون أرضا ويستخدمون كأجراء عند أولئك الذين يمتلكون الأراضى . وكثيرا ما يحدث أن يصبح هؤلاء الملاك أنفسهم أجراء فى السنوات التى لا تصل الى أراضيهم فيها مياه الرى ، فهم عندئذ يتوجهون الى القرى التى يمكن أن تقدم لهم فيها فرص العمل . وليست هناك قرية مهما كانت صغيرة لا يوجد بها تجار للاقمشة الشعبية والمأكولات وكذلك بعض صناعات الفخار (القل والجرار) ، وبعض العمال بالاضافة لبعض البنائين والتجار ... السخ .

ويوجد فى كل قرية شيخ بلد أو يمكن القول بأنه مأمور التصفية أو وكيل الدائنين (السنديك) فى البلدة، فهو الذى يقوم على وجه الخصوص بوظائف قاضى المصالحات كما أنه يفصل فى الخلافات التى لها بعض الأهمية، وتمتد سلطته ليس فقط الى كل الفلاحين المزارعين وإنما الى سكان القرية . ومنصبه هذا ليس مجرد منصب شرفى فهو يحصل عن طريقه على بعض الفوائد . فعلى سبيل المثال ، اذا جاء المالك ليطلبوا مبلغا من المال أو كمية من الأغذية فان شيخ البلد الأول يعمل على جمعها دون أن يدفع هو من ثرواته ولا ينازعه أحد فى حقه هذا . واذا كان من الصحيح أن المالك

كانوا يهتمون بأن يحولوا دون أن يصبح مشايخ البلد الأول شديدي الثراء وذلك بأن يقررروا عليهم وحدهم من وقت لآخر بعض المغارم ، فقد ظل مع هذا - منصب الشيخ الأول على الدوام في أيدي أكثر أهل القرى ثراء . وكان هذا المنصب ينتقل في العادة من الأب الى الابن لكن ثمة أمثلة على خروج المنصب من اطار عائلة ما ليذهب الى أخرى أكثر ثراء وأكثر نفوذا .

ومع ذلك فقد كانت توازن سلطة شيخ البلد ، وأحيانا سلطة الشيخ الأول ، سلطة واحد من المزارعين يكون أكثر ثراء من الآخرين ، يعرف كيف يجمع حول نفسه تجمعا . ويرفض هذا المزارع أحيانا أن يدفع الضرائب المقدرة عايه ويرغم الصراف على الهروب من البلدة ويلجأ هذا الأخير الى الملتزم التابع هو له ، فيتخذ الملتزم حينئذ الوسائل اللازمة لتحصيل عوائده .

ويحمل الخادم الأول عند شيخ البلد اسم : المشد ، وهو على نحو ما بمثابة بواب أو حارس للقرية ، فهو يعرف ويدل الغريب الذين يصلون الى القرية على مسكن كل واحد من أهلها، ويتعهد بارشادهم الى الأمور التي يمكن أن يكونوا هم في حاجة لمعرفة : كالطعام ودواب النقل . . الخ، وأجره المنظور عبارة عن بضع مئات من المدينى، يدفعها له الملتزمون لكنه يعرف كيف يزيد من امتيازاته عن طريق الهدايا التي يحصل عليها مقابل الخدمات التي يؤديها .

واليكم الآن قائمة بالأجور المقررة لمختلف الشخصيات العاملة في ادارة الاراضى . التي تعرضنا لها في هذا الفصل :

صراف القرية : ويدفع له الفلاحون أجره :

١ - فهو يحصل على مدينى مقابل كل ٩٠ مدينى يحصلها .

٢ - وهو اما أن يحصل على طعامه من الفلاحين ، ويقوم المشايخ بتوزيع هذه التكلفة على الفلاحين أو يتلقى بدلا من ذلك في نهاية العام مبلغا ثابتا تحدده العادة .

٣ - وأخيرا فهو لا يعطى ايصالا بالـ ٩٠ مدينى التي حصلها الا اذا كان قد حصل بالفعل ٩٥ مدينى . وتحصل هذه الاتاوة لصالح المباشر القبطى حين يكون للملتزم مشد ، وفي الحالات الأخرى تكون هذه الحصيلة

عادة اقل (١) .

ويحصل **الشيخ** من المالك فى مقابل الخدمات التى يؤديها له على اعفاء من البرانى عن قطعة الأرض التى يحوزها ، وهى قطعة محددة فى كل قرية ، وزيادة على ذلك فان المالك يقدم له من ٣٠٠ الى ١٠٠٠ بارة كمنحة ، ويقدم له هذا المبلغ دلالة على الرضا أكثر منه كأجر ويسمى : مساهمة المشايخ .

ويعنى **الشاهد** أيضا من البرانى عن جزء من اراضيه، ويحصل على أجر ضئيل من الفلاحين بحسب مقدار الضريبة المقررة على كل منهم، لكن الأمر يختلف كثيرا من قرية لأخرى .

ويحصل **المشد** من الملتزم على ١٠٠ أو ٢٠٠ مدينى، ويسمى هذا الأجر: عادة المشد .

ويدفع الملتزم كذلك الضريبتين الآتيتين :

عادة سقا دار الوسية : وهى تقرر لسقاء منزل المالك اذا كان يقطنه الملتزم .

عادة خدامين الوسية : وهؤلاء الخدم هم : الخولى ، الوكيل ، الكلاف ، المزارعين .

ويحصل **الخولى** من الملتزم فى مقابل العناية التى يقوم بها نحو زراعة اراضى الوسية والعناية بالترعة على :

١ — الاعفاء من البرانى عن بعض أرضه .

٢ — $\frac{1}{3}$ المنحة المخصصة للشيخ، كما يعطيه كل واحد من الفلاحين كذلك $\frac{1}{26}$ من الأردب من الحبوب باعتباره مساح القرية .

ويدفع أجر **الوكيل** عينا ويصل أجره السنوى الى ١٠ أردب من الحبوب .

وحيث إن **الكلاف** مجرد خادم بسيط فان الملتزم يدفع أجره حسب الاعتبارات الخاصة التى تقوم بينهما .

(١) عدد المسيو جيرار فى دراسة عن الزراعة والتجارة فى صعيد مصر الوسائل التى كان يلجأ اليها الاقباط لكى يحصلوا لأنفسهم جزءا كبيرا من دخول مصر .

وأخيرا ففى المناطق من أرض الوسية التى تزرع بالسخرة يخصص
الملتزمون — ان لم يكونوا شديدي الجور — كميات صغيرة من الحبوب الى
اشد الفلاحين بؤسا .

٣

عن بعض العادات الخاصة

فى الصعيد مصر

توجد اختلافات شديدة كما قلت بين عادات الصعيد وعادات مصر
السفلى . وتعود هذه الاختلافات فى جزء منها الى الصعيد ذاته والى نمط
الزراعة التى تقتضيها طبيعة أرضه، ومع ذلك فينبغى ان ننسب هذه الاختلافات
أساسا الى بعد الصعيد عن العاصمة والى الاضطرابات المستمرة التى كان
الصعيد مسرحا لها، ذلك أنه يبدو أن اضطرابا كبيرا كان قد سيطر على ادارة
كل أنحاء هذه المنطقة منذ غزو عرب الهوارة حتى الوقت الذى أصبح فيه الشيخ
همام رئيسا لهم . وفى أثناء الوقت الذى كان فيه الشيخ همام قويا تم ادخال
كثير من التحسينات فى الزراعة على يديه وانتظمت الادارة بشكل عادل ،
ولكن بعد موته حين أصبحت هذه البلاد مأوى للمماليك اللاجئين عاد
الاضطراب الى كل مكان وأضيفت تعديلات جديدة الى التعديلات التى سبق
ادخالها والتى لا يزال الصعيد يحتفظ بجزء منها .

ومهما كانت هناك من أسباب يمكن لها ان تغير من عادات الصعيد ،
فسوف اعرض هنا للاختلافات الرئيسية التى نلاحظها عندما نقارنها بالعادات
فى بقية أنحاء مصر .

فى كل الجزء من الصعيد الواقع بين جرجا وشلالات اسنا ، فان
الأراضى المتعلقة بكل قرية ليست موزعة على الفلاحين بأجزاء محددة كما فى
مصر السفلى ، لكنها على نحو ما ملكية مشاعة للجميع وتوزع على كل
حسب امكانياته فى الزراعة . وحيث أن عدد الفلاحين محدود على الدوام
تقريبا بالنسبة لمساحة الأراضى القابلة للزراعة ، فانه يمكن لاي فلاح
مهما كان المكان الذى ينتمى اليه ان يشارك فى التوزيع أى ان يحصل على
جزء من تقسيم الأرض — وكانت هذه الأرض تسمى : المساحة .

ولا يتوقف هذا النمط من الملكية فجأة عند جرجا بل هو يمتد الى كل
الاقاليم الأدنى حيث كان يعرف كذلك نظام الملكيات المحددة وكانت تسمى هذه

الأراضي ، وهى التى أقسامها المحددة كذلك ترتبط بعائلات بعينها ، بأراضى الأثر .

وكان إقليم الفيوم وكذا الجزء الأدنى من إقليم اطفيح يقسم ويدار بنفس الطريقة المتبعة فى أقاليم مصر السفلى وتدفع كذلك نفس الضرائب .

وللفلاحين فى مصر السفلى حق بيع أراضيهم فيما بينهم . لكن الفلاحين فى مصر الوسطى لم يكونوا مطلقا لبييعوا أرض الأثر التى كانت تخصهم . أما تلك التى يملكونها عن طريق الميراث فاننا نجهل ما ان كان لهم حق بيعها أم لا ولكن ، بما أن مساحة الاراضى كانت أكبر بكثير من عدد الفلاحين فقد كانت عمليات البيع لهذا السبب مستحيلة .

وتنقسم الضريبة فى مصر العليا الى قسمين أساسيين : المال ، وهو الضريبة نقدا ، والخراج وهو الضريبة عينا ، وتدفع هذه وتلك الى الملتزمين : الأولى عن محصول الذرة والثانية عن محصول القمح والشعير . الخ . لذلك ينبغى فى كل عام أن تقاس المساحة المخصصة لهاتين الزراعتين بغرض حساب ما على كل فلاح أن يسدده الى ملتزمه بحسب القيمة الثابتة التى لهما فى كل قرية ، وان كانت هذه القيمة تتغير من قرية الى أخرى .

من هذا نرى أن دخول الملتزمين تتغير حسب مساحة الاراضى المروية وكذلك حسب نوع الزراعة السائدة هنا أو هناك لكن الملتزمين ملزمون على الدوام — ومهما كانت كمية ونوع الضرائب التى يحصلونها — بتدبير نفس مبالغ الميرى نقداً كان أو عينا بحيث إنهم ، اذا حدث أن جمعوا أموالا أكثر مما جمعوا من المحاصيل ، يكونون مرغمين على شراء حبوب كى يسددوا بها حصة الميرى .

والملتزمون فى الصعيد ملاك بنفس الطريقة التى يملك بها الملتزمون الآخرون فى بقية أنحاء مصر وكذلك بنفس الشروط التى شرحتها فى بداية هذه المذكرة (١) .

(١) لا يتطابق ما قلته هنا تماما مع المعلومات التى وردت بمقال : عن الزراعة والتجارة فى صعيد مصر « تأليف جيرار » . فقد ظن كاتب المقال المشار اليه أن بيع مساحة من الأرض ليس سوى تعاقد مؤقت لا يدوم إلا الى فترة السداد . ومع ذلك فقد لمسنا أن كل الملتزمين فى كل أنحاء مصر كانوا يقومون فيما بينهم بعمليات بيع مطلقا .

وكانت الاراضى فى كل قرى الصعيد الأعلى وكذلك فى كل قرى مصر السفلى حيث الارض مملوكة لكل السكان على المشاع — كانت توزع على الأهالى بمعرفة شيوخ البلد . وكان المساح يقوم بمسحها بمعرفة القصاب أو حامل المقياس (القصبه) ويدون مذكرة بذلك ويخبر كل فلاح مقبدا بما ينبغى عليه أن يدفعه مستقبلا . ويحصل المساح وقصنابه معا من الفلاحين من ٦ الى ١٠ مدعنى عن كل فدان من الأرض التى قاما بقياسها . والمساح فى العادة قبطى ومع ذلك فبعض منهم مسلمون وليس ثمة شاهد فى القرى التى تقاس فيها الأرض بهذه الطريقة .

وثمة قرى عديدة فى الصعيد ، كل سكانها من الأقباط ، وفى هذه الحالة تكون مناصب شيخ البلد فى أيدي الأقباط، ولكن فى القرى التى يعيس فيها المسلمون والمسيحيون معا فان هذه المناصب تكون فى أيدي المسلمين ؟ .

وقد اغفلت أن أدخل فى تعداد أنواع الملكيات المختلفة فى مصر السفلى تلك الملكيات التى تسمى : المسموحة لأن عددها هناك بالغ الضالعة ، ولكنها أكثر انتشارا نسبيا فى الصعيد وتسمى : الحطيطة ، وهذه الملكيات فى بعض الأحيان تكون عبارة عن دخول نقدية وتكون أحيانا دخول عينية عن عقار ما من الأرض ، وأحيانا تكون الحطيطة هى العقار نفسه ، وهى فى كل الحالات لا تدفع أى نوع من الضرائب . ويرجع السكان هذا النوع من الملكية الأصل يبدو لى طبيعيا لحد ما فيقولون أن هذه الحطيطة عبارة عن سرقات قام بها العسريان الذين استقروا عنوة فى القرى المختلفة . وأن هذه السرقات قد تفوقت بفعل الوراثة واكتسبت شرعيتها بمضى الزمن . وهذه الملكيات — التى ليست لها أهمية بالغة — تستقر فى غالب الأحيان فى يد مشايخ البلاد .

وفى النهاية ، فان الضرائب فى عدد كبير من قرى الفيوم ، لم تكن تقدر حسب مساحة الأرض ، ولكن كان على القرية فى مجموعها أن تدفع مبلغا محددًا . وعندما توجد قطعة من الأرض لا تصلها مياها الرى يعتقد الفلاحون والمترمون اتفاقا وديا، وإذا أحس الأولون أن الاتفاق مجحف بهم يرفضون الزراعة ويلوذون بالفرار .

وفى مصر السفلى يوجد بعض الأمثلة على قرى بها قطع من الأرض

تدار بهذه الطريقة . ويطلق على هذه الاراضى اسم : شروه (١) .

(١) نجد عند هيروdot نصا يتعلق بدخل ملوك مصر من ضرائب الاراضى عند توزيع هذه الاراضى وعند تخفيض الضرائب فى بعض الحالات وسأذكرها هنا ليس بقصد أن نعرف ما كان يحدث فى الماضى بل لكى نتعرف على ملامح الشبابه التى نجدها هنا مع ما سبق أن ذكرته بخصوص نفس النقاط عن الادارة المالية وبالذات فى الصعيد أكثر منه فى الوجه البحرى . يقول هيروdot :

« وقال لى الكهنة أيضا ان الملك سيزوستريس قد أمر بتقسيم الأرض مخصصا لكل واحد قسما متساويا ومربعا يعطى له كيفما اتفق . كل وقسمته ، بشرط أن يدفع للملك كل عام على الأقل ضريبة محددة تشكل دخله . وإذا حدث أن أغرق النهر جزءا من أرض أحدهم فإنه يذهب لمقابلته الملك ويعرض عليه ما حدث فيرسل الملك الى أرض الفلاح بمساحين لقياس ما نقص من العقار حتى لا يدفع الفلاح من الضريبة الا ما يناسب ما تبقى منه » . ويصيف هيروdot :

« وهذا فيما اعتقد هو أصل حساب المثلثات الذى انتقل من هذه البلاد الى اليونان » .

واظن أنه ينبغى أن نربط بين هاتين الجملتين « أغرق النهر جزءا من حصته » و « تركت من حصته أرض لم تغرقها المياه » ذلك أنه فى زمن سيزوستريس ، وكما يحدث الآن كان النهر دون شك لا ينزع من الأرض الا جزءا بالغ الضالة بحيث لا يمكن أن يكون الأمر موضوعا للملاحظة كما كان النهر ولا بد — كما يحدث الآن أيضا — يترك فى بعض الأحيان مساحات كبيرة من الأرض دون رى .

ويخيل الى كذلك أنه لا ينبغى أن نقر بشكل عام فكرة تقسيم الأرض بأجزاء متساوية بين كل الأفراد ذلك أن هيروdot نفسه يقول بأنه كان لكل واحد من المحاربين ١٢ أرورة من الأرض أى حوالى ١٠٠ تواز مربع (تبعا لحساب دانفيل الذى يحسب الذراع المصرى بـ ٢٠ بوصة و٦ شرطات لكن حساب الارورة لا يصل الى ٢٤ تواز والـ ١٢ أرورة لا تساوى مربعا طول ضلعه ٨٣ تواز . وقد خلط دانفيل ومعه كل العلماء بين الذراع العبرى والذراع المصرى وهذا ما سوف أوضحه فى مقالى عن النظام المترى عند قدماء المصريين . ا . جومار) معفاة من الضرائب . ونعرف فضلا عن ذلك عن طريق ديودور الصقلى أن النظام الكنسى كان يمتلك كذلك أراض خاصة به . ومن جهة أخرى فكيف كان يمكن أن يحصل التجار والحرفيون على نصيب ما من هذا التوزيع .

يبدو لى إذن أن هذا التقسيم لا ينبغى أن يفهم الا على أنه كان يتم بين المزارعين وإذا كان مما يلفت النظر الآن أن زراعة الاراضى التى تحيط بقرية ما لا يمكن أن يعهد بها عقلا الا الى سكانها أنفسهم فأننا نستنتج من ذلك :
١ — أن القرى كانت تمتلك مساحة معينة من الأرض عن طريق الضريبة التى تدفعها الى الملك . ٢ — أن أراضى القرية الواحدة كانت توزع على كل الأفراد من السكان بأقسام متساوية كل عام وكيفما اتفق .

٤ — عن مال الكشوفية او ضريبة الكاشف

قبل أن نوضح طبيعة هذه الضريبة التي تحصل كلها تقريبا لصالح حكام الولايات فربما يكون من المناسب أن نتحدث قليلا عن هؤلاء الحكام .

لم يكن البكوات يحتفظون بمنصب حاكم ولاية معينة الا لمدة سنة واحدة . وكانت مهامهم الرئيسية حفظ الأمن وفض الخلافات التي يمكن أن تنشأ بين قرية وأخرى وتقديم الحماية للفلاحين ضد العربان وحماية الملتزمين في تحصيل دخولهم .

وكان للبك عدد من الكشاف يصل أحيانا الى ٢٠ كاشفا ، هؤلاء هم ملازموه (ملازم) ، الذين يتصرفون حسب أوامره . وكان البك يمر عادة بولايته ثلاث مرات أو أربع ويقيم في أفخم منازلها ومع ذلك فقد كان من الضروري بالنسبة له الا يتغيب طويلا عن العاصمة خشية أن تطيح به إحدى المؤامرات التي فتنل في التنبؤ بها في الوقت المناسب ، فكان يترك على الدوام بعض كتشافه يجوبون الولاية مع مساليكهم . كما كان يوجد في كثير من الأحيان واحد أو اثنان أو ثلاثة قائمقام ، وهذا القائمقام إما مملوكا أو سراجا ويقطن في بيت يسمى أرض الوسية أي بيت الحاكم ووظيفته في القرى التي يحكمها (أو وظيفتهم في القرى التي يحكمونها) هي نفس وظيفة ومهام البك في الولاية التي يحكمها .

وبخلاف الراتب الذي يدفعه لهم البك ، فقد كانوا يرغبون الفلاحين على مدهم بالأطعمة التي يحتاجون إليها .

== إذن فقد كانت القرى تمتلك أراض في الماضي كما نمتلكها تقريبا قرى الصعيد اليوم . فقط . لقد أوقفنا تقسيم أراضي القرى في الوقت الحالى بين المزارعين بنفس العدالة .

وإذا ما قاربنا بين نص هيروdot الذي سبق ذكره والنص الوارد في سفر التكوين حيث أضاف موسى بعد أن قص الطريقة التي اتبعها يوسف حتى يجعل من فرعون مالكا لكل الأراضي « ومنذ ذلك الوقت وحتى اليوم يدفع الى الملك في كل أنحاء مصر ١/١٠ دخول الأراضي ، ويحدث هذا كما لو كان قاتونا فيما عدا أراضي الكهنة التي ظلت معفاة من هذا العباء » . وإذا ما تذكرنا الراى الذي يراه المصريون المحدثون بخصوص ملكية الأرض فسوف نرى أنهم كانوا معتادين منذ وقت طويل أن ينظر الى ملك الأرض في مصر على أنهم مزارعو الملك . ويمكن أن نلاحظ أيضا في هذا النص من سفر التكوين أن أراضي المنشآت الدينية كانت منذ قرون معفاة من الضرائب . (وصف مصر — م ٣)

: والخازندار هو واحد من ممالك البك . وكان الاثنى عشر الذين يشغلون مهام مختلفة تتصل بمالية بيت البك يشغلون في العادة وفي نفس الوقت المهام المشابهة التي تتصل بمالية الولاية .

ويفرض جزء من مال الكشوفية على الملتزم، ويفرض الجزء الآخر على الفلاحين .

واليكم أقسام الجزء الذي يحصل من الملتزم :

مال الجهات : ويخصص عائد هذه الضريبة لمركب الترفيه الذي يسبق كل عام المحمل المسافر الى مكة . ويحصلها حكام الولايات ويعطى ليد شيخ بلد القاهرة الذي يعطيه الى اسلام باشي المكلف بمهمة التصرف فيه . ويدفع الملتزمون مال الجهات بنسبة عدد القراريط التي يمتلكونها وهو نفس ما يحدث مع الضرائب الأخرى الآتية .

خدمة العسكر : وقد تقررت هذه الضريبة في الأصل كرواتب لجنود الأوجاقلو لكن حكام الولايات منحوها لأنفسهم .

عادة أوراق شتوي وصيفي : وكانت ترسل هذه الرسائل الى مختلف القرى لخطر الأهالي بأن الوقت قد حان لسداد الضرائب .

واليكم الآن قائمة بالضرائب المكونة لمال الكشوفية المقررة على الفلاحين :

رفع المظالم : وتقررت هذه الضريبة على يد محمد بك أبو الذهب لكي تحل محل المظالم الهمجية . وفي هذا الصدد ثمة ثلاث طبقات من القرى : الأولى وتدفع ٢١ بوظقة ، الثانية وتدفع ١٥ بوظقة والثالثة وتدفع ٨ . لكن تقرير هذه الضريبة لم يمنع المظالم الهمجية من أن تحدث كما كان الأمر من قبل .

مال التحرير : تقررت على يد ابراهيم بك لنفس الاغراض سالف الذكر وأصبحت مثلها مجرد أعباء جديدة على الفلاح . وقد قسم ابراهيم بك شأنه في ذلك شأن محمد بك القرى الى ثلاث طبقات : الأولى وتدفع ١٥ بوظقة ، والثانية وتدفع ١٠ بوظقة ، والثالثة وتدفع ٥ بوظقة .

مطالب حاكم الولاية : وهذه المطالب على الدوام عينية مثل العنبر والتبن . الخ وقد تكون اطعمة للفرقة التي تصاحب الحاكم عندما يسافر، وعندما تكون هذه الفرقة كبيرة العدد تبلغ كل قرية بالجزء من المصروفات التي عليها أن تدفعها . وهذه الضريبة غير محددة .

مصاريف الناية. اللازمة : وهى المصاريف التى يتكفل بها مشايخ القرى عندما يقدمون الكلفة أى الوجبات الى الكشاف والى المالك الآخرين الذين يملكون بالاقليم . وهذه المصاريف التى لا يمكن كما رأينا أن تكون مخصصة كان يقسمها المشايخ على الفلاحين .

حق الطريق : وهو أجر القواسين (القواس) وان كان يدفع اليهم لصغار المالك الذين يقدمون الى القرية حاملين الأوامر . ويحدد هذا الأجر بمعرفة نفس الشخص الذى أرسل الأمر .

وتشكل كل الضرائب السابقة بالإضافة الى المظالم والمغارم الهمجية ما يطلق عليه اسم « مال كشوفية » . ويدون ما هو ثابت من هذه الضرائب عند المباشر القبلى .

لكن عوائد مال الكشوفية لا تذهب كلها لحكام الأقاليم وحدهم ، فهؤلاء ملزمون بدفع الميرى عن مناصبهم وذلك بخلاف تسديدهم مال الجهات المخصص لحمل الحج . ويبلغ الميرى المستحق عن مناصبهم حوالى ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٥٠ كيسا (١) عن الولاية ، حسب درجة ثراء الولاية نفسها . وكان عليهم كذلك فى العادة أن يقدموا مرة فى العام هدايا الى الباشا والى الكخيا والى الخازن دار كما عليهم أن يدفعوا مكافأة الى كل الأشخاص المهمين فى بيت الباشا .

ولكى نقدم فكرة عن المظالم والمغارم التى كان يمارسها المالك تجاه الفلاحين، وهى الابتزازات التى تحرم هؤلاء الفلاحين من أية ميزة كان يمكن أن تعود عليهم لو أنهم اقتصروا على دفع الضرائب المنتظمة، فسوف أعرض لاثنتين من هذه المظالم كانتا تتكرران فى معظم الأحيان .

كانت القرى الواقعة على حافة الصحراء تتعرض لهجمات العربان الذين يأتون للاستيلاء على جزء من أراضيها لزراعتها وذلك بموافقة حكومة الولاية . ويحدث — عندما يحين موعد سداد الضرائب — أن يرفض العربان فى بعض الأحيان دفع هذه الضرائب . وإذا لم يصل المالك فى الموعد المناسب ليحملوهم على دفعها فإن الجزء من الضريبة الذى كان عليهم أن يدفعوه عن الأراضى التى اغتصبوها يقسم على الفلاحين .

(١) الكيس = ٢٥٠٠٠ ر. مديني .

وقد قلت فيما سبق ان الملتزمين كانوا يأمرؤن بقياس مساحة الاراضى التى لم تصلها مياه الرى حتى يقللوا من الضرائب بنفس النسبة ، لكن اذا ما حكم المالك او مباشرؤهم بأن بإمكان الفلاحين أن يدفعوا الضريبة كلها ، فإنه لا يسمح بأى تخفيض فى الضريبة المقررة .

واخيرا فان جشع المالك لم يكن يعرف لنفسه حدا الا عندما يتبين عجز الفلاحين الكامل عن الدفع . ولم يكن هؤلاء البؤساء يستطيعون أن يلجأوا لاية وسيلة تواجه هذه المظالم الا بالهرب ، فعندما يجد فلاح ما نفسه عاجزا عن ارضاء جشع سادته ، فإنه يترك حقوله ومنزله وتتبعه زوجته وأولاده ويذهب الى قرية أخرى يبحث لنفسه فيها عن اراض يزرعها وعن سادة أقل جشعا .

وبخلاف الانتهابات التى كان يقوم بها المالك والسيارف ، فقد كان على الفلاحين أن يعانون كذلك من غارات العربان الذين كانوا يغيرون ليقترضوا منهم قطعان مواشيهم وكل ما أهمل الأولون أن يأخذوه .

وسأقدم هنا قائمة بالضرائب التى اضيفت الى المال الحر والتى فرضت كلها على وجه التقريب لصالح حكام الولايات ، حتى ولو كانت قد فرضت فى الأصل لأغراض مختلفة كما سنرى .

اعوادة جاويش كاشف : والجاويش هو الذى يرشد الكاشف ويقوده الى الأماكن التى يريد الذهاب إليها . فهذه الضريبة اذن مخصصة لجنود الأوجاقلو .

تسويق مقرر: وقد تقررتهذه الضريبة أيضا لصالح الفرق العسكرية.

عادة راس نوبة :

عادة مسودة :

وهان ان الضريبتان قد خصصتا لبعض الأوجاقلو المسمين : راس نوبة، ومسودة والذين كانت وظيفتهم حماية عملية سداده مال الجهات .

عادة خدام الرملة : وهى اجر الفرقة التى تحمل الزكائب التى تملأ بالتراب الذى يستخدم فى صنع الجسور .

عادة مسلم : والمسلم هو أحد رجال عسكر الأوجاقلو .

عادة اليازجى : اى عادة كاتب الفرقة .

عادة تبين السلطانية : أى العادة المخصصة لتأمين التبن اللازم لفرق السلطان .

عادة حوالة الحوالات : وهى العادة المخصصة للشخص الذى يرسل الى دائرة القرية ليحصل الضرائب .

عادة خفر المال : وهم الحراس اللازمون لنقل ناتج القرية .

عادة جسر السلطانية : وهى مخصصة لجسور الترع التى أقيمت على حساب السلطان . ويوزع ناتج هذه العادة على أهم مشايخ البلد المكلفين بإدارة العمل ، ويحدث نفس الشيء بخصوص العادات الثلاث الآتية :

عادة جرافة السلطانية(١) : وتخصص لدفع أجور أولئك الذين يعملون فى تطهير الترع الكبرى بواسطة الجرافة .

عادة شيوخ الجرافة : أى عادة رئيس الأنفار الذين يشتغلون بواسطة الجرافة .

عادة صفار الجرافة : أى الأولاد الذين يعملون بالجرافة ، ولم يكن يدفع هذه العادة الا عدد ضئيل من القرى .

عادة مطمسين الجسور : أى حراس الجسور . وتخصص هذه العادة للرجال الذين يعملون لاعداد الطين للجسور، والذين يقومون بحراستها أثناء الليل .

وتخصص العادات الخمس الأخيرة لأشغال الترع التى تقسام على نفقة السلطان، ولا يدفعها الا الملتزمون الذين يحتاجون الى هذه الترع لرى

(١) الجرافة : أداة تستخدم فى بعض أنحاء مصر لتطهير الترع وهى منلثة الشكل ومصنوعة من ألواح خشبية ويبلغ طول سطحها حوالى ٩٠ سم ويبلغ ارتفاع حوافها حوالى ٢٠ سم على ٢٠ سم من الجوانب فقط . وعندما يراد استعمالها ، يبدأون بحسرت قاع الترعة ثم يعلقون ثورين من البقر بحبال الجاروفة بحيث يتجه الجانب الذى لا حواف له ناحية الحيوانين ويركب رجل فوق هذه الأداة لاعطائها بعض الثقل ثم يساق الحيوانان فتدخل الأنربة فى الجاروفة من الجانب الذى لا حواف له وعندما تمتلئ الجاروفة يتجهون بها خارج الجسور ليفرغوها .

أراضيهم . وفى نفس الوقت فقد كان من النادر أن تلزم قرية بعينها بأن تدفع خمس ضرائب فى وقت واحد .

عادة تقرير أفندى الولاية : أى قاضى الولاية (١) .

عادة نايب ريبة : أى العادة المخصصة للشخص المكلف بحراسة الفتيات العامات (المومسات)، وقلة من القرى فقط هى التى تدفع هذه الضريبة، وهى من جهة أخرى ضريبة ضئيلة .

وقد تقررت بعض هذه الضرائب الـ ١٧ السابقة منذ وقت طويل لصالح فرق الأوجاقات ، أما بعضها الآخر فزيادات طرأت على يد نفس الفرق العسكرية، وهناك نوع ثالث من هذه الضرائب كتلك التى تقررت لصالح صغار الجرافة، وهى تبدو كما لو كانت فى الأصل مجرد اتاوات تحولت بمرور الزمن الى ضرائب قانونية .

وقد تحولت الآن كل الضرائب التى تقررت من أجل الترع وكذلك التى تقررت لصالح جنود الفرق العسكرية لصالح حكام الولايات ولم يعد هؤلاء يقومون باصلاحات تذكر الا للترع التى تبين أهميتها المطلقة مثل ترعة الاسكندرية .

ولم تكن كل قرية تدفع كافة الضرائب والعادات التى بينتها، فثمة بعض هذه العادات قد توقف فى بعض الجهات أو لم يعرف على الإطلاق فى جهات أخرى .

وكان يتم تحصيل هذه العادات وكذلك تحصيل مال الكشوفية الذى يدفعه الملتزم — على فترات مختلفة فى نفس القرية . وكان الشاهد والعراف يدونانها لكى يخصموها من المال الحمر عندما يحصل الملتزم هذه الضريبة .

هـ - عن الميرى وعن الأفندية

عهد بتحصيل واستخدام الميرى الى ادارة مكونة من مسلمين يسمون الأفندية ، ويقومون بالقاهرة . وكان الأفندى الأول يعرف باسم الروزنامجى ، وكان يختار من بين الأفندية ويعين لدى الحياة بواسطة السلطان ويشغل رتبة نصف سنجق أو نصف بك . أما مناصب الأفندية فهى وراثية ويمكن

(١) كان القاضى يسمى كذلك أفندى .

ان تباع . ولكن يشترط على الدوام أن يكون المشتري متعلما لحد كاف
وأن يحصل على موافقة الروزنامجى .

وظائف الروزنامجى هى وظائف المدير العام والجابى ، فلم يكن ثمة
غيره يحصل الأموال الناتجة عن الميرى . وكانت هذه الأموال توضع مباشرة
فى خزينته . ويقتصر عمل الأفندية الآخرين على مسك الدفاتر الخاصة
بأنواع تحويل أو تبديل الملكيات والوظائف التى تخضع لدفع ضريبة الميرى،
وكذلك عمل الحسابات سواء عما ينبغى على كل مالك أن يدفعه أو عن
المصروفات التى يجب استقطاعها من عائد هذه الضريبة . وسوف يتضح كل
هذا عند ذكرنا لعدد الأفندية وتحديدنا للأعمال التى يشغلها كل واحد منهم .

الروزنامجى : وقد سبق أن حددت اختصاصاته ، ويعمل تحت امرته
مباشرة أربعة أفندية يسمون حلفة ويمكن اعتبارهم بمثابة كتبة له ويشار
اليهم هكذا : الأول : باش حلفا ، الثانى : ثانى حلفا ، الثالث : ثالث حلفا
الرابع : رابع حلفا . ويكلف الباش حلفا بعمل حسابات الميرى الذى ينبغى
أن يدفعه كل ملتزم يمتلك أراض فى ولاية الجيزة وتلك التى ينبغى أن
يدفعها حاكم هذه الولاية . وهو مكلف فوق ذلك بأن يؤدى نفس هذا العمل
لحاكم هذه الولاية وثلاث قرى فقط من ولاية منفلوط وهذه القرى الثلاث
هى : بنى رافع ، بنى حسين الأشراف ، وقرية حيط بلا غيط .

أفندى الشرقية : وتتعلق أعماله بولايات الشرقية والمنصورة وقلوب
وأطفيح والبحيرة ، وهى من نفس نوع الأعمال التى يقوم بها الباش حلفا
بخصوص ولاية الجيزة .

أفندى الغربية : وأعماله هى نفس الأعمال السابقة ولكن فيما يتعلق
بولايتى الغربية والمنوفية .

أفندى . الشهر : وتنقسم مهام هذا الأفندى الى قسمين : فهو أولا مكلف
فيما يتصل بولايات الوجه القبلى بكل الأعمال التى يكلف بها الأفندية الثلاثة
السابقون فى دوائرهم . وولايات الوجه القبلى هى : بهنسا ، الفيوم ،
أشمونين ، منفلوط ، جرجا التى تضم كذلك الواحات . وهو ثانيا يقوم بعمل
حسابات الميرى الذى ينبغى أن يدفعه كل التجار الملتزمين (ملتزم) ورجال
الجمارك سواء أولئك الذين يعملون بموانئ البحر أو أولئك الذين يعملون
بالموانئ الداخلية مثل بولاق ومصر القديمة .

أفندى الغلال : وهو مرعوس للأفندى السابق ويعهد اليه بحسابات توزيع الحبوب المحصلة لحساب الميرى .

أفندى المحاسبة : لا يمكن صرف التكاليف النى تتم على نفقة السلطان مثل كميات القمح التى ترسل كل عام الى المدينتين المقدستين واصلاح الترع الكبرى والكبرى والحصون . الخ الا بعد ان يقوم هذا الأفندى بتسوية حساباتها .

أفندى اليومية : ويعهد منصبه أحد المناصب الهامة فهو رئيس لعشرة أفندية مكلفين بعمل حسابات المصاريف الآتية : واخذ للفقراء والعجزة ويسمى كاشدى ، وآخر للأرامل والأيتام ، وثالث لعميان الجامع الأزهر ، وكبار الشيوخ . الخ ويسمى جوادى ، والسبعة الآخرون لفرق الأوجاقلو السبع .

أفندى المقابلة : وهو الذى يقوم بفحص ومراجعة كل الحسابات التى ذكرت آنفا .

أفندى الكوريكجى (١) : وهو يقوم بحساب ما ينبغى على كل ملتزم ان يدفعه لمصاريف نقل الانتقاض من القاهرة الى بوغازى رشيد ودمياط وهذه الضريبة المتضمنة فى مبلغ الميرى تسمى مال كوركجى وهى ضئيلة بحيث لا يبلغ اجمالها فى مصر كلها الا حوالى ٢٨ كيسا .

ولكل من الأفندية التسعة السذين سميتهم — مثلهم فى ذلك مثل الروزنامجى — حلفا فيما عدا أفندى المقابلة فله حلفا بسبب عمله البالغ الأهمية . ولكل واحد من نفس هؤلاء الأفندية وكذا الروزنامجى وباش حلفاه : واحد كيسه دار أو حامل الحقيقية التى تضم دفاتر الحسابات وهؤلاء الكيسه دار يعتبرون حراسا لهذه الدفاتر وهم يعرفون السكتانة ويدخلون فى عداد الأفندية .

وبرغم هذا ، فليس هؤلاء هم كل أعضاء تلك الإدارة الكثيرة العدد : فهمة أربعة كتاب خزنة اثنان منهم تركيان وهما أعلى مرتبة من الآخريين اللذين يختاران من بين اليهود . وفيما مضى كان الكتاب الأربعة جميعهم من

(١) كورك كلمة تركية بمعنى مجداف . ويسمى الأفندى المكلف بالضريبة المخصصة لنقل الانتقاض كوركجى لأن هذا النقل كان يتم فى الماضى بواسطة القوارب .

اليهود ويقال ان هذا الوضع لم يتغير الا عندما هجر واحد من الكُتاب
الاربعة دينه لكي يعتنق الاسلام ، وعندما تبعه في ذلك اثنان من ابنائه فقد
اصبح هذان يمدان من الأتراك .

ويدخل ضمن اعضاء هذه الادارة اثنان من كتاب الباشا ويسميان :
تذكرجى وهى كلمة تركية تعنى كاتب الاوامر . ويكتب أحدهما باللغة
التركية ويعتبر الكاتب الاول اما الثانى فيكتب باللغة العربية .

وأخيرا فهناك ثلاثة صرافين ملحقين بادارة الميرى ، وثلاثتهم من
اليهود ويدعى أحدهم صراف باشى او صراف اول ووظيفتهم عد النقود
ومراجعة انواعها .

ويخضع الصيارف وكتاب الخزنة مباشرة لاوامر الروزنامجى ، لكنهم
يحصلون على اجورهم - شأنهم فى ذلك شأن بقية أفراد الادارة - من قبل
الميرى . وبامكان هؤلاء ان يستعينوا بأى عدد يحتاجونه من الكتاب
والصيارف ، لكنهم وليس الميرى هم الملزمون فى هذه الحالة بدفع اجور
هؤلاء .

وينقسم الميرى الى قسمين رئيسيين : مال شتوى ومال صيفى :
وتؤخذ عوائد القسم الاول من محاصيل الفول والشعير والقمح ، وهى اهم
المحاصيل وأول ما يحصد منها لذلك فهى تخصص للمصاريف الداخلية ،
وهذه على الدوام شديدة الالحاح . اما عوائد المال الصيفى وهى تحصل عن
الأرز فتأتى متأخرة وتخصص للانفاقات الخارجية .

وكانت حسابات الافندية وصرف الميرى تتم اربع مرات فى العام بين
كل واحدة والاخرى ثلاثة اشهر . وتتم الأولى فى الفترة التى يكون فيها
النيل فى أعلى درجات ارتفاعه . وتؤخذ الثلاث دفعات الأولى من التحصيل
من المال الشتوى أما الرابعة فتؤخذ من المال الصيفى . واليكم كيف كان يتم
الدفع :

يرسل الافندى الى الملتزم او الى أى مدين آخر مع واحد من خدم
الديوان يسمى نشاعوس مذكرة من الميرى بأن عليه ان يسدد ما عليه .
وينتقل الملتزم مع هذا النشاعوس الى الروزنامجى الذى يعطى للملتزم به
تحصيل المبلغ ايصالا مؤقتا ثم يقوم الافندى بموجب هذا الايصال المؤقت
بتحرير الايصال النهائى .

وللافندية طريقة خاصة بهم فى مسك وكتابة حساباتهم والتي يقال انها أيضا مستخدمة من قبل الافندية فى القسطنطينية . وتبدو كتاباتهم التي تسمى خط القرمة ، تبدو للوهلة الأولى مشابهة لدرجة طفيفة للكتابة العربية . ومع ذلك فهي لا تختلف عنها الا فى أن حروفها أقل ارتفاعا من حروف الكتابة العربية وأكثر منها اتساعا فى الاتجاه الأفقى وتسمح هذه الطريقة فى الكتابة بتضييق السطور فيما بينها . وهذا ما يجده الافندية بالغ الفائدة ، ليس ثمة سواهم على الدوام يستطيع قراءتها بسهولة .

ويمسك الأقباط حساباتهم بالكتابة العربية المعتادة ويسجلون المبالغ تحت دلالات^١ وهذا مما يجعل من العسير القيام بعملية الجمع لتكوين المبالغ الكلية . أما الذين تعلموا طريقة الكتابة فى القسطنطينية فانهم يتبعون الطريقة الاوربية ويكتبون المبالغ فى نفس السطر الذى نكتب فيه الدلالة مع مراعاة وضع كل المبالغ التى ينبغى أن تجمع الى بعضها ، كلا منها تحت الأخرى ، ويبدون بالفى الكفاءة فى استخدام هذه الطريقة . وفى بلاد آخر غير مصر سوف يدهش المرء حين يرى الناس لا يتبنون مثل هذه الطريقة بوجه عام وبخاصة من جانب أناس كالأقباط — فعملهم الاساسى عبارة عن القيام بالعمليات الحسابية من جمع وطرح . ولكن فى مصر ، حيث تتغلب العادة ، فان مثل هذه الأمور لا ينبغى أن تكون مثارا للدهشة .

ويقدم الروزنامجى حسابات ادارته الى الباشا والى الدفتردار(١) ، وهو دائما برتبة بك . وكذلك الى شيخ بلد القاهرة . وعندما تعتمد هذه الحسابات ترسل الى القسطنطينية مدونة باللغة التركية وبخط القرمة . ويأمر السلطان فى بعض الأحيان بأن تراجع هذه الحسابات على يد اخصائى يرسله لهذا الغرض .

وعندما تخصم كل المصروفات التى ينبغى أن تؤخذ قائلونا من الميرى ، فانه يتبقى بعدئذ حوالى ١٢ ألف كيس . ويشكل هذا المبلغ ما يسمى خزنة عائد السلطان ، ويرسل اليه مع أحد البكوات . و آخر مرة ارسل فيها هذا العائد كان فى عام ١١٧٣ هـ

١ . أى انهم يضعون فوق كل رقم الاشارة الدالة على نوعه مثل مليون ، مرش ، جنيه ، سهم ، فدان ، قيراط . الخ — المترجم .
(٢) آخر دفتردار هو أيوب بك الصغير وقد قتل فى معركة الاهرام .

ويمكن أن تنقسم المصروفات العامة التي تؤخذ من الميرى إلى أربعة أقسام رئيسية :

١ — جامكية مصر : تندرج تحت هذا البند المعاشات والاجور الممنوحة في كل أنحاء مصر مثل مرتبات الفرق والافندية . . . الخ وكذلك معاشات الارامل والايتم وعميان الجامع الازهر ومعاشات كبار المشايخ . . الخ .

٢ — مصروفات الحرمين : وهى المصروفات التي تخصص لصالح المدينتين المقدستين مكة والمدينة .

٣ — مصروفات أمير حجي (أمير الحج) : ويفهم من هذا التحديد ليس فقط ما يخصص أمير الحج ولكن أيضا أجور الفرق التي تحمي المحمل وكذلك مختلف الهدايا التي تقدم الى مختلف القبائل العربية الواقعة على طريق المحمل وذلك لالزامها احترامه .

٤ — مصروفات السعرة : أى مصروفات طوارئ مثل السكر والارز التي يطلبها السلطان في بعض الأحيان وكذلك مصاريف اصلاح الترع والحصون . ويدخل تحت هذا البند أيضا الهبات التي تقدم لبعض المساجد أو بعض الشيوخ لكنها مصاريف اختيارية أكثر منها الزامية . وما يتبقى بعد سداد كل هذه المصروفات يكون كما قلت عائد السلطان، لكن البكوات منذ سنوات عديدة أمكنهم ان ينظموا حساباتهم بطريقة بحيث لا يعود للسلطان أى عائد . وحيث أنهم كانوا يسيرون الباشا على هواهم فقد كانوا يحصلون منه على فرمان بكل مصاريفهم الوهمية أو الحقيقية بحيث يكونون ظاهريا غير خارجين على القانون تجاه السلطان .

هذا ما كان بخصوص استخدام الميرى النقدي، وتحدث الآن عن الميرى العيني : تقرر هذا المال من أجل اطعام جنود الأوجاقات السبعة وكان يوزع عليهم جزء منه فقط في الواقع ، وبعد ذلك أصبح لبعض المنشآت الخيرية وتلاميذ مختلف المدارس وعدد كبير من العائلات مثل عائلة السادات والبكرى . . أصبح لهم حق في هذا المال كما أصبح يحصل نصيبه منسأ كل من الأفندية والباشا وقاضى العسكر . . الخ كما كانت هناك مصروفات أخرى مثل طعام صناع بارود الحكومة وطعام الإبقار التي تحرك الماكينات التي تزود القلعة بالمياه وهذه أيضا كانت تؤخذ من الميرى العيني ، وفي استطاعتنا أن نقدر عدد الأشخاص الذين يحصلون على نصيبهم من أطعمة الميرى العيني المجموع من الصعيد بأكثر من خمسين ألفا .

ويعهد بتوزيع الأظعمة الى واحد من رجالات اوجاق الجاويشية يطلق عليه اسم أمير الشون : اى الخازن الامين وهو مكلف بتسلم المال العينى وتخزينه بالقاهرة وتوزيعه كذلك . وكان البكوات ملزمين بحمايته وقت التحصيل ووقت النقل ، ومن أجل هذا خصوا أنفسهم بكمبة هائلة من الثمر والقمح .

ولا اعتقد أنه ينبغى على أن أدخل فى تفاصيل أكثر حول طبيعـة المصاريف التى كان على عاتق الميرى أن يسدها، ولا أن أنشر قائمة بكل الاتخاص والمؤسسات التى كانت صاحبة حق فى المصاريف النقدية او العطاءات العينية فليس لهذا العمل أدنى فائدة الا اذا اضيف الى كل الأجزاء الأخرى من مالية مصر بقصد تكوين حالة كاملة للدخول والانفاق فى هذا البلد قبل سقوطها فى أيدي الفرنسيين . وبالإضافة الى ذلك فاننى أقل استعدادا للحديث فى هذه المذكرة عن الضريبة فى حد ذاتها وكذلك عن النظام الضريبى ، لذا فقد اكتفيت بالحديث عن الضرائب العقارية .

قلت ان الافندية يمسون سجلات دقيقة لكل التحولات فى الملكيات العقارية حتى يمكنهم القيام بحساب الميرى المقدر كل عام على كل الذين يخضعون له ، لذا فان الافندية — من حيث أن لديهم بهذه الوسيلة معرفة كاملة بكل الملكيات — هم أكثر الناس أهلية واستحقاقا للتوظيف فى ادارة التسجيل ، لذا فقد عهد بادارة التسجيل اليهم . ويمكن أن تقسم حالات انتقال وتغيير الملكية الى ثلاث حالات :

١ — عن طريق الارث ٢ — بطريق البيع المطلق أو الوقتى ٣ — بطريق الهبة .

فعندما يموت ملتزم فان أولاده أو الأشخاص الذين أوصى لصالحهم يقدمون أعلامهم الى أفندى الولاية التى توجد بها التركة . ويخبر الأفندى الباشا ليقدّم الأخير موافقته الى الورثة، وهى الموافقة التى يعطيها لهم على الدوام بعد تحصيل عادة تسمى : حلوان ، يدفعونها له . وهذه العادة — وهى على الدوام غير بالغة التحديد — لا تتجاوز مطلقا مقدار ما يدعى بالفايض (الفايض) لمدة ثلاث سنوات وهو يمثل كما رأينا الدخل الصافى والقانونى للملتزم . ويسلم الأفندى بعد ذلك الى الورثة شهادة اعلام أو تسجيل تسمى : تقسيط ، يصبحون بموجبها ملاكا شرعيين . ويحصل الأفندى ١٪ من قيمة ما تدفعه الأرض من مال الميرى .

ويتسلم مبالغ الحلوان صراف الباشا الذى تحدثت عنه فى البداية :

أما فى حالة انتقال الملكية عن طريق البيع أو الهبة فإن الأمر لا يستدعى الحصول على موافقة الباشا نفسه ولكن يدفع الى مكتبته ٢٨ مدينى عن كل قيراط من الأرض المباعة أو الموهوبة كضريبة تثبيت . ويسجل الأفندية هذا الانتقال ويحصلون ١٪ من ثمن البيع عن الأشياء المباعة، و١٪ من اجمالى الميرى عن الأراضى الموهوبة وفى هاتين الحالتين يعطى القاضى حجة أى وثيقة شرعية ويحصل ٢٪ .

وينظر الى عملية ايقاف الأرض لصالح العائلات على انها مجرد هبات، وتخضع هذه لنفس الاجراءات ، أما عملية ايقاف الأرض لصالح المنشآت الدينية أو الخيرية فتتم أمام قاضى العسكر وتسجل بمعرفة الأفندية . أما بيع الأراضى من فلاح لفلاح أو ما يسمى « بالفاروقة » فيقع فى دائرة اختصاص القاضى ، وأخيرا فإن القضاة هم الذين ينظرون عمليات التركات ومبيعات المنزل والاثاثات ويحصلون عن ذلك رسما يقدرونه بأنفسهم بعدالة وتبعا لثروة المتعاملين .

ويقوم الفلاحون كذلك فيما بينهم بنوع آخر من التبادل ، فهم يؤجرون أراضيهم لعام واحد فقط ويتم هذا التعاقد بالتراضى فيما بينهم وبدون تدخل من القاضى . وعلى العموم ، فطالما كان للماتزمين أو للفلاحين فيما بينهم ثقة متبادلة فائهم ينهون أعمالهم بحضور شهود وبدون اللجوء الى القاضى ، وبمعنى أكثر دقة فائهم لا يطلبون من القاضى اجراء بخصوص تصرفهم فى هذا الجزء الضئيل من الثروة الذى يملكونه وذلك بقصد تقبل المصروفات .

وقد سبق لى القول فى بداية هذا المقال بأن ثروات الذين يموتون بلا ورثة تؤول الى خزانة الدولة ، وأضيف هنا أن خزانة الدولة كانت تعرف باسم بيت المال وأن الثروات التى كانت تؤول اليه كانت تخصص فيما مضى وفى جزء كبير منها لصالح الفقراء، وان ابراهيم بك الذى استأجر الأراضى التى آلت الى بيت المال كان يهب جزءا من دخلها — وان كان ضئيلا جدا فى الحقيقة — للقيام بدفن الموتى الذين تكون أسرهم بالفقر لحد لا تستطيع معه توفير نفقات دفنهم .

ويتمتع الأفندية فى مصر بكثير من الاحترام بسبب نزاهتهم وتعليمهم وتبعا لتقاليد هذه البلاد . وكان أغلبهم يتكلمون اللغة التركية بخلاف لغة

بلادهم التي يعرفونها جيدا وكل من هؤلاء يمتلك ثروة تضعه في عداد الطبقة الميسورة ، أما أولئك الذين يشغلون منهم وظائف أعلى فينظر اليهم باعتبارهم أثرياء ؛ فبخلاف الاتعاب التي يحصلونها عن كل تسجيل ، كان لهم راتب سنوى يؤخذ من مال الميرى ويبلغ ١٥٠ كيبسا (الى حوالى ٩٣٧٥٠ فرنك) وذلك لكل هيئة الافندية ويقسم المبلغ فيما بينهم بحسب أهمية وظائف كل منهم .

وكان بظن أن الأتراك قد تركوا ادارة ثرواتهم في ايدى الأقبساط بسبب عدم كفاءة المسلمين لاداء عمل كهذا ، لكن هذا غير صحيح وكفى بأدارة الميرى دحضا لهذا الزعم ، لكن السبب على نحو ما هو نفور الأتراك من التجديد ، وكذلك على وجه الخصوص لنفس الدافع الذى حدا بالماليك أن يتخذوا جباة من أناس لا يحركهم أى دافع فى ادارة جهاز الدولة ، وهذا ما ينبغى أن نفسر به لماذا ظل الأقباط يديرون الملكيات الخاصة .

وانهى مقالى هذا ببعض الملاحظات التى تتعلق بوراثنة الوظائف العامة بل ووراثه الحرف كذلك عند المصريين .

ليس ثمة وظيفة فى مصر على الاطلاق ينبغى أن تكون بحكم نظامها وراثية ، ومع ذلك فان الوظائف تكاد كلها أن تكون كذلك . ويعود هذا الى طابع هذه الدولة العجيبة حيث يبدو كل شىء وكأنه يتجه نحو الثبات والتقوالب . ولعل طقس مصر ، وهو على الدوام متشابه بتتابع قصوله كل عام فى نفس أوقاتها وبدقة ، كما تحدث فيها كل عام نفس المجموعة من الظواهر الطبيعية ، لعل هذا الطقس هو — وعلينا أن نضع هذا فى اعتبارنا — واحد من أسباب هذا الوضع الذى طبع اهل البلاد بطابع الجمود والتقوالب ، فكل ما قصنه علينا الرحالة القدماء فيما يتصل بالمزاج الهادىء بل وشبهه الخامل للمصريين فى أيامهم ، نجده الان فى مصرى اليوم . ولقد احتفظ المصريون كذلك بقله الفضول والابتعاد عن الأسفار ، فهم لا يرون على الاطلاق يغادرون وطنهم فى الوقت الذى يفد اليهم عدد هائل من الغرباء ، فقد جاء اليهم عدد هائل من السوريين ومن اهالى الشاطئ الشمالى لافريقيا للاقامة هناك (١) .

(١) يمكن القول بأن اهل الاسكندرية وحدهم هم اقل المصريين بيلا للتعود والخمول ذلك أن العلاقات التى ربطت بينهم وبين غيرهم من الشعوب ، وكذلك كثرة عدد الجنسيات التى تقيم بينهم ، وعملهم بالضرورة بالتجارة الخارجية . كل ذلك قد غير بالضرورة من مزاجهم نوعا ما .

وعلىنا أن نضع في اعتبارنا عند حديثنا عن هدوء طباع المصريين أن كل الثورات التي حدثت في بلادهم وكل التغيرات التي شجرت حكومتهم بضرورتها تعود إلى أجنب ، وذلك منذ أقدم الفترات التي سجلها التاريخ وأن الهدوء يسيطر عليهم مادام يحكمهم أمراء من بينهم .

وهذا الميل إلى التقولب والثبات واضح لدرجة أدت إلى نشأة قوانين معينة، فمن الواضح على سبيل المثال أن القانون الذي كان يقضى بتقسيم المصريين إلى سبع طبقات ينبغي في داخلها أن يرث الأبناء آباءهم فيمارسوا نفس مهنتهم إنما يعود في أصله إلى هذا الميل . أن الأمور اليوم لم تتغير بدرجة أساسية حول هذا الموضوع ، فمازالت الحرف تشكل في كل مدينة طوائف معينة ، ولكل طائفة منها شيخ خاص ، ومن النادر أن يخرج الأبناء عن طائفة آباءهم ليلتحقوا بحرفة أخرى .

وبسبب هذا الكم الهائل من العادات التي لها سطوتها ، وبسبب هذه الفكرة المسبقة التي تحبذ ترك الأمور في نفس حالتها فإن وظائف : الشيخ، الخولى ، الشاهد . . الخ والتي قلت بأنها من تعيين الملتزم أو من اختيار الفلاحين إنما هي في غالب الأحيان وراثية ، وقلما يوجد سبب يقضى بخروج هذه الوظائف من العائلات التي استقرت فيها ، ولا يمكن أن يتم ذلك على الإطلاق بطريقة عشوائية .

وتبدو قوة العادة أكثر وضوحاً فيما يتصل بمنصب شيخ بلد أول القرية . فهذا المنصب في العادة يكون في يد الشيخ الأكثر ثراء وهو الذي يكون كذلك أكثر احتراماً، ذلك لأن من المهم بالنسبة للشيخ — حيث هو يستمد نفوذه من المكانة التي يوحى بها — أن يحيا في بحبوحة حتى يحتفظ بهذا النفوذ ، لذلك فنادر ما ترى شيخ بلد يفقد سلطته ، كما أن الفلاحين يفضلون أن يؤول هذا المنصب إلى ولد نفس الشيخ الذي كانوا يحترمونه ويهابونه ، فهذا أفضل من أن يؤول هذا المنصب إلى أيدٍ أخرى حتى ولو كان من المحتمل أن تكون أكثر خبرة .

ومع ذلك فقد كان يحدث أن يلجأ المالك — وهم على الدوام غرباء عن مصر ، الدولة التي يحكمونها والتي كانوا يلقبون بعاداتها التي لا تروق لهم تحت أقدامهم — إلى انزعاع وظيفة الشيخ الأول بطريقة استبدادية عن الشخص الذي يشغلها ليعطوها إلى أحد صنائعهم أو لواحد من خدمهم يريدون مكافأته .

ويقودنى هذا الى فكرة اخيرة تتضح بشكل طبيعى ، تلك هى عدم التوافق الذى كان موجودا بين حكومات المالك العنيفة والدمرة على الدوام وبين ما تتطلبه طباع المصريين . . انه التعارض الدائم الذى كان قائما بين مزاج هذا الشعب كما رسمته وبين مزاج سياسته المتوثبين والطموحين .

يا له من فارق غريب فى الواقع بين هؤلاء المصريين المذعنين بل والهيابين ، الذين يسهل اخضاعهم وبين هؤلاء المالك المتحفزين والمحاربين ، المتنافسين على الدوام فيما بينهم والذين لا تجمع بينهم اية رابطة من روابط الدم ، بل والمتكرين لكل روابط الصداقة ، والذين لا يعملون مطلقا ومباشرة الا لصالحهم ، والذين كانت كل اعمالهم استبدادية وعشوائية ، تتحكم فيها ظروف اللحظة (١) .

(١) قد يكون من المفيد ان نذكر هنا ان المعلومات التى كتب على اساسها هذا المقال قد استقيتها منى كل جزئياتها من رجال مشهود لهم بانهم على دراية كبيرة بها ، اننى لم اكتب شيئا قبل ان احصل على عدد كبير من الاجابات المتشابهة على نفس السؤال المتعلق به . وقد استشرت القضاة والافندية وشيوخ البلد المتعلمين فى القاهرة وكبار الاقباط وبخاصة اولئك الذين لا يرقى الى نزاهته منهم شك ، وقد سألت كذلك مشايخ البلد والعرافين فى القرى كما لم أهمل سؤال الفلاحين . واضيف هنا (ولهذا بعض الأهمية) اننى قد حصلت على الدوام على مترجمين جيدين . ولقد اتيح لى ان اراجع الاجابات التى حصلت عليها عند اشخاص تشغلهم هذه الأمور وحصلت منهم على كثير من النقاط التى شاموا ان يمدونى بها عن طيب خاطر .

ومهما كانت العناية التى راعيتها فى جمع هذه المعلومات، ومهما كانت كثرة المعلومات التى جمعتها فاننى لا أستطيع على الدوام ان اتفاخر باننى كنت مصيبا على طول الخط . لقد تسرب بعض من عدم الدقة الى هذا المقال ولسوف يقودنى الزمن وما سأحصل عليه من معلومات جديدة الى اكتشاف حقيقة الأخطاء التى قد اكون وقعت فيها .

كان كاتب هذا المقال ينتوى مراجعته وادخال بعض الاضافات اليه، ولكن حيث ان العناية الفائقة التى كان يبديها فى ادارة عمله ، والغاية المبصرة والتى أبهجته أثناء قيامه بهذا العمل قد منعتاه من أن يقوم بنفسه بذلك ، فقد طبعت مقالته بالشكل الذى قراها به فى المجمع العلمى المصرى فى الأول من فريمبر من العام التاسع (٢٢ نوفمبر ١٨٠٠) . ج .

الكتاب الثاني

النظام المالي والإداري في مصر العثمانية

تأليف / الكونت استيف

العنوان الأصلي للدراسة : « دراسة موجزة
حول مالية مصر منذ فتحها السلطان سليم
الأول (١) الى أن فتحها القائد العام
بونابرت »، تأليف الكونت استيف الخازن
العام للتاج والضابط الحائز على وسام
الشرف ، والمدير العام للموارد العامة
لمصر » .

(١) ضم سليم الأول مصر الى امبراطوريته في العام ٩٢٣ من الهجرة،
١٥١٧ من العصر الحديث (الميلادي) .

(وصف مصر - م ٤)

مقدمة

لابد لنا ، قبل أن نقدم هذه الدراسة ، أن نقوم بعرض سريع لنظام الحكم ولنظم الملكية فى مصر ، فقد لا يتيسر لنا أن نتابع مسيرة الضرائب هناك دون أن نتعرف مسبقا على تلك المؤسسات والنظم التى تشكل أساسا لهذه الضرائب ، أو التى تكون — هى — مادة لها .

لقد اقام السلطان سليم نظاما للادارة والحكم خاصا بمصر ، لكن الموت الذى داهمه بعد وقت قصير من فتحه لها ، قد حال بينه وبين اتمام عمله الهام ، وحيث أن ابنه وخليفته سليمان هو الذى أتم انجاز هذا العمل فان من الواضح — فيما يبدو لنا — أن ننسب الى هذا الحاكم هذا النظام الخاص بمصر ، كما ينبغى أن تنتسب اليه كل مجموعة القوانين واللوائح التى تنظم شئون مصر ، ومع ذلك ، فان هذا هو الأثر الذى تحدثه الانتصارات والهزائم ، اذ تظل الشعوب مأخوذة ببريقها بأكثر مما تلتفت الى النظم الادارية التى يكون لها الأثر الحاسم على أسلوبها فى الحياة ، وهؤلاء هم مصريو اليوم لا يتذكرون سوى السلطان سليم ، فى حين أنهم قلمما يرد على لسانهم ذكر للواضع الحقيقى للقوانين التى يتبعونها .

عن الحكومة

يرأس حكومة مصر باشا يحد من سلطته الديوان الكبير والديوان الصغير وتتمثل سلطة هذا الباشا فى رئاسته لهاتين الجمعيتين وفى التصديق على قراراتهما ، وفى اعطاء الأوامر لوضعها موضع التنفيذ (١) . وكان الكخيا والدفتردار يتلقيان الأوامر منه قبل المداولات ثم يحيطانه علما بالقرارات التى أعقبت أوامره . وكان الباشا يقيم بقلعة القاهرة كما كانت وظائفه تزول بعد نهاية عام من توليته اللهم الا اذا صدر فرمان من السلطان يمد فترة ممارسته للسلطة .

(١) كان يحضر اجتماعات الديوانين متخفيا خلف ستارة نافذة تطل على مقر الديوان .

ويعطى الشرقيون اسم ديوان لكل جمعية تنشغل بشئون الحكومة والادارة . وقد وكل سليمان للديوان الكبير الحق المطلق فى البت فى شئون البلاد العامة والتي لا يحتفظ الباب العالى لنفسه بحق ادارتها ، أما الديوان الصغير ، أو الديوان بالمعنى الحقيقى للكلمة ، فقد وكل بتسيير الشئون الجارية بحيث تدخل كافة نواحي الادارة فى اختصاصه فيما عدا تلك التى يقتضى الأمر ، بحكم أهميتها ، أن تعالج بمعرفة الديوان الكبير ، وكان الديوان الصغير يجتمع كل يوم فى قصر الباشا ، وبحضر جلساته الكخيا والدفتردار والروزنامجى وممثل عن كل أوجاق (فرقة) من أوجاقات الجيش ، بالإضافة الى قائدى وكبار ضباط أوجاقى المتفرقة والجاويشية . وكان هؤلاء ، بحكم مناصبهم ، أعضاء كذلك فى الديوان الكبير ، الذى يتكون — بالإضافة اليهم — من أمير الحج ، وقاضى القاهرة ، ومن الشيوخ الهامين المنحدرين من سلالة محمد (الأشراف) ، ومن المفتين العلماء الأربعة (١) وعدد كبير من رجالات الأوجاقلو ، وكانت الأوامر الصادرة من الباب العالى توجه الى الديوان الكبير ، كما لم تكن هناك أوامر توجه لهذا الديوان الا عن طريق الباب العالى الذى يملك وحده حق عقد هذا المجلس .

وكانت الفرق العسكرية المنتصرة التى خلفها سليم بمصر تتوزع بين ستة أوجاقات ، ثم تكون من بينها أوجاق سابع (٢) بالإضافة الى المماليك الذين أفلتوا بعد دمار ملكهم والذين تعهدوا بالولاء للسلطان وطلبوا ان يخدموا فى صفوف جيشه . وقد شكلت هذه العصب التى تتمتع بامتيازات هائلة حامية مصر وطبقتها المتميزة فى نفس الوقت ، وظل هؤلاء يحتفظون بهذه الامتيازات بشكل وراثى بحيث كانت تنتقل الى ذريتهم ، وفى نفس الوقت كانت الخدمة العسكرية الاجبارية تنتقل الى هؤلاء الأحماد ، اذ كانت هذه الامتيازات تابعة لها . وكان لكل أوجاق أفندى واحد أو عدد من الأفندية موكلين بتحصيل موارده ودفن رواتبه التى يتفاوت قدرها تبعا لسلاح الأوجاق وطبيعة الخدمة التى يؤديها ، كما كان

(١) هم رؤساء المذاهب السنية الذين يسرون على نهج عمر (كذا) .
(٢) وكان يشار الى هذه الأوجاقات بالأسماء الآتية : متفرقة ، جاويشية ، جاموليان ، تافكجيان ، جراكسة ، مستحفظان أو انكشارية ، وأخيرا عزبان .

هؤلاء الأفندية مكلفين بسداد الانفاقات العامة للفرقة . وكانت شئون كل أوجاق نعالج بمعرفة ديوان خاص به يتكون من رجاله القدامى (اختيار ، ومعناها شيخ) وهؤلاء هم ضباط وبعض ضباط الصف من مختلف الرتب . ويتلقى هذا الديوان حسابات الأفندية ، ويتصرف فى المناصب الدنيا ، ويرشح للباشا بعض الأفراد اللازمين لشغل المناصب الأعلى ، وينبغى لهذا الديوان أن يصدق فى الوقت نفسه على هذه الاختيارات اذا تمت من جانب الباشا . وكان على الأوجاقلو (أى رجال الأوجاقات) الذين ينضمون الى الديوان أن يقيموا بالقاهرة ، ولم يكن بمقدور هؤلاء أن يمارسوا اية مهمة يمكن لها أن تبعدهم عن الديوان ، وكانوا ، شأنهم شأن بقية الضباط ، يرتدون بذلة تختلف باختلاف رتبهم ، ومن المفترض ان قوة هذه الأوجاقات مجتمعة يمكن لها ان تؤلف جيشا قوامه عشرون ألف رجل ، وان كان من النادر ان يكتمل هذا العدد الذى حدده السلطان سليم بنفسه ، اذ برغم أنه ينبغى أن تكون مصر هى مقرهم المعتاد ، فانهم لم يكونوا ليعفوا من تكوين فرق عسكرية تخدم بشكل عابر داخل الجيوش فى اقاليم أخرى من الامبراطورية العثمانية ، وكان أوجاق الانكشارية فى مقدمة من يزحفون الى أى مكان يرى السلطان من المناسب أن يستخدمه فيه ، وكان اغا هذا الأوجاق الذى تعقد له القيادة والذى كان قائدا للجيش أكثر منه مجرد رئيس احدى الفرق العسكرية ، ييسر نفوذه وسلطته على كل العسكر .

وقد أنشأ سليم ٢٤ (رتبة) بك طبلخانته (١) ، أسندت لاثنى عشر منهم مهام خاصة ومحددة ، بينما كان يوكل الى الآخرين القيام بمهام استثنائية أو ان يقوموا بمهام زملائهم الذين تزول وظائفهم بعد عام من ممارستهم لها .

(١) طبلخانة أى صاحب حق فى أن تصحبه فرقة موسيقية ، وهذا الحق فى تركيا هو أحد رموز السلطة ، وكان لباشا القاهرة ، شأنه شأن زملائه فى الأجزاء الأخرى من الامبراطورية ، الحق فى ان تتبعه فرقة موسيقية ، فكان هناك موسيقيون ، بقيمون على نفقته الخاصة ، يقدمون له فى أوقات محددة من اليوم حفلات موسيقية تلبق بالمكانة التى يشغلها بين الباشوات ، فقد كان الباشوات يميزون ما ان كانوا يشغلون مرتبة باشا بذيلين أو مرتبة باشا بثلاثة ذيول ، وكان البكوات يعاملون معاملة باشا بذيلين .

أما الاثنا عشر الأول من هؤلاء فهم :

كخيا الباشا .

الضباط البكوات الثلاثة الذين يحكمون جهات السويس ودمياط

والاسكندرية .

الدفتردار .

أمير الحج .

أمير الخزنة .

الحكام الخمسة لولايات : جرجا ، البحيرة ، المنوفية ، الغربية ،

الشرقية .

وكان الكخيا والدفتردار وأمير الحج هم وحدهم (من بين هؤلاء)

الذين لهم حق دخول الديوان .

وكانت وظيفة دفتردار تجعل منه ماسكا لسجل الممتلكات ،

كما أن عقود الملكية التي يعهد بها باسم السلطان (الى مستحقيها)

لا تعد صالحة الا بعد أن يؤشر عليها هذا الموظف بعد تأكده من تسجيلها

فى دفتره .

وكان أمير الحج يحمل الى مكة والمدينة الهدايا التي كانت ترسل

اليهما سنويا باسم السلطان كما يقوم بحماية قافلة الحج التي تنضم اليه

لكى تبلغ الأراضى المقدسة فى سلام .

أما أمير الخزنة فكان يحمل برا الى القسطنطينية ذلك الجزء من

موارد مصر والذي ينبغى أن يدفع لخزائن السلطان .

أما ولايات القليوبية والمنصورة والجيزة والفيوم فكان يحكمها كشاف

(كاشف) كان لسلطتهم نفس الزمن والمدى اللذين كانا لسلطة البكوات ،

ومن جهة أخرى فقد كان ينبغى أن تحظى أعمال هؤلاء وأولئك بموافقة

الشوربجية والأوجاقلو (العسكر) الآخرين الذين يكونون الديوان الخاص

بالولاية .

وفى ما عدا الكخيا وحكام ثغور السويس ودمياط والاسكندرية كان

لبكوات الآخرون يسمون من قبل الديوان ثم يقر الباشا ، وبعد ذلك

الباب العالى ، هذا الاختيار . وفى حين كان الاولون ، وهم الذين يرسلون من قبل الباب العالى ، يفقدون رتبة البكوية حين يعودون الى القسطنطينية بعد انتهاء مهمتهم ، كان الآخرون يظلون يحتفظون برتبتهم على الدوام اذ كانت هذه الرتبة نابتة غير قابلة للزوال برغم تغير الوظائف التى يشغلونها على مدى السنين فيما عدا وظيفة البك الدفتردار .

وهناك فكرة شائعة مؤداها أنه كان يتم اختيار البكوات من أوجاق المتفرقة ، وكانت صلة هؤلاء بالعسكرية تنقطع بمجرد أن يرفعهم هذا الاختيار الذى وقع عليهم من جانب الديوان الى هذه الرتبة .

وقد احتفظ الباب العالى لنفسه بتدبير مهام القيادة والدفاع عن موانئ ومناطق السويس ودمياط والاسكندرية ، حيث كانت هذه المدن وهى تشكل مداخل للنفاز الى مصر التى تحميها فى بقية حدودها صحراوات تفصلها عن شعوب اقل قوة — كانت تصون مصر من اى غزو خطير ، فى الوقت الذى تهيء فيه منافذ عدة للقوات العثمانية فى حالة قيام تمرد بين اهليها ، وكانت حامية هذه الثغور ، التى تجدد كل عام ، ترسل من القسطنطينية مع الحكام الثلاثة الذين يتولون قيادتها ، وبرغم أن هؤلاء الضباط يدخلون فى عداد البكوات فانهم لم يكونوا لينتموا الى مصر الا عن طريق فترة الاقامة التى كانوا يقضونها هناك ، والا كذلك عن طريق الاعانات المالية التى كانوا يحصلون عليها من الخزانة العامة كرواتب ونفقات لفرقهم ، وفيما عدا ذلك فقد كانوا غرباء عن الباشا وديوان القاهرة ولم يكونوا يعترفون الا بأوامر السلطان .

وقد أكد خضوع مصر وهدوء الأحوال بها لمدة قرنين من الزمان حكمة ماذهب اليه سليم وسليمان ، اذ ما أن كان يتجاسر ، خلال هذه المدة ، باشا القاهرة على العصيان حتى يعقله الديوان ويرحله الى القسطنطينية حيث يعاقب بالموت ، وقد خولت هذه البراهين على الولاء والاخلاص لهذا المجلس حق عزل الباشوات ، لكن طموح ابراهيم ورضوان كخيا اوجاقي الانكشارية والعزبان سرعان ماجاء ليهدد السلطة شبه المطلقة التى كان يحوزها الديوان بفضل هذا الامتياز ، اذ اتهما ، بمجرد أن توصلا الى تثبيت نفسيهما فى المناصب السنوية التى شغلاها ، قد استخدما الأوجاقات لتأكيد سيطرتهما فى داخل الديوان . كما استخدما مماليكهما لاخضاع

الأوجاقات أنفسهم ، وحتى هذه اللحظة لم يكن المماليك ، وهم مجرد عبيد اثنراهم البكوات والعسكر ينشكون نظيميا عسكريا خاصا ، ولم يكن يرى منهم سوى عدد ضئيل يصل الى المراتب الاولى ولم يكن ليتم ذلك الا بعد قبولهم فى داخل الأوجاقات ، وقد ابعء ابراهيم ورضوان الأتراك من كل المواقف كى يوزعاها على هؤلاء الأجاتب ، وقد كان مماليك الاول بالفى الكثرة والقوة معا حين مات سيدهم حتى انهم قضوا على حزب رضوان وانتحلوا لانفسهم نوعا من السيادة خالعين على رؤسائهم الجدد لقب : شيخ البلد ، اى المير البلاد (١) .

وقد تطلع على بك بعد ان تولى هذا المنصب بعد سبعة عشر عاما من انشائه الى الحصول على استقلال مطلق (٢) ، ولعل مهارته وشجاعته كانتا تؤهلانه للوصول الى تحقيق طموحاته لولا تلك الدسائس التى جعلته يتحامل على مملوكه محمد بك ، وحين اضطر الأخير ان يجاهر بعباوة سيده دفاعا عن حياته هو ، فقد قاتله باصرار حتى ارغمه على الفرار من القاهرة واللجوء الى سوريا ، وهناك هيا له الماوى والعون الشيخ ضاهر ، حاكم عكا ، ذلك الذى كانت المصلحة توحد بينه وبين على ، والذى كان هو الذى قدم له المثال الذى احتذاه للتمرد على سلطة الباب ، وليكن على بك الذى كان متسرعا اكثر مما ينبغى فى السعى للتغلب على نكبته ، لم يعد الى مصر الا لكى يلقى حتفه ، متأثرا بالجروح التى اصابته فى معركة الصالحية (٣) .

ولم يكن غربمه المنتصر قد اكمل بعد عامه الثالث فى الحكم حين فرضت عليه دوافعه الخاصة ، وكذلك اوامر الباب ، ان يغزو فلسطين ، شأخضع يافا وعكا ، لكن مرضا وبائيا قد جاء لبضع خاتمة لحياتته ، وسيطر البكوان مراد وابراهيم ، وريثاه فى السلطة ، دون تعارض بينهما لمدة عدة سنوات .

(١) من الضرورى الا نخلط بين هؤلاء وبين اولئك المماليك القدامى ، والذين كانوا يعرفون بالشراكسة ، اذ توقف الدور السياسى للاخيرين منذ فتح مصر على يد السلطان سليم .

(٢) فى عام ١١٨٠ من الهجرة ، ١٧٦٧ من الميلاد .

(٣) فى عام ١٧٧٣ (الميلادى) .

وعند نهاية هذه المدة أثار اسماعيل ، الملوك السابق لابراهيم ، كخيا الانكشارية ، حين ملأه السخط بسبب ابعاده عن المشاركة فى الحكم ، أثار ضدهما حزبا ارغهما على الانسحاب الى الصعيد ، وحين طاردهما اسماعيل ، اتخذ حسن بك ، رئيس ممالك بيت على بك ، والذي كان حتى ذلك الوقت مؤنلفا مع اسماعيل اذ كانا يشكلان قضية واحدة ، جانب غريميه اللذين اتاحت لهما هذه الردة (من جانب حسن) ان يعوضا كل ما كانا فقداه . ولجأ اسماعيل ، بعد ان اضطر الى الهرب الى آسيا ، الى الباب الذى نفاه الى بروصة ، ونمنع مراد و ابراهيم بعد هذه الازمة بفترة ازدهار طويلة ، أساء استخدامها كي يتملصا من أوامر السلطان ، ويبيدا موارده من مصر كما استبدا بالناس .

وعندما ضاق السلطان بهذا السلوك الذى لا يختلف فى قليل أو كثير عن التمرد ، كلف قبطان باشا بانزال العقاب بهما (١) . ولم ينتظرا البكوان وصوله الى القاهرة ، وكان جزء من الصعيد قد احتلته من قبل قوات اسماعيل بك بعد ان انسل من منفاه ، وكان جزء آخر يحتله حسن بك بعد ان كان قد قطع صلته بهما ، وعندما هوجم مراد و ابراهيم من ناحية القاهرة على يد قوات قبطان باشا ، وفى نفس الوقت هوجما من ناحية المؤخرة على يد ممالك كل من اسماعيل وحسن ، فقد قاوما كلا الفريقين . وحيث قد استدعى قبطان باشا الى القسطنطينية لقتال الروس ، فقد عقد الصلح مع هذين اللذين لم يكن قد قدر له بعد ان يلحق الهزيمة بهما ، تاركا فى حوزتهما عدة مقاطعات بالصعيد . ونال اسماعيل وحسن ، اللذان تركهما حاكمين للقاهرة والدلتا وبقية الولايات المتاخمة ترحيب الباب العالى بفعل خضوع لم يیده سلفاهما على الاطلاق ، وبعد مضى أربع سنوات اجتاح البلاد طاعون مميت ، أكثر هلاكا من كل طاعون مميت تغيه ذاكرة البشر ، فأتى على عدد كبير من ممالك القاهرة بمن فيهم اسماعيل بك نفسه ، وعندما أيقن عثمان بك طوبال ، خليفته ، ان لديه كل ما يخشاه من حسن بك ، فانه لم يجد الأمن والملاذ لرجاله الا فى دعوة مراد و ابراهيم (للحكم) ، ورحب الباشا بعودتهما الى السلطة ، الأمر الذى أعاد ترتيبه بمهارة بالغة حتى ان ممالك حسن ، الذين شدهتهم المفاجأة حين ظهر هذان

(١) فى سنة ١٧٨٦ .

البكوان على حين غرة عند أبواب القاهرة ، قد وجدوا أنفسهم يهربون دون قتال ملتجئين فى الصعيد مأوى لهم .

ولم يتوان مراد وإبراهيم ، وقد عادا الى قمة الحكم ، فى ان يجددا مساوىء السلطة التى ميزت الفترة الأولى من حكمهما ، وبدوا وكأنما هما قد حصلوا على حق الاجترار على سيدهما (السلطان) كحق مكتسب لهما ، بالإضافة الى حقهما فى قهر مصر والزراية بكل البشر الى أن وضع قائد عظيم (بونابرت) حدا لحكمهما .

وهكذا نكون الان ، (من هذه المقدمة) قد وقفنا على تلك الأسباب التى أدت الى انهيار تلك الحكومة التى أوجدها سليم وسليمان عندما أدت مجريات الأمور الى عودة المماليك الى مصر .
ونمضى الآن كى نعرض للمبادئ التى استقرت بخصوص نظم الملكية فى هذه البلاد .

عن الملكية

نستطيع ان نميز فى مصر بين ثلاثة انواع من الملكية ، هى :

ملكية الأراضى .

ملكية الوظائف .

ملكية الرسوم والضرائب على الصناعة والاستهلاك (التجارة) .

وقد أعلن السلطان نفسه المالك الوحيد ، لكل أراضى مصر ملك له ، ومع ذلك فحيث قد انتقلت هذه الأرض الى مستغلين يسمون ملتزمين (ملتزم) يستطيعون ان يتصرفوا فيها ، وحيث كان محرما ابطال هذا الحق الممنوح لهم ، وحيث كان من النادر ان ترفض ايلولة حق الاستغلال هذا الى ورثة هؤلاء الملتزمين ، فان هذا النظام للأشياء ظل يحقق مزايا تتساوى مع نفس المزايا التى تحققت الملكية ، فقد احتفظ الفلاحون بحق التملك المباشر والوراثى للجزء الأكبر من الأراضى التى آلت تبعيتها للملتزمين ، وان كان ذلك لايعطيهم حق بيع الأرض أو هجرها ، واذا حدث ان مات بعضهم دون أبناء أو ورثة فان الأراضى التى كانوا يملكونها تعود لتصبح تحت تصرف الملتزم الذى يضطر لاعطائها الى فلاح آخر ، وحين يموت أحد

الملتزمين ، دون أن يخلف هو الآخر من يرثه تعود أرضه الى السلطان الذى يعهد بها بدوره الى ملتزم آخر .

وتنقسم اراضى مصر كلها الى اراضى : الاثر ، الويسية ، الرزق (رزقة) ، الاطلاق (او الاتلاق) .

ويمتلك الفلاح اراضى الاثر .

وتؤهل ملكية الويسية الى الملتزم .

اما الرزق فهى اراضى اوقفت على الأعمال الخيرية ، وهى حرة وخالصة من اية ضريبة ، وقد وجدها سليم على هذه الحال واقرا حصانتها حين امتنع عن أن يعهد بها الى ملتزمين ، وقد ظل الأشخاص الذين حددتهم حجج انشاء وادارة هذه الرزق ، يتمتعون حتى اليوم بنفس هذه الدرجة من الاستقلال .

وهناك بعض اراضى تسمى اراضى الاطلاق ، وتتمتع بنفس هذه الحرية ، وهذه مخصصة لتوفير العليق اللازم لخيول الباشا والبكوات .

وقد حمل سليم كثيرا من الملتزمين بعوائد سنوية خصصها او اعترف بتبعيتها لأفراد او مؤسسات عمومية او خيرية ، وتعرف هذه العوائد باسم الأوقاف ، وقد أخضع خلفاؤه ملتزمين آخرين لعوائد مماثلة ، وفى النهاية أنشأ بعض الملتزمين أوقافا جديدة ، وألزموا ورثتهم بهذه الالتزامات . وتسمى هذه العوائد ، التى تشكل ملكيات حقيقية ، اذ تعهد الملتزمون أنفسهم بدفعها بصفة دائمة ، رزقا نقدية ، وهى تشكل عادة ، شأنها شأن رزق الأرض ، جزءا من عوائد الأوقاف ، واذ كان لأصحابها الحق فى النزول عنها او نقل ملكيتها للغير فقد كانت تسدد لأولئك الذين يحصلون على الحق فيها اما عن طريق الشراء واما عن طريق الارث .

ويمكننا أن نميز نوعين من الأوقاف : الأوقاف السلطانية، أى تلك التى أنشئت قبل من قبل السلاطين والأوقاف الخاصة . وتتكون الأولى من عوائد نقدية أو عوائد من الحبوب يوزعها السلطان بمعرفته على الجهة المخصصة لها ، أما الأخرى فلا يقتصر تكوينها على رزق الأرض او الرزق النقدية او رزق الحبوب ، بل هى تشمل كذلك على البيوت والوكالات والحدائق التى تمتلكها فى مجموعها اما مؤسسة أو منشأة خيرية واما ذرية مؤسس هذا

الوقف أو ذاك والذي لم يوجه ملكيته (التي أوقفها) لخدمة غرض ديني أو خيري ، اللهم إلا إذا لم يكن قد خلف ورثة على الإطلاق . وكان مثل هذا التصرف شائعا للغاية في مصر ، إذ كان يضع تحت حماية الدين تلك الحقوق التي ينقلها صاحب الوقف إلى أبنائه .

أما الوظائف فكانت إما سنوية وإما ثابتة ، وقد عين السلطان مخصصات لهذه الوظائف أو تلك وهي عبارة عن امتيازات من الأرض ومن الحقوق أو الرسوم من كل نوع . ولم يكن لمن يتقلد الوظائف من النوع الأول أن يتمتع إلا بامتيازات بسيطة تنتهي بانتهاء مدة وظائفهم . أما الوظائف من النوع الثاني فكانت لها طبيعة الملكية بمعنى أنه لم يكن يحق للسلطان أن يمنع أن يتقلد أي شخص هذه الوظيفة إذا مباحه إياها صاحبها الأصلي أو نزل عنها لصالحه . وقد رأينا هذه الوظائف وهي تنتقل بشكل عادي إلى أبناء أو ورثة الموظف الذي كان يشغلها .

وتتفرع ملكية الرسوم المقررة على الصناعة والتجارة من ملكية الوظائف وهي تتمثل في الممتع الكلي والكامل بهذا النوع من الدخل الذي أنشأه سليمان لصالح شاغلي الوظائف وآخرين ، بشكل يحصلون معه على دخل يتناسب مع مالهم من مكانة وما عليهم من التزامات .

وتشكل البيوت ورعوس الأموال والقيم المنقولة ملكيات يبدو أنها كانت مجهولة من قبل الحكومة ، فكان المصريون ينتفعون بها بالبيع والشراء والهبة دون تدخل من جانب الخزنة .

الباب الأول

الضرائب العامة

الفصل الأول

الضرائب على الأراضي

لم يتوصل الأتراك الى اقامة نظام ثابت للضرائب فى مصر الا بعد كثير من الجهود والأبحاث ، فحيث كانت وثائق الحكومة قد احرقت بفعل المماليك ، فقد حاول السلطان سليم أن يستعيض عنها بمعلومات حصل عليها من موظفى الادارة السابقة ، فعرف حصيلة الضرائب عندما ارغم الموظفين العموميين الذين كانوا يسلمون لكل ممول بياناً بما ينبغي عليه أن يدفعه ، أن يسلموه هو سجلات عملياتهم هذه . وفى نفس الوقت ، فحيث أن المعلومات التى حصل عليها عن هذا الطريق لم تهيب له النتائج التى كان يرغب فى الالمام بها فقد أمر بتقسيم عام للبلاد الى ولايات أو مقاطعات ، ومدن ، وقرى ، ثم قسم كل زمام بدوره الى فدادين . وعلينا منذ الآن أن نتقبل فكرة أن اعمال هذا المسح لم تبلغ الدقة المرجوة لها بشكل تام على الاطلاق ، حيث لاتزال توجد فى كل هذه الولايات تقريبا املاك وقرى بأكملها لاتزال مساحتها مجهولة للحكومة .

اولا : عن المال الحر

هناك مجموعة من الرسوم أو الضرائب تدرج كلها تحت اسم المال الحر ، أى الضريبة الخالصة ، وتستخدم حصيلتها التى يقوم الملتزم بجبايتها :

- ١ — فى سداد المال الميرى .
- ٢ — فى دفع الكشوفية .
- ٣ — فى تكوين الفايز (الفائض) .

ويدفع المال الميرى الى السلطان ، أما الكشوفية فتعطى للبك أو الكاشف حاكم الولاية، في حين أن الفايز هو الدخل الخاص الذي يبقى للملتزم .

ونقدم فيما يلي جدولاً بالمبالغ المفروضة على ولايات مصر والتي تدخل

| كوريكجى أعمال (تطهير) الترع | أصل الميرى | اسم الولاية |
|--------------------------------|------------|-------------|
| مدينى | مدينى | |
| ١١٠٠٤٥ | ١٠٤٩١٢١ | قنا . |
| ١٠٥٠ | ٥١١٦٠٠ | اسنا . |
| ٣٦٠٥٨ | ٥٤٤٣٤٣٧ | جرجا . |
| ٢٨٦٤٣ | ٢١٩١٠٥١ | سيوط . |
| ٢٠٦٩٦ | ٨٠٦٨٧٠ | منقاوط . |
| ٢٣٧٣٦ | ٣٢٢١٣٠ | المنيا . |
| ٤٩٢٩٢ | ٣٤٣١٠٠١ | بنى سويف . |
| ٢١٨١٦ | ٢٢٩٣٠٢١ | الفيوم . |
| ٦٠٣٥ | ٦٣٢٧٨٠ | أطفيح . |
| ٣٣٨٣٤ | ٤٣٣١٧٧٣ | الجيزة . |
| ٣٠٢٧٤ | ٣٨٣٨٤٣٤ | القليوبية . |
| ٣٩٩٨٤ | ٥٠١٢٣٥٩ | الشرقية . |
| ٤٢٦٨٩ | ١١١٤٤٣٢٩ | البحيرة . |
| ٥٢٥٨١ | ٩٤٩٩١٤٢ | المنصورة . |
| ١٢٥١١٢ | ١٥٤٠٠٥٣٥ | الغربية . |
| ١١٠٠٤٦ | ١٢٤٠٣٩٠٨ | المنوفية . |
| ٦٣٢٨٩١ | ٧٨٣١١٤٩١ | الإجمالى |

ضمن هذه البنود الثلاثة وقت مجيء الجيش الفرنسي ، ونجد في سجلات
المسيو استيف تلك الوسائل التي كان عليه ان يلجأ اليها للحصول على
هذا الجدول :

| ملاحظات | المجموع | |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------|---------|
| | مديني | مديني |
| في هذه الولايات التي تكون في مجموعها بلاد الصعيد يسدد الجزء الأكبر من الضريبة عينا . لكننا لم نورد هنا إلا ذلك الجزء من الميرى الذي يسدد نقداً . | ١٠٦١٩٦٣ | ١٧٩٧ |
| | ٥٢٣١٨١ | ١٠٥٣١ |
| | ٥٤٩٣٠٧٤ | ١٣٥٧٩ |
| | ٢٢٢٣٩٠١ | ٤٢٠٧ |
| | ٨٢٨٥٣٢ | ٩٦٦ |
| | ٣٤٥٨٦٦ | ٩٦٦ |
| | ٣٥١٧٩٤٤ | ٣٧٦٥١ |
| | ٢٣٣٧٢٠٨ | ٢٢٣٧١ |
| | ٦٤٦٩٧١ | ٨١٥٦ |
| | ٤٤٤٣٢٠٧ | ٧٧٦٠٠ |
| | ٣٩٣٠٧٤٢ | ٦٢٠٣٤ |
| | ٥١٤٦٩٣٢ | ٩٤٥٨٩ |
| | ١١٢٧٩٤٩٧ | ٩٢٤٧٩ |
| | ٩٧٠٧٨٣٨ | ١٥٦١١٥ |
| | ١٥٧٨٦١٩٤ | ٢٦٠٥٤٧ |
| ١٢٧٤٤٨٤٠ | ٢٣٠٨٨٦ | |
| د س ويبادل ٨ ١٥ جنوباً توريا ٢,٨٥٧,٧٨١ | ٨٠٥٠١٧٨٩٠ | ١٠٧٣٥٠٨ |
| س وبالفرنكات ٥٢ ٢,٨٢٢,٥٠٠ | | |

أما الميرى فهو الضريبة التى خص بها السلطان نفسه ، ولم يكن الميرى المقرر على الأراضى الزراعية يبلغ فى الأصل سوى ٧٠٨٩٨ر٨٩٨٠ ولكن السلاطين أحمد ومحمد ومصطفى قد رفعوه على التوالى حتى بلغ الإجمالى الذى أوردناه .

وهذا التقسيم الذى رايناه لهذه الضريبة هو نفس التقسيم الذى أنشأه سليم وسليمان . وسواء أكان الأمر ناتجا عن ثغرة فى العمل أو كان تفسخا أو كان نتيجة لتحسن طرا على حالة بعض الأراضى ، فقد كان هذا التقسيم أو التوزيع (لضريبة الميرى) معيبا للغاية ، إذ يرى المرء فى معظم الولايات أراضى شاسعة وخصبة لكن الضريبة التى قدرت عليها أقل من تلك التى فرضت على أراض أخرى ليست لها نفس المزايا .

وأما مبلغ الـ ٦٣٢ر٨٩١ مدينى التى وردت نحت بند كوريكجى فلم يكن يدخل فيما مضى ضمن موارد الخزينة العامة ، لكنه أصبح منذ الآن فصاعدا جزءا من المال الحر ، فكان يحصله أحد الأفندية من الملتزمين مباشرة ليستخدمه فى نفقات النقل والأعمال اللازمة الأخرى ليتم إرسال انقاض القاهرة الى مصبات النيل حيث كانت تلقى فى البحر . ويراقب الروزنامجى هذا العمل فى كل مراحلته ويتسلم الحساب الخاص بذلك من هذا الأفندى . وعندما أساء القادة المحليون استخدام حصيلة هذا البند ، أو بدأوا ينفقونه فى غير أغراضه ، منذ نحو قرن ، أمر الباب العالى بأن يدخل ضمن موارد ، وقد نتج عن توقف الاتفاق على الأغراض التى كانت مخصصة لها حصيلة هذا البند قيام تلال صناعية فى ضواحي القاهرة كانت تفوح منها باستمرار روائح كريهة ، كما كانت تهب منها أتربة مزعجة وضارة بالصحة .

وقد تقررت تذاكر الجاويشية بمعرفة السلطان لتوفير أجر اضافى لأفراد أوجاق الجاويشية الموكلين بحماية تحصيل الميرى ، وكان ضباط هذا الأوجاق يحصلون بأنفسهم هذه الضريبة بشكل مباشر ، ومع ذلك فى السنوات الأخيرة ، وحين رفض الملتزمون سدادها ، سارع الباشا الى معونة هذا الأوجاق ، الذى أمسى بالغ الضعف لحد لم يستطع معه الزامهم بسدادها ، فأمر بموجب فرمان بأن يحصل هذا الرسم باعتباره جزءا من الميرى وأن يوجه للفرض الذى حدده هذا فرمان .

ننتقل بعد ذلك الى الحديث عن الكشوفية كما انشأها سليمان ،
وهى التى أصبحت نتيجة لذلك جزءا من المال الحر ، لنميزها عن تلك
الكشوفية الجديدة التى أضيفت (الى الضرائب المقررة) منذ عهد هذا
الحاكم .

ويوضح لنا الجدول الآتى حصيلة هذه الضريبة وتلك .

| كشوفية | | كشوفية قديمة | | | اسم الولاية |
|-------------|------------|--------------|-------------|------------|-------------|
| رفع المظالم | الإجمالي | كافة | خدمة العسكر | مال الجهات | |
| بالمدينى | بالمدينى | بالمدينى | بالمدينى | بالمدينى | |
| — | ١٢٥,٦٦٤ | ١٢٥,٦٦٤ | — | — | قنا |
| — | ٩٥٤,٢٦٧ | ٩٥٤,٢٦٧ | — | — | إسنا |
| — | ١,٨٧٨,٣١٦ | ١,٨٧٨,٣١٦ | — | — | جرجا |
| — | ٨٥٨,٩٧٥ | ٨٥٠,٩٧٥ | — | ٨,٠٠٠ | سيوط |
| — | ٤١٩,٦٣٥ | ١٣٧,٧٤٨ | — | ٢٨١,٨٨٧ | منفلوط |
| — | ٩٩٧,٨١١ | — | ٤١٥,٠٣٣ | ٥٨٢,٧٧٨ | المنيا |
| ١,١٢٨,٢٥٠ | ٢,٢٤٨,٤٩١ | ٨٢٢,٩٤١ | ٤٥٨,٧٢٨ | ٩٦٦,٨٢٢ | بنى سويف |
| ٩٥,١٢٤ | ٣٣٢,٢٦٩ | ١٣٧,٣٤٩ | — | ١٩٤,٩٢٠ | الفيوم |
| — | — | — | — | — | أطفيح |
| ٢٥٩,٦٠٠ | ٤٧٢,٣٥٢ | ٤١,٦٢٥ | ١٠٨,٥٧٠ | ٣٢٢,١٥٧ | الجيزة |
| ٦٢٧,٣٦٥ | ٦٦١,٠٩٧ | ٤٣,٤٤٤ | ٢٣٥,٣٤٥ | ٣٨٢,٣٠٨ | القاىوبية |
| ٢,٣٦٨,٨٠٠ | ١,٣٤٨,١١٩ | ٩٣,٣٦٧ | ٦٠٦,٩٥٠ | ٦٤٧,٨٠٢ | الشرقية |
| ٢,١٤٠,٩٢٥ | ١,٥٥٩,٦٩٠ | ٤٩٩,١٠٠ | ٤٥٦,٣٢٨ | ٦٠٤,٢٦٢ | البحيرة |
| ٢,٦٣٥,٠٢٥ | ١,٧٦٢,٨٦٦ | ٣٤٠,٢٧٣ | ٦٨٠,٧١٠ | ٧٤١,٨٨٣ | المنصورة |
| ٤,٥٠٦,٣٢٠ | ٢,٣٩٧,٦٦٤ | ٨٢,٩٣٨ | ٨٣٩,٢٣٩ | ١,٤٧٥,٤٨٧ | الغربية |
| ٢,٥١٣,٤٣٠ | ١,٥٤٧,٦٩٨ | ٢٠٩,٣٠٦ | ٥٩٥,٤١٠ | ٧٤٢,٩٨٢ | المنوفية |
| ١٦,٢٧٤,٨٣٩ | ١٧,٥٦٤,٩١٤ | ٦,٢١٧,٣١٣ | ٤,٣٩٦,٣١٣ | ٦,٩٥١,٢٨٨ | الإجمالي |

| ملاحظات | الإجمالي العام | جـ - لمدينة | | |
|---------------------------------------------------------------------------------------|----------------|-------------|-----------|------------|
| | | الإجمالي | كلفة | فردة النحر |
| | بالمدينى | بالمدينى | بالمدينى | بالمدينى |
| | ١٢٥,٦٦٤ | — | — | — |
| | ١,٠٧٩,٢٦٧ | ١٢٥,٠٠٠ | ١٢٥,٠٠٠ | — |
| | ٢,٠٧٧,٦٨٢ | ١٩٩,٣٦٦ | ١٩٩,٣٦٦ | — |
| | ٩٢٢,٦٢٥ | ٦٣,٦٥٠ | ٦٣,٦٥٠ | — |
| | ٨٤٠,٠٥٥ | ٤٢٠,٤٢٠ | ٤٢٠,٤٢٠ | — |
| | ٣,٠٩٩,٧٢٩ | ٢,١٠١,٩١٨ | ٢,١٠١,٩١٨ | — |
| | ٣,٣٧٦,٧٤١ | ١,١٢٨,٢٥٠ | — | — |
| | ٦٤٧,٧٢٢ | ٣١٥,٤٥٣ | ٢٢٠,٣٢٩ | — |
| | — | — | — | — |
| | ٢,٣٩٤,٧٥٨ | ١,٩٢٢,٤٠٦ | ١,٦٦٢,٨٠٦ | — |
| | ١,٧١٠,٤٦٢ | ١,٠٤٩,٣٦٥ | — | ٤٢٢,٠٠٠ |
| | ٥,٤٧٤,٦٤٨ | ٤,١٢٦,٥٢٩ | ٦٩٥,٩٥٩ | ١,٠٦١,٧٧٠ |
| | ٥,٤٠٨,٧٠٣ | ٣,٨٤٩,٠١٣ | — | ١,٧٠٨,٠٨٨ |
| | ٦,١٥٩,١٩٢ | ٤,٣٩٦,٣٢٦ | ٨٧٤,٦٢٤ | ٨٨٦,٦٧٧ |
| | ١٠,١٦٥,٦٦٥ | ٧,٧٦٨,٠٠١ | ١,٦٥٠,٠٧٤ | ١,٦١١,٦٠٧ |
| | ٦,٣٩٧,٥٨١ | ٤,٨٤٩,٨٨٣ | ٩٣٠,٤٠١ | ١,٤٠٦,٠٥٢ |
| | ٢,٧٨١,٤٤٦ | ٣٢,٣١٥,٥٨٠ | ٨,٩٤٤,٥٤٧ | ٧,٠٩٦,١٩٤ |
| ويعادل الإجمالي : د س ج ت ٢,٧٨١,٤٤٦ ٤ ٣ وبالفرنسكات : ف س ٢,٧٤٧,١٠٧ ٣٦ | ٤٩,٨٨٠,٤٩٤ | ٣٢,٣١٥,٥٨٠ | ٨,٩٤٤,٥٤٧ | ٧,٠٩٦,١٩٤ |

أما مال الجهات فهو عبارة عن ضريبة كانت تتم جبايتها في كل قرى الدائرة . ويضع الملزمون حصيلة هذه الضريبة ، التي يقع على عاتقها أكبر قدر من مصروفات « الاسلامية » (*) تحت تصرف حكام الولايات ، ويقوم هؤلاء بسداد هذه المصروفات ، ويحتفظون بما يتبقى منها لحسابهم .

وتجبي ضريبة خدمة العسكر لحساب الشوربية ولصالح ضبط جنود آخرين من بقية الفرق العسكرية ، وبخاصة من جنود أوجاقات التفكجيان والجاموليان والشراكسة المنتشرين في الولايات للعمل هناك مكونين الديوانات (المحلية) أو باعتبارهم مراقبين للبكوات أو الكشاف الحكام . وكان هؤلاء العسكر يجبون هذه الضريبة مباشرة من الملزمين طبقا لتفويض محرر من البك أو الكاشف . وعندما لاحظ محمد بك أن هذه الضريبة قد ازدادت بشكل كبير ، فقد أعادها الى القدر الذي حدده لها سليمان .

ونمثل الكلفة عدة عادات عينية ونقدية خصصتها اللوائح القديمة للحكام وأفراد بيوتهم . وقد تحولت هذه الرسوم الى اعانات مالية ينبغي على الملزمين أن يقوموا بدفعها . وقد أضفنا في دراستنا الى هذه العادات عادة تعرف باسم حوالة الحوالات ، وهو تعبير عربى يعنى التعويض الذى يدفع لحملة الرسائل ، الذين يرسلون على وجه السرعة الى القرى ، لى يخطروا المولين بالبلغ الذى ينبغى عليهم أن يدفعوه ، لأنه تبين لنا أن حوالة الحوالات كانت تضاف الى الكلفة فى كل ولايات مصر ، فيما عدا ولايتى الغربية والمنوفية .

وقبل وقت طويل من عهد محمد بك كان حكام الأقاليم قد منحوا أنفسهم بشكل استبدادى حق زيادة الكشوفية ، لكن الملزمين ، فى عهده ، وقد كانوا فى حالة لا تسمح لهم بتحمل هذه الابتزازات ، التي لايقف تزايدها عند حد ، قد أشعروه بأن من الضرورى وضع حد لهذه الابتزازات . وأدرك محمد بك أنه اذا كان من المناسب أن تزيد هذه الرسوم (أو الغادات) من جهة ، فان من الظلم الصارخ من جهة أخرى أن بترك تقدير ذلك لراى الحكام . وحين قرر قراره على الغاء كل ماكان هؤلاء الحكام

(*) رسم يحصل لصالح محمل الحج كما سيرد بعد ذلك (المترجم)

يفرضونه ، زيادة عن الكشوفية القديمة ، فقد منحهم حق تحصيل عادة جديدة سميت باسم عادة رفع المظالم .

وقد أراد القبطان باشا حسن ، الذى حاول أن يعيد النظام الى مصر بعد الاضطرابات التى أعقبت موت محمد بك ، أن يقلص الضرائب لكى تعود الى نفس القدر الذى حددته لوائح سليمان ، لكن أفكارا لاحقة قد أثنته عن ذلك ، فتنبنى نفس الاعتبارات التى أدت الى نشأة عادة رفع المظالم ، واكتفى بأن يطلق عليها اسما جديدا هو عادة حق البيات (أى عادة ثمن الإقامة) .

وحيث أدت الأحداث التى أعقبت رحيله الى تثبيت سلطة البكويين مراد وابراهيم ، فان حكام الأقاليم قد بزوا أسلافهم فيما كانوا يقومون به من الايتزازات وعمليات السلب ، بحيث أصبح الأمر يقتضى أن تتحول هذه الى بنود ضريبية جديدة ، فأضاف ابراهيم ومراد الى الرسوم أو الضادات القائمة عادة فردة التحرير .

وبعد ذلك أضيف لحق الطريق الذى أنشأه محمد بك لكى يتكفل بنفقات تحصيل رفع المظالم رسم جديد لحق الطريق يلزم لجباية فردة التحرير ، وفى النهاية جمعت كل الأعباء التى فرضت بشكل استبدادى على القرى منذ موت محمد بك فى ضريبة وحيدة أشير اليها باسم الكلفة ، وذلك بسبب تطابق الرسوم (أو العادات) التى تكونها مع تلك التى كانت تدخل فى اطار هذا الاسم فى الكشوفية القديمة .

ويبين الجدول الذى نقدمه هنا الحصة التى تعود الى الملتزمين من الضرائب فى حالة رى كل الأراضى .

| ملاحظات | الإجمالي | الزيادات | | الفايظ | أسماء الولايات |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------|-------------|-------------|------------|----------------|
| | | برائى مستجد | برائى قديم | | |
| <p>حيث كان تحصيل المال الخمر في الصعيد يتم نقداً أو عيناً تبعاً لنوع المحصول الذى يزرعه الفلاحون في أراضيهم فقد كان لزاماً علينا أن نحول الحصيلة التى يتم سدادها عيناً كما يفضل الناس عادة بهذه البلاد إلى قيمة نقدية حتى يمكننا أن نقدر حصيلة الفايظ المستحق .</p> | بالدينى: | بالدينى | الدينى | | |
| | ٣,٣١٥,٠٢٣ | — | ٢٩٧,٨٢٦ | ٣,٠١٧,١٩٧ | قنا |
| | ١,٩٤٦,٢٦٩ | — | — | ١,٩٤٦,٢٦٩ | إسنا |
| | ١٤,٨٨٣,٢٧٨ | — | ٤,٥٤٣,٤٩٩ | ١٠,٣٣٩,٧٧٠ | جرجا |
| | ٥,٢٠٢,٦٤٥ | ١١٠,٥٠٠ | ٣,٢٧٠,١٥٧ | ١,٨٢١,٩٨٨ | سيوط |
| | ٣,٠٢٦,٧٠٣ | ١٦٢,٨٥٩ | ٥٧٩,٢٦٦ | ٢,٢٨٤,٥٧٨ | منفلوط |
| | ٣,٥٢٦,٣٠٢ | — | ١,٠٣٩,١٧٠ | ٢,٤٨٧,١٣٢ | المنية |
| | ١٩,٠٤٠,٠١٤ | ٣,٠٩٨,٦٩٠ | ٧١٣,٣١٥ | ١٥,٢٢٨,٠٠٩ | في سويسف |
| | ٧,٠٨٦,١٨٢ | ٨٨٣,١٩٣ | ٧٧٦,٦٧٩ | ٥,٤٢٦,٣١٠ | الفيوم |
| | ٥,١٦٩,١٧٥ | ١٨٢,٤٤١ | ٣٦٢,٠٤٤ | ٤,٦٢٤,٦٩٠ | أطفيح |
| | ١٠,١٩١,٢١٢ | ٧١٠,٩٦٣ | ٩٣٧,٠٨٢ | ٨,٥٤٣,١٦٧ | الجزيرة |
| | ١٥,١١٩,١٩٩ | ٥,٥٠٣,١٥٠ | ٥٨٩,٤٢٨ | ٩,٠٢٦,٦٢١ | القليوبية |
| | ١٩,٢٢٧,٤٤٨ | ٣,٦٢٥,٩٢٦ | ٣,٢٣٢,٧٩٦ | ١٢,٣٦٨,٧٢٦ | الشرقية |
| | ٢٣,٠٦٨,٣٧١ | ١,٧١٥,٥٧٨ | ١,٥٥٢,٣٤٤ | ١٩,٨٠٠,٤٤٩ | البحيرة |
| ٢٧,٠٥٨,٨٤٠ | ٦,٧٨٣,٣١٣ | ٨,٦٥٨,٨٦٧ | ٢١,٦١٦,٦٦٠ | المنصورة | |
| ٢٥,٦٠٩,٨٠٥ | ١٣,٧٦٦,١٠٣ | ١٢,٠٠٤,٨١٦ | ٣٩,٨٠٢,٨٨٦ | الغربية | |
| ٤٠,٧٥٧,٥٦٣ | ١٢,١٧٦,١٣٣ | ٦,٧٥٧,٣٨٤ | ٢١,٨٢٤,٠٤٦ | المتوفية | |
| ٩,٧٩٣,٨٥٠ | — | — | — | — | |
| ٩,٦٧٢,٩٤٦ | ٢٧٤,٣٢٨,٢٠٩ | ٤٨,٧١٨,٨٤٩ | ١٨٠,١٥٨,٥٠٧ | الإجمالي | |

ب
٩,٧٩٣,٨٥٠
٣
٧
٣
٢٤
تبادل :
فراك

والفايظ (الفائض ، اى الجزء الذى يبقى) هو ذلك الجزء من المال الحر الذى خصصه السلطان للملتزم ، ولم يكن هذا الجزء محددًا أو ثابتًا بشكل مؤكد ، شأن الميرى أو الكشوفية ، حيث لم يكن للملتزم أدنى حق فيه الا بعد أن يفي بالتزاماته قبل السلطان وحكام الأقاليم . ولما كانت الأرض التى لا تغمرها مياه الرى معفاة بشكل مبدئى من سداد أية ضريبة ، فقد نتج عن ذلك أن الفايظ كان عرضة للزيادة والنقصان تبعًا لاتساع أو انحسار المساحة المروية من الأراضى التى ينبغى عليها أن تسدد المال الحر . وقد أطلق على الزيادات التى ألحقت بالفائظ هذه التسميات : برانى قديم وبرانى جديد ، مضاف قديم ومضاف مستجد . وليس ثمة اى نص رسمى يدل على انشائها ، لكن الملتزمين قد جعوا من الهدايا والاتاوات التى يدفعها الفلاحون مقابل خدمة عارضة أو طبقًا لتقليد ما رسوما واجبة السداد بشكل حتمى .

وتعود جباية البرانى القديم الى زمن بالغ القدم ، وينظر اليه اليوم باعتباره ضريبة تماثل فى انتظامها ضريبة المال الحر المبدئى .

أما البرانى الجديد (أو المستجد) فقد ابتدعه البكوات المماليك متذرعين بنفس الادعاءات التى استخدمت من قبل لتبرير جباية البرانى القديم .

واليوم ، تحصل نقدا كل الرسوم (أو العادات) التى تشكل كلا من البرانى القديم والبرانى المستجد ، وبرغم انتظامها على هذا النحو فانها لم تدون فى جداول الضرائب المقررة على القرى ، لكننا لانجد نفس الشئ بالنسبة لمختلف فروع الكشوفية الجديدة ، فحيث أن الحكومة قد أوجبت على الملتزمين ، وهم مثقلون بالفعل بدفع الكشوفية القديمة ، أن يدفعوا لقادة الولاية ضرائب رفع المظالم وفردة التحرير والكلفة الجديدة فقد كان تحصيل هذه الضرائب يتم بموجب نص من السلطة لا يمكن للقرية معه أن تنكرها ، وعلى العكس من ذلك فحيث أن البرانى لم يكن ملزما للفلاحين طبقًا لنص محدد ، فقد كان من الضرورى للملتزم أن يواصل التذكير بالعادات المنشئة للرسوم التى تتكون منها ضريبة البرانى هذه .

وكانت الادارة الخاصة بقرية ما تنشئ مصروفات تحصيل تنفقها فى الاستجابة للمطالب المحلية وفى دفع اجور الموظفين الذين عينهم السلطان فى كل وحدة (ادارية) ، ولم تكن مصروفات التحصيل هذه تدخل ضمن الجداول التى سبق أن أوضحناها إذ كان الذين يقومون بجبايتها ينفقونها مباشرة فى الأغراض المحددة لها ثم يخصمونها من اجمالى المبالغ التى حصلوها لحساب الملتزم .

وسنقدم قائمة طبق الأصل بالضرائب التى كانت تجبى من احدى قرى مصر على النحو الذى قدمه واحد من هؤلاء الجباة . ويقتضى نسق هذا المؤلف أن تدخل هذه القائمة فى ثانيا دراستنا هذه عند حديثنا عن تحصيل الضرائب وسوف تبين هذه القائمة ، بوضوح بالغ ، كل ما سبق أن ذكرناه للتو ماسا بموضوع تقسيم الضريبة على الاراضى .

ثانيا : عن ادارى القرى

كان الملتزم موكلا بادارة القرية وتنظيم شئونها ، ويعمل بها تحت امرته قائمقام يمثله هو وموظفون يختارهم ، وكان وجود هؤلاء ، وكذلك الحال بالنسبة لوظائفهم ، يتحدد بمقتضى لوائح وضعها السلطان .

وهؤلاء الموظفون هم : الشيوخ ، الشاهد ، الصراف ، الخولى ، المشد ، الخفراء ، الوكيل ، الكلاف .

وكان من الضرورى أن يختار كل من الشاهد والخولى من بين سكان القرية .

أما الشيخ فكان يفتش على الأرض وعلى الفلاحين ويراقبهم ، وهو مكلف بمراعاة الاتضار مصالح الملتزم بسبب اعوجاج سلوك هؤلاء أو بسبب اهمالهم ، كما كان ملزما بأن يسدد ما على الممولين من ضرائب اذا هو لم يخطر سيده بهروبهم أو بأخطائهم . ولا تصل أوامر الملتزم الى الفلاح الا من خلاله . كما ينقل — هو — الى الملتزم مطالبهم واحتياجاتهم . ويعين الملتزم فى بعض الأحيان عدة شيوخ للاشراف على الاراضى التى تقع تحت امرته ، ويمارس أول هؤلاء — ويشار اليه باسم شيخ المشايخ — بالنسبة

لزملائه نفس السلطة التي يمارسها هؤلاء ازاء الفلاحين . واذا غاب الملتزم ولم يكن له بالقرية قائمقام فان هذا الشيخ الاول ينوب عنه . ويختار لشغل هذه الوظائف فى العادة فلاحون يمتازون ببسريهم وحنظتهم . وفى معظم الأحيان تنتقل هذه الوظائف من الأب الى الابن ، مما يدفع بأبناء شيخ ما على الظن بأن لهم الحق فى وراثة وظيفته .

وأما الشاهد فيمسك بسجل يبين طبيعة ومساحة كل العقارات التى تكون زمام القرية ، ويدون بهذا السجل أسماء سكانها وملكياتهم وكذلك كل عمليات نقل الحيازة الطارئة ، ويشار اليه بصفة العدل (أو العادل) للتأكيد على النزاهة التى لا بد لها أن تحكم أعماله .

ويقوم الصراف بتحصيل الضرائب طبقاً لتوزيعها المدون بسجل الشاهد ، ويتأكد من وزن وحالة المسكوكات (قطع النقود) التى تقدم له ، ثم يسلم الحصيلة الى الملتزم ويحصل منه على مخالصة بذلك ، وكان الصراف فيما مضى يعمل فى خدمة الشاهد ويحصل على راتبه منه .

ويلتزم الخولى أو المساح بأن يعرف بدقة بالغة زمامات القرية والحدود التى تفصل بين اراضى الملاك ، كما يحسم كل المنازعات التى تنشأ حول هذا الموضوع ، ويدير أعمالاً وزراعة الوسية ، وتزرع هذه الأراضى بالتراضى شأنها شأن عقارات الفلاحين الذين يستخدمون لأراضيهم اجراء ، وتنحصر الميزة الوحيدة التى يتمتع بها الملتزم فيما تقرر له من افضلية تمنع تابعيه من أن يستخدموا عمالاً فى زراعة أرضهم قبل أن تتم زراعة أرض الوسية .

والمشد هو المنفذ لأوامر الملتزم حين يريد أن ينزل العقاب بالفلاحين عندما يخطئون أو يتأخرون (فى سداد ما عليهم) ، اذ ليس للشيوخ أو موظفى القرية الآخرين الحق فى أن يتصرفوا بأنفسهم ضد المخالفين ، بل انهم بنشدون سلطة المشد كما أن عليهم أن يقدموا له العون عندما يطلبه أو يحتاج اليه ، وبالإضافة الى ما سبق فان المشد موكل بأن يخطر القرية بأوامر الملتزم .

والخفراء (الخفير) هم حراس القرية ، ويتفاوت عددهم بين قرية وأخرى ، وهم مكلفون بمنع السرقات ومنع كل ما يمكن أن يرتكب فى القرية مما يعد خروجاً على النظام ، كما أنهم يندرون القرية عند اقتراب العربان . ويسهر الخفراء بصفة خاصة على حراسة بيت الوسية التابع للملتزم والذي يستخدم مخزناً للمحاصيل ، ويدخل ضمن واجباتهم كذلك حراسة الجسور ومراعاة الأي يقوم الفلاحون باحداث الثغرات فيها فى الأوقات التى تحرم خلالها هذه الأعمال .

ويقوم الوكيل باستغلال أراضى الوسية ، لكنه ملزم باستخدام الخولى عند بذرها ، كما يتولى جمع المحاصيل والتصرف فيها طبقاً لأوامر الملتزم .

ويعمل الكلاف — أى الراعى — تحت أمره الوكيل ، وهو موكل بحراسة قطعان الماشية والعنابية بها ، ويحصل لنفسه على منتجاتها من الصوف والزبد واللبن الخ ، ويفترض فى مهنته الألام بفن البيطار مما يعود بالفائدة على القرية كلها ، فهو ملزم بأن يقدم هذه الرعاية لمن يلتمسها منه من الفلاحين لعلاج ماشيتهم .

وبالإضافة الى كل هؤلاء يوجد بكل قرية امام وحلاق ونجار ، وعلى الرغم من أن لوائح السلطان لم تتناول هؤلاء ، فقد جرت العادة بأن يحصل هؤلاء على راتب من القرية ، ويترتب على ذلك أن كل واحد من هؤلاء ، كل فيما يخصه ، ملزم بأن يقدم خدماته لأهل القرية .

ثالثاً : عن جباية الضرائب

فيما مضى ، وعلى الرغم من أن الصراف يدخل فى عداد الوظائف الرسمية التى أنشأها سليمان ، فقد كان مرعوساً للشاهد ، ولم يكن له من عمل سوى أن يحصل من كل فلاح المبالغ المقررة عليه من قبل ديوان الجباية . ومع ذلك ، فحيث تعقدت وتزايدت الرسوم التى بدأت تجبى حديثاً ، مما جعل هذا العمل أكثر مشقة ، فإن الملتزم والمزارع كليهما ، وقد حاراً فى تحديد حقوقهما والتزاماتهما ، قد لجأ الى هؤلاء الذين اكتسبوا المعرفة التامة باللوائح وبالأساليب المتبعة عند تطبيقها .

وهكذا لم تعد هناك قرية بها أرض زراعية ، لا نجد بها قبليا (١) في وضع يسمح له ان يقدم ادق واوفى البيانات عن الرسوم القديمة والحديثة ، سواء المفروضة محليا ، (اى على القرية بشكل خاص) او تلك المفروضة بشكل عمومى ، وسواء كذلك المشروعة منها (اى التى قررتها اللوائح) او الجائرة ، والتى تجبى من ملاك هذه القرية . وقد جعلت منه معلوماته هذه وسيطا لابد منه بين الملتزم والفلاحين ، حتى ان الاخيرين يبادرون مذعنين بسداد المبلغ المطلوب ما ان يتلفظ به ، وهم يرضخون بفعل الخوف لاتاوات لم يظلمهم عليها من قبل . ويفضل خبرة الاقباط فى هذا المجال فقد اصبحوا هم المباشرين للبيكوات والملتزمين ، ونجد فيما بينهم نفس العلاقات التى تقوم بين اولئك الذين يدبرون - هم - لهم ثرواتهم ، فمباشرو الملتزمين ومباشرو البيكوات يعترفون برياسة مباشر البك شيخ البلد لهم ويلقبونه بالمباشر العمومى . وقبل ان يمارس هؤلاء مثل هذه الوظائف فانهم يتشربون هذه الامور بالعمل تحت ادارة اسلافهم . وهم حريصون دوما على ان يحصروا داخل امتهم هذا النظام المتبع (فى هذه الاعمال) والذى يشكل تراثا بالنسبة لهم ، فهم لا يشركون فى اعمالهم ومعارفهم سوى الاقباط ، ويعهد الملتزم بأعمال الصيرفة الى واحد من هؤلاء التلاميذ الذين يشار اليهم باسم الكتبة (كاتب) . ويستترشد فى اختيار هذا بمباشره ، ولا بد ان يوافق على هذا الاختيار المباشر العمومى ، الامر الذى يوضح مكاتبة وسطوة هذا الاخير على ادارة مصر فيما يتصل بتوزيع الوظائف التى تتفرع عن اعماله .

- وما ان تنحسر مياه النيل عن الاراضى ويتم البذر ، حتى يتوجه الصراف الى القرية الموكلة اليه ، مزودا بالبيانات التى تتصل بضرائب السنوات السابقة . ومعلومات من هذا النوع ، ويفترض الا يعرفها الا من ينتمى الى امة الاقباط ، لاتذاع الا عن طريق الشخص الذى زود بها . وبمجرد وصوله يدعو اليه ديوان الجباية وهو عضو فيه بحكم النشأة . كما يدعو المشايخ والشاهد ويبدأ فى عملية توزيع الضرائب وجبايتها .

(١) الاقباط هم سلالة اهل البلاد الذين رفضوا اعتناق دين محمد ، وهؤلاء يدينون بمسيحية شوهتها جهالتهم كما اتلفتها اخطاء نسطوريوس .

أما الديوان الذي يفترض فيه أنه المشرف أو على الأقل الحكيم في هذه العملية فلم يكن سوى شاهد ، بل إن الفلاحين أنفسهم يفضلون إدارة الصراف على إدارة الديوان أو الشاهد ذلك أن حماسة الصراف التي لا تفتقر والتي تسوغ ثقة الملتزم فيه لم تكن لتمنعه من أن يصطنع بعضاً من اللباقة وشيئاً من النزاهة في إجراءاته ، وتسهم صفته باعتباره قريباً ، كما تسهم طبيعته عمله الذي ينتهي بنهاية العام باضفاء صفة الحيطة عليه ، نى حين يتهم المشايخ والشاهد على الدوام بأنهم أصحاب منفعة في العوايد (أو العادات) المحلية مما يجعلها جائرة بشكل دائم .

وتتم جباية الضرائب وفاء لثلاثة أغراض متنوعة :

١ - لتحصيل المال الحر .

٢ - لتحصيل الإضافات التي تمت زيادة على المال الحر (١) .

٣ - لتحصيل المصروفات الطارئة والتي تستخدم للانفاق على احتياجات القرية .

ويستخدم سجل الشاهد ، الذي تحددت به مساحة وحالة الأرض التي يمتلكها كل ممول ، أساساً لعمل الصراف عند تقسيم وتوزيع الضرائب وتوجد بكل قرية ، بخلاف الرزق ، والاطلاق ، والوسايا . والأثر ، أراض يطلق عليها اسم بور المناجز .

وقد سبق لنا القول بأن أراضى الرزق والاطلاق (أو الأطلاق) كانت معفاة من الضرائب . وينطبق ذلك على الأراضى غير المنتجة أو البور .

أما الأراضى من النوع الرديء ، والتي يطلق عليها اسم مناجزة ،

(١) وهى عبارة عن البرانى بنوعيه وعن الكشوفية الجديدة .

(*) وهى أراض أصابها الضعف ولم تعد جيدة الزراعة وهناك أيضاً أراض تسمى بور الحوالى وهى التى يصيبها البوار فى بعض السنوات فلا تزرع (المترجم) .

سواء كانت تتبع الفلاحين أو كانت تتبع الملتزمين ، فتدفع ضريبة معتدلة ، اقل من تلك التى تفرض على اراضى الوسية والاطر ، فهى تشكل درجة رابعة بالنسبة لسكل هذه الاراضى التى تنقسم الى اراض ممتازة ، وارض متوسطة وارض دنيا (أو : عال ، ووسط ، ودون) ، وتخضع هذه وتلك بالمثل لضريبة المال الحر ، وتسدده حسب درجة جودتها (١) .

وبخلاف ذلك تتحمل اراضى الاثر وحدها الزيادات التى اُضيفت الى هذه الضريبة ، وكذا المصروفات الطارئة التى تتصل باحتياجات القرية ، دون أية مراعاة لدرجة جودتها ، بل كان يكتفى بتوزيع الضريبة بنسب متساوية ، ولهذا كان يزيد أو ينقص مايدفعه فلاح ما من هذه المصروفات تبعا لعدد الفدادين التى يملكها .

وفى مصر العليا تعامل الاراضى من هذا النوع ، والتى تتبع المشايخ والموظفين الرسميين فى القرية بنفس الدرجة من الأفضلية التى تعامل بها ارض الوسية ، أما فى مصر السفلى فان هؤلاء الموظفين لا يحصلون على هذه الميزة الاجزاء فقط من ممتلكاتهم .

وتقدر الضريبة على الزمامات التى لا يتم قياسها (أى غير محددة المساحة) بشكل اجمالى ، وتحدد الضريبة المقدرة عليها بمعرفة الصراف والادارة الداخلية للقرية ، وتسمى الضريبة من هذا النوع باسم كلاله . وهذه ، من ناحية العدد ، أكبر فى الصعيد عنها فى مصر السفلى . وقد قيست زمامات بعض القرى بين بين : وتقدر الضريبة على الجزء المقيس بواقع عدد الفدادين ، لكنها تقدر على الجزء الآخر بالكلالة .

وتتكون القرى عادة من عدة كفور شكل الا دائرة وحيده ، تحمل اسم القرية الرئيسة .

(١) لكى نوضح بأية طريقة عشوائية كانت توزع هذه الضريبة ، يكفيننا القول بأنها كانت تتراوح بين ٩٠ الى ١٠٠ مدينى للفدان من الدرجة الأولى ، ومن ٦٠ الى ١٥٠ مدينى لفدان الدرجة الثانية ، بينما تفرض على اراضى الدرجة الثالثة وكذلك على اراضى المنابر ضريبة مقدارها من ٣٠ الى ١٢٠ مدينى للفدان .

وتنقسم هذه الوحدة الادارية فى مجموعها ، ومهما تكن مساحتها ، الى ٢٤ جزءا ، تتبع كلها للترزم واحد او لعدة ملتزمين .

ونقدم الآن بياناً بالضرائب التى سددها دائرة قسرية الانبوتين ، الواقعة فى ولاية الغربية ، فى عام ١٢١٣ من الهجرة ، وهو العام السابع من قيام جمهوريتنا (١٧٩٨) : وسنقدم كما سبق أن وعدنا جدولاً بكل الضرائب المقررة على احدى القرى ، وبصفة خاصة تفاصيل الرسوم (او العادات) التى تشكل البرانى . وحيث تتنوع هذه من اقليم لآخر ، بل بين قرية وأخرى ، فقد كان عايننا أن نكتفى بتقديم مثال من شأنه أن يبين لنا الضرائب المقررة والتى تعد أكثر من غيرها شيوعاً .

قائمة بالضرائب المقررة على وحدة قرية الأيوطين
بولاية الفريسة عن العام ١٢١٣ من الهجرة

الايوطين قرية رئيسة
بقلولة كفور أو قري تابعة لها
منية حبيش

| الجموع | منية حبيش | بقلولة | الايوطين |
|-------------------------|------------------------|-----------------------|------------------------|
| ٢٢٢٠٩ $\frac{٢٢}{٥٧٢}$ | ١١٠٦ $\frac{٤٠}{٥٧٢}$ | ٤٧٦ $\frac{٢٤٤}{٥٧٦}$ | ١٦٢٦ $\frac{٥٢}{٥٧٢}$ |
| ١٧٥ $\frac{٥٧}{٤١٢}$ | ٢١ $\frac{٥٠}{٥٧٦}$ | ١٦٢ $\frac{٧٧}{٥٧٦}$ | ٤٧٢ $\frac{٥٨}{٥٧٦}$ |
| ٢١٢٢٢ $\frac{١٩٧}{٤١٢}$ | ١٠٨٤ $\frac{١١٢}{٤١٢}$ | ٤٥٩ $\frac{٥٤٤}{٥٧٦}$ | ١٥٧٩ $\frac{١١٧}{٥٧٦}$ |

| منية حبيش | بقلولة | الايوطين |
|---------------------|----------------------|----------------------|
| ٢١ $\frac{٢٠}{٥٧٦}$ | — | ٢٨٤ $\frac{٤٥}{٥٧٦}$ |
| — | ١٦٢ $\frac{٧٧}{٥٧٦}$ | ١٤٠ $\frac{٥٢}{٥٧٦}$ |

إجمالي زمام الاراضي
يخصم من ذلك : اراض ممتاعة من الضرائب

رزق تابعة لامخاض عدة
اراضي بور ، شراطي ، ، طرق الخ
الباق من الزمام والذي يخضع للضرائب ويبلغ

| | | | | | | |
|--------|--------|---|--------|---------|--|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| | | | | | | <p>جيش : وزمامها $\frac{112}{74}$ ١٥٨٤ في منها :</p> <p>$\frac{487}{74}$ ١٣ في جيدة الرسية ، شرحة . . .</p> <p>$\frac{22}{74}$ ١٥٧٠ في ضميعة ، الأثر ، بواقع الفدان</p> <p>١١٥ مديني</p> <p>إجمال الزمام $\frac{197}{74}$ ١٢٣١٣ يسدد . . .</p> <p>الإجمال المكون للمال الحر</p> <p>الزيادات التي طرأت على المال الحر :</p> <p>— نصيب هذه القرية في الـ ٧٤١٢٨٩٣ مديني</p> <p>التي أضيفت إلى المدي على يد السلاطين أحمد ومحمد</p> <p>ومصطفى</p> <p>رسوم ثابتة على أراض جديدة في بقولة . . .</p> <p>زيادات على أراضى عربان قبيلة الأطيح (*) . . .</p> <p>الإجمال للمال</p> |
| | ١٢٣٥٩٣ | — | — | — | | |
| | ١٢٤٥٦٧ | — | ٤٨٥٢٤٧ | ١٦٣٥٧٦٤ | | |
| ٢٣٦٥٧٨ | — | — | — | — | | |
| ١٤٥٨٨٧ | — | — | — | — | | |
| ٢٠٠ | — | — | — | — | | |
| ٩٥٨٩٣ | — | — | — | — | | |
| ١٥٥٨ | — | — | — | — | | |

٢٦١٥٥٨

(*) أو كوردت بالنس المديني el-Atahry (المترجم)

| الإجمالي العام | الإجمالي | مبيت جبيليش | بقولة | الأبوابين | |
|----------------|----------|-------------|-------|-----------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| مدينى | مدينى | مدينى | مدينى | مدينى | |
| ٢٢٤ | ٢٢٤ | — | — | ٢٢٤ | ويخصم من ذلك : مصاريف محلية وإدارية تدفع لمستحقين : الختمية ، وهي أول عادة جباها رأس نوبية ، وهم صغار ضباط الأوجاقات قائمة الرملة ، وهي عادة فرضت لصالح الشخص الذى يقوم بتنظيم حسابات بعض رسوم الكثوفية . . تقدم المنسور : وهي هدايا تقدم لضباط الأوجاقات للعناية بالثيران اللازمة للترع مقدم الولاية : موظف بالولاية يسير أمام الحاكم مسودة الولاية : موظف آخر يتفنى الولاية . . موقى الولاية : ضابط بالولاية يرشد الحاكم الى معسكرات الجنود الجرافة السلطاني : لمن يقوم بالتفتيش على الجسور المعموية جسر بنو جودي : وهو جسر ينبغي أن تسهم هذه القرية فى صياقته |
| ٤٩٥ | ٤٩٥ | ١٦٥ | ١٦٥ | ١٦٥ | |
| ٣٣٠ | ٣٣٠ | — | ١٦٥ | ١٦٥ | |
| ٤٩٥ | ٤٩٥ | ١٦٥ | ١٦٥ | ١٦٥ | |
| ٣٤٥ | ٣٤٥ | ١٨٠ | — | ١٦٥ | |
| ٦٩٠ | ٦٩٠ | ٣٦٠ | — | ٣٣٠ | |
| ٤٩٥ | ٤٩٥ | ١٦٥ | ١٦٥ | ١٦٥ | |
| ٦٢٥ | ٦٢٥ | ٢١٠ | ٢٢٠ | ١٩٥ | |
| ٢٤٥ | ٢٤٥ | — | ١٧٠ | ٧٥ | |

| | | | | | |
|--------|--------|-------|--------|-----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٦٠ | ٢٣٠ | ٢٣٠ | ٦٠ | ١٨٧ | مقدم المسكر : وهو موظف بالولاية يعمل دليلا لمسكر الثوروبرجية تسويق مقرر : وهو موظف آخر بالولاية مظالم الولاية : ضابط بالولاية مهمته اخبار الحاكم بما يدور بالولاية تقرير الامندي : عادة الالغندية الذين يقومون بتحصيل الميري انظام الضمامة : وهي الخراف التي ينبغي ذبحها عند حصاد القمح رأس نوية : عادة ثائية لضابط بهذا اللقب عادة الدعوة : وهي عادة مقررة للشخص الذي يفيض الخلافت بين الفلاحين نايب رينة : وهو ضابط يقوم بالحفاظ على الاخلاق الحميدة في الولاية عادة الولي : وهو احد الاولياء المحليين برافى مقدم المسكر : زيادة في العادة المقررة لهذا الموظف عادة لصالح المشايخ |
| ٨٤٧ | ٢٣٠ | ٢٣٠ | ١٨٠ | ٦٢٤ | |
| ١٥٠ | — | — | — | ١٥٠ | |
| ٨٩٤ | ٩٠ | ١٨٠ | ٦٢٤ | | |
| ٩٦ | ٩٦ | — | — | — | |
| ٣٨٧ | ٣٨٧ | — | — | — | |
| ٦٠ | ٦٠ | — | — | — | |
| ١٧٠ | — | — | ١٧٠ | ١٧٠ | |
| ٣٠ | ٣٠ | — | — | — | |
| ٣٧ | — | — | ٣٧ | ٣٧ | |
| ٣١,٠٢٠ | ١٢,٦٠٠ | ٦,٥١٠ | ١١,٩١٠ | | |

| الإجمالي العام | الإجمالي | ميت حبش | بقولة | الأبوطين | |
|----------------|----------|---------|--------|----------|-----------------------------------------------|
| مديني | مديني | مديني | مديني | مديني | |
| ٩٨٨ | ٩٨٨ | ٣٨٠ | ٢٤٨ | ٣٦٠ | لاتامة الجسور |
| ١,٤٢٢ | ١,٤٢٢ | ٤٤٠ | ١٦٦ | ٨١٦ | لحراسة الاموال الى القاهرة . |
| ٢٠٢ | ٢٠٢ | — | — | ٢٠٢ | خولى الجرافة : وهو الذى يفتش على الجسور |
| ٢٠٠ | ٢٠٠ | — | — | ٢٠٠ | الخفير الدوار : حارس القرية |
| ١٥١ | ١٥١ | ٥٠ | — | ١٠١ | كلاف الاطوار : راعى ثيران القرية |
| ١٠٠ | ١٠٠ | — | — | ١٠٠ | للنجار الموكل باصلاح ادوات الرى |
| ١٠٠ | ١٠٠ | — | — | ١٠٠ | للتسيخ اهام |
| ١١٠ | ١١٠ | ١١٠ | — | — | خولى الزرع : ويفتش على البذار وهو مساح كذلك |
| ٢,٣٠٨ | ٢,٣٠٨ | ١,٠٣٨ | — | ١,٢٧٠ | صغار الجرافة : اجر العاملين فى جسور الولاية . |
| ٨,٣١٥ | ٨,٣١٥ | ٢,٠٠٠ | ٢,٠٠٠ | ٤,٣١٥ | معاش لعربان قبيلة الاطياح |
| ٣,٠٠٠ | ٣,٠٠٠ | ١,٠٠٠ | ١,٠٠٠ | ١,٠٠٠ | عادة المراف الجاهى |
| ٨,٠٠٠ | ٨,٠٠٠ | ١,٥٠٠ | ١,٥٠٠ | ٥,٠٠٠ | رزق تدفع نقدا |
| ٩١٧ | ٩١٧ | — | — | ٩١٧ | صيانة جسور خاصة بالقرية |
| ٦٣,٥٠٨ | ٦٣,٥٠٨ | ٢١,٢٥٦ | ١٢,٩٨٤ | ٢٩,١٦٨ | الاجمالي |
| ٢٩٨,٠٠٠ | — | — | — | — | الباقى |

| | | | | | |
|---------|----|----|----|--|-----------------------------------------------------|
| | | | | | ويوزع بمعرفة الالتزام ما يلي طبقاً للوائح السلطان : |
| ١٠٦,٣٣٦ | — | — | — | | الى السلطان باعتبارها ضريبة الميرى |
| ١٩,٠٨٩ | — | — | — | | الى الحاكم باعتبارها الكسوفية التديمة : |
| — | — | — | — | | وتفاصيلها كما يلي : |
| | | | | | مال الجهات ١١٤٥ر١١ |
| | | | | | خدمة المسسكر ٦.٩٣٠ |
| | | | | | تبن السلطان ٥١٩ |
| | | | | | حوالة الحوالات ٤٩٥ |
| | | | | | الى الالتزام باعتباره الفايط الخاص به |
| ٧٢١,٣٢٥ | .. | .. | .. | | البلغ الاجمالي (١) |
| ٢٩٨,٠٥٠ | .. | .. | .. | | |

(١) هذا المبلغ هو اجمالى المال الحر ، ونرى من ذلك ان المصروفات المحلية قد خصمت منه ، وتبلغ نفقات القرية ما نسبته ٢١١/٢ . وقد عرفنا فيما سبق ان هذه النفقات فى بقية البلاد تتراوح بين ١٠ و ٣٠٪ .

| | | | | | |
|---------|--------|--------|--------|-----------|---------------------------------------|
| ٤٠,٥٠٠ | ١٦,٥٠٠ | — | ٢٤,٠٠٠ | • • • • • | عادة حوالة الحوالات |
| ٣٤,٠٠٠ | ١٣,٦٠٠ | — | ٢٠,٤٠٠ | • • • • • | هدية للملتزم |
| ٣,٠٨١ | ١,٢٨١ | — | ١,٨٠٠ | • • • • • | عادة كخيا الملتزم |
| ٣٣٠ | — | — | ٣٣٠ | • • • • • | عادة تفسويف مقرر |
| ٤,٢٨٠ | — | — | ٤,٢٨٠ | • • • • • | مصرفات على اراضي محمد الفخار |
| ٨٩ | — | — | ٨٩ | • • • • • | عـة مظالم الولاية |
| ١,٥٠٠ | — | — | ١٥٠٠ | • • • • • | ركبة الطسوافة |
| ١,٢٧٤ | ١,١٠٩ | — | ١٦٥ | • • • • • | زيادة الاحتت بالمادة المذكورة |
| ٩٠٠ | — | — | ٩٠٠ | • • • • • | ثيران للعمل بالجسور |
| ٣٠٠ | — | — | ٣٠٠ | • • • • • | خراف من اجل موسم الحصاد |
| ١٠٩ | — | — | ١٠٩ | • • • • • | جاويش الولاية |
| ٨٢١ | ٨٢١ | — | — | • • • • • | نثرات محلية مختلفة تذكر للمرة الثانية |
| ١٠٨,١٩٢ | ٣٧,٣٩٩ | — | ٧٠,٧٩٣ | • • • • • | الاجمالي |
| ٣٥,٨٢٥ | ١٢,٠٠٠ | ٦,٠٠٠ | ١٧,٨٢٥ | • • • • • | رفع المظالم او حق الطريق |
| ١٤,٣٠٠ | ٤,٥٠٠ | ٣,٠٠٠ | ٦,٨٠٠ | • • • • • | فردة التحصير |
| ١٠,٥٧٣ | ٣,٣١٥ | ١,٧٤٣ | ٥,٠١٥ | • • • • • | كافة جديدة |
| ٦٠,١٩٨ | ١٩,٨١٥ | ١٠,٧٤٣ | ٢٩,٦٤٠ | • • • • • | اجمالي الرسوم المقررة على هذه القرية |

الكثوفية الجديدة

التوزيع الجديد لهذا المبلغ

| | | | |
|-------------|----------|-----------------|--------------------------------------|
| مديني | | | |
| ١٠٦٣٣٦ | | لضريبة الميرى | الى السلطان . |
| ٧٩٢٨٧ | { ١٩٠٨٩ | للشوفية القديمة | الى حاكم الولاية |
| | { ٦٠١٩٨ | » الجديدة | |
| (١)٤٣٦٩١٣ | { ١٧٢٦٢٥ | للفايظ وهو حصته | الى المتزيم |
| | { ١٥٦٠٩٦ | للبرانى القديم | |
| | { ١٠٨١٩٢ | » الجديد | |
| ٦٢٢٢٥٣٦ (٢) | | | الاجمالى |
| ٦٣٥٠٨ | | | مصرفات محلية وخلافها دفعت لمستحقين |
| ٦٨٦٠٤٤ | | | اجمالى الرسوم التى دفعتها هذه القرية |

ويفسر لنا المثال الذى قدمناه للتو ، كما يتطابق مع ما سبق ان قلناه ماسا بتقرير وتوزيع الضريبة . فالتفاصيل المتوفرة هنا حول البرانى القديم والجديد تؤكد بوضوح ان غرضها المبدئى كان ينحصر فى توفير الأثاثات والعادات (العادة) والهدايا التى كانت القرية تقدمها للمتزيم ، بالاضافة الى تلك التى كان على المتزيم ان يقدمها لمن هم اعلى منه ولغيرهم ، وحيث انتهى الأمر بهذه العادات ان أصبحت وجوبية وبشكل صارم ، اذ يكفى ، تبعا لتقليد له قوة القانون فى مصر ، ان يجبى مبلغ ما لمدة سنتين أو ثلاث سنوات متتاليات كى يصبح حقا واجب الأداء بشكل مطلق ، فقد أصبحت هذه العادات تدفع فى شكل رسم نقدى ، وليس البرانى القديم سوى اول رسم من هذا النوع تم تحصيله ، ومع ذلك ، فعلى الرغم من ان البرانى القديم كان ينبغى له ان يحل محل كل العادات التى سبقته ، فان ذلك لم يمنع المتزيم من ان يحصل لنفسه على عادات مماثلة (لتلك التى حل البرانى القديم محلها) ، ومع مرور الوقت ثبتت هذه العادات الجديدة ثم أبدلت بالمثل برسم جديد عرف بالبرانى الجديد أو المستجد ، واليوم فان كليهما يدخلان ضمن صافى حصيلة المتزيم التى يستغلها كلها لحسابه الخاص .

(١) غير مشتمل على دخول الوسايا .

(٢) بجمع هذا المبلغ الأبواب المختلفة للمال الحر والزيادات التى الحقت به ، ويكون مجموع كل الضرائب المعروفة أو الثابتة . انظر الجداول الخاصة بذلك .

وبخلاف البيان الذى قدمناه والذى ضم المال الحر المبدئى وكذا الاضافات التى ادخلت عليه ، فقد انشئ لكل قرية جدول خاص بالمصروفات الطارئة والاعتيادية ، وادرج به كل الانفاقات التى تنجم عن زيادة رواتب موظفى مكتب القرية وعن اصلاح الجسور والترع غير السلطانية ، بالاضافة الى الأتاوات أو المعادات التى تقدم للملتزم والبك والمبائر او لقبيلة ما من العربان ، وان كان هذا الجدول لا يشتمل على المطالب غير الاعتيادية التى يقوم بها هؤلاء من وقت لآخر .

هكذا نرى كيف يمكننا بسهولة ان نقرر ان هذه الأوضاع كانت هى منبعا لمطالب استبدادية لا حد لها كانت تزيد على الدوام من حقوق الملتزم على الفلاح ثم من حقوق الحكام على الملتزمين . وليس للبرانى القديم والبرانى الجديد والكشوفية القديمة والكشوفية الجديدة من اصل بخلاف ذلك ، وقد ظلت هذه الضرائب تتزايد فى الأزمنة الحديثة باصطناع وسائل مشابهة حتى أصبحت المعادات التى يحصلها الملتزم تشكل برانى ثالثا فى نفس الوقت الذى يمكن لنا فيه ان نعد الضرائب التى كانت تجبها الحكومة بمثابة كشوفية ثالثة .

أما المطالب غير الاعتيادية فكان يسهل تحصيلها على الدوام بفعل تواطؤ المشايخ الموكلين بجباية الأموال التى تنتقر جبايتها عن غير طريق الصراف ، ومع ذلك فقد كان من مصلحة الملتزم ان يداهن فلاحيه ، وهنا يكون بمقدور شيخ محنك ان ينأى بهؤلاء الفلاحين عن اتخاذ مواقف متطرفة قد تصبح ضارة بمصالح الملتزم ، وأن يستدرجهم فى معظم الأحيان لأن يسددوا ما يطلب منهم حين يبالغ فى سطوة ومكانة الشخص الذى أسس هذه المطالب وما له عليهم من حقوق ، وبخاصة عندما يوهمهم بأن هذه المبالغ ، ما ان سددت هذه المرة ، فلن تتكرر المطالبة بها مرة أخرى .

ولقد كانت هذه العقلية الحاذقة والذساسة تهيب لهؤلاء الشيوخ الوسائل العديدة لتكوين الثروات ، ففى الوقت الذى كانوا على ثقة تامة فيه بأنهم سيحصلون على هدية من جانب الشخص الذى يجبون له هذه المطالب ، فقد كانوا يحصلون على مكافأة مماثلة من القرية التى كانت تثق فى أن هؤلاء يعملون بحماسة وغيره فى سبيل مصالحها ، وهناك اتهام آخر يوجه لهؤلاء يتمثل فى عدم نزاهتهم فى توزيع أعباء

المصروفات التي من هذا النوع وذلك بأن يحصلوا من كل فلاح مبلغا أكبر على نحو طفيف مما كان ينبغي عليه أن يدفعه ، ومع ذلك فقد كان ينبغي عليهم أن يقتسموا عائد لصوصيتهم تلك مع الشاهد والصراف اللذين لم يكن ليفوتهما أن يحيطا بالملتزم علما بذلك اللهم الا اذا وجدوا أن من مصلحتهم أن يلزموا الصمت . وفى كل مرة كان يرسل فيهما الملتزم أو من ينوب عنه ، ولسبب أو لغير سبب ، من يحمل أو امره الى احدى القرى ، فقد كان عليه أن يسدد الأتوة حق الطريق التي كانت توزع وفقا لترتيب افراد (سرية) حق الطريق ، فيحصل القواس على ٢ الى ٣ بوطاقات ، ويحصل السراج على ١٥ الى ٣٠ بوطاقة ، والجندي من ٦٠ الى ١٠٠ بوطاقة أما الكاشف فكان يحصل على ٢٠٠ الى ١٠٠٠ بوطاقة . وعندما جلا الفرنسيون عن الصعيد لبيدعوا زحفهم ضد الأتراك والانجليز ، لم يتجاسر مراد بك الذى بسط نفوذه على هذه البلاد التي تم الجلاء عنها على أن يجبى الضرائب الاعتيادية ، ولكنه بدلا من ذلك قد ضاعف من ارسال حاملى الأوامر دون دافع حقيقى (الا الحصول على حق الطريق) ، وفرض من الفين الى ثلاثة آلاف بوطاقة عن أى بريد يرسله .

ويحرر الصراف بالتنسيق مع الشيوخ والشاهد قائمة بالجدول المدونة أو الثابتة . ويبدأ التحصيل فى الشهر الثالث من السنة القبطية ويستصحب كل شيخ من شيوخ القرية الفلاحين التابعين له ، فيسلمهم سجلا مدونة به أسماءهم ومبينة أمامها الضريبة التي عليهم أن يسددوها .

ولابد أن يتم السداد مائة (أى الثلث فالثالث فالثالث) بشكل يتطابق مع دورة المحاصيل . وبعد تحصيل الثلث الثانى يجتمع الصراف والشيوخ والشاهد من جديد لاعداد جدول بالمصروفات الطارئة والمعتادة ، وعندما لا يكون الملتزم مقيما بأرضه ، فانهم يتوجهون الى القاهرة ليضجعوا الأمر تحت تصرفه ، وعندئذ يفحص سير وسلوك الشيخ بكل عناية ، ويتم فصل كل المصروفات التى سدود بالجدول عن تلك التى سنحذف منه اما لأن هناك أسبابا تدعو لعدم اظهارها واما لأنها لا تتفق مع ما طلب الى الفلاحين سدادها ، ونادرا مايوقع الملتزم قائمة الحساب هذه دون أن يحصل منه على خدمة مماثلة ، فاما أن يحصل منه على جزء من الأرباح التى حققها (الشيخ) ، واما أن يعاقبه جزاء خياناته واختلاساته ، أما اذا أهمل الملتزم هذه الوسيلة الأكيدة لزيادة دخله فانه يتظاهر بأنه انما يضع نصب

عينه سلوك شيخه ، ذلك ان استلابه لثروة هذا الرجل ليست سوى مسألة وقت ، فلا بد انه سوف يقع ، بعد وقت طال أوقصر ، على الفرصة المواتية كى يفتزع فى يوم واحد ما ظل يحصله هذا الشيخ طيلة سنوات طوال .

وعند عودة هؤلاء الى القرية يجمع الصراف الى جانب تحصيله الثلث الثالث من الضريبة جباية المصروفات الطارئة والاعتيادية التى تم للتو اقرارها . وليست القائمة الجديدة التى يسلمها للممول شيئا آخر سوى نسخة جديدة من جدول توزيع الضرائب الثابتة مضافا اليها نصيب هذا الممول من المصروفات الطارئة والاعتيادية . ويدون فى هذه النسخة الجديدة كل اقساط الضرائب التى دفعها الفلاحون ، ولا يقوم هؤلاء الذين تصرفوا بالفعل فى محصولاتهم ، بسداد ما عليهم الا على مضمض ومع كثير من المشقة مع استخدام العصي والحبس والأغلال لارغامهم على ذلك .

وبمجرد أن توشك جباية الضرائب على التمام ، يرسل الصراف حصيلتها الى الملتزم أو يسلمها الى القائم مقام طبقا للتعليمات التى تلقاها . وفى الحالة الأولى ، فانه يعهد الى خدمه هو ، أو الى خدم الملتزم بارسالها ، لكنه يصر على أن يصحبهم اثنان من شيوخ القرية ، فحيث تعد القرية مسئولة عن احتمال تعرض اللصوص لهذه الأموال أثناء الطريق ، فسوف تكون شهادتهما نافعة للملتزم لاثبات الجريمة ولارغام فلاحيه فى نفس الوقت على أن يدفعوا للمرة الثانية .

وعندما يتبين الصراف أن اجمالى الضرائب قد تم سداده ، فانه يحصل على ضعف ذلك البند من قائمة الضرائب (المقررة على الفلاحين) الذى يبقى « على بياض » بحضور الشيخ والشاهد ، والعادة هى التى ثبتت هذه الطريقة من الجباية التى لايعرف لجشعها حد ، وعندما يحصل الفلاح على المخالصة فانه يبدى فرحة طاغية تبرهن بوضوح الى أى حد ثروغ هؤلاء الناس تلك المعاملات السيئة التى يتعرضون لها اذا ما تأخروا فى سداد ما عليهم .

ويقوم الصراف كذلك بجباية المصروفات المحلية والادارية التى تؤخذ خصما من المال الحر ، كما يجبى كذلك عادات الكشوفية القديمة والكشوفية الجديدة . وكان يحدث عادة أن يتصرف البكوات والملتزمون

فى دخولهم عن طريق توكيلات يعطونها لدائنيهم ، ويفوذ هذا الوفاء المستعجل بالنفع على الصراف الذى كان يطلب استقطاعات من الدين تتناسب قيمتها مع السرعة التى يحققها فى اتمام سداده ، وحيث كانت العادة تخول له الحق فى تحصيل ٢ الى ٣ مدينى من كل مول عندما يسلم اليه قائمة بالضريبة المقدرة عليه ، وحيث كان يحصل منه على أتاوة مماثلة فى كل مره يسجل له فيها تنزيلا من الحساب ، وحيث كانت تتضاعف امثال هذه العادات أو الأتاوات فقد كان كل ذلك يهيىء له تحقيق ارباح طائلة ، وبخلاف ذلك فقد كان يعطى له ضمن انفاقات القرية ثلاثة مدينى (من كل فلاح) عندما يقوم بتسليمه الشطبة أو المخالصة النهائية . والى جانب هذا كله كان الصراف يحقق ارباحا من قطع المسكوكات (النقود) التى كانت تسلم له عند السداد ، وذلك بالأ يتسلمها الا بسعر أدنى من السعر الذى تتداول به فى القاهرة . ويستغل الصراف حالة البؤس التى يرى عليها الفلاح وانخفاض سعر الماشيه فى القرية التى يعمل بها كى يقوم بمضاربات فى عمليات شراء من هذا النوع . اذ كان مركزه يهيىء له كل يوم أرصدة مالية كان من السهل عليه ان يستخدمها قروضا تعود عليه بربح كبير ، هكذا كانت لديه وسائل لا حصر لها تصل بدخوله الى مبالغ هائلة ، ومع ذلك فحيث ان هذه الحصيلة فى مجملها معروفة لمباشر الملتزم فقد كان يؤول الى هذا الأخير جزء كبير من هذه الدخول ، وكان هذا المباشر بدوره يقنسم حصيلته من ذلك مع المباشر العمومى ، بل وفى بعض الأحيان مع نفس الملتزم الذى هو تابع له .

وكانت الضريبة تسدد بالمدينى ، ويشكل كل ٩٠ مدينى قطعة نقد أصبحت قياسية تسمى بوطاقة ، وفى نفس الوقت ، فحيث كان الملتزم لا يحتسب البوطاقة أو الـ ٩٠ مدينى التى تسدد له الا بسعر يبلغ ٨٥ مدينى فقط ، فقد نتج عن ذلك ان كانت القرية تدفع ٩٠٠ مدينى كى لا تسدد سوى ٨٥٠ مدينى ، وفيما عدا ولاية الفيوم ، فقد كانت البوطاقة تسلم الى الصراف بسعر أدنى من ٨٥ مدينى ، يتراوح بين ٨٠ و٨٥ فى حين كان الصيارفة يحاسبون ملتزميهم على الدوام بواقع ٨٥ مدينى للبوطاقة الواحدة مختصين انفسهم كذلك بالفروق الناتجة من ذلك ، وهذه البوطاقة ليست شيئا آخر سوى التالارى Talaris أو عملة الامبراطورية الجرمانية القديمة . وفى أيام الكخياوين ابراهيم ورضوان كانت البوطاقة تساوى ٨٥ مدينى ، وبفعل تحوير تم فى سك هذه القطعة

النقدية أمر على بك بأن تبلغ قيمتها ٩٠ مدينى ، وحيث لم يشأ الملتزمون أن يتحملوا نتائج ستؤدى الى نقص السعر الأسمى للمدينى فقد أدخلوا العادة التى انتهينا من بيانها . ومنذ على بك تضاعفت عمليات التحويل هذه (فى سك هذه العملة) حتى أن التالارى أصبح يساوى اليوم من ١٥٥ الى ١٦٠ مدينى ، ومع ذلك فحيث وجد الملتزمون الوسائل التى تعوضهم عن الخسارة الناجمة عن هذا التدهور فى سعر المسكوكات فانهم لم يغيروا فى شىء هذا الأسلوب فى الدفع .

وقبل أن ينهى الصراف عمليات التحصيل يولى اهتمامه أرض الوسية لى يتسلم ايجارها اذا كانت مستزعة أو لى يحصل عوائدها من الوكيل اذا كانت مستغلة لحساب الملتزم . وينهى الصراف عملياته فى القاهرة حيث يقدم للملتزم أو الى مباشره حسابا عن كل مراحل عمله .

لدينا الآن فكرة محددة ودقيقة عن أصل وطبيعة الضرائب التى تجبى عن الأراضى ، لكن الروتين السقيم الذى اقتضى من الباب العالى أن يحجم عن أى تغيير (فى هذا النظام) قد منعه من زيادة ضرببة الكشوفية والفايظ بالنسب التى كان يتطلبها تغير الأزمان وتغير قيمة المسكوكات ، وقد أساء حكام الولايات والملتزمون الافادة من هذا الاهمال حين فرضوا بأنفسهم مالا يدخل فى اختصاصهم ، ولم يعد الأمر يقتضى إلا أن نبحت فقط فيما ان كانت العدالة تبرر هذه الدخول الجديدة التى قرروها لأنفسهم . وسوف يساعدنا فى حسم هذه المسألة أن نعقد مقارنة بين الضرائب التى كانت تحصل قديما وتلك التى تحصل حديثا من قرية الاتبوطين :

| | |
|---------|---------------------------------------------|
| مدينى | تدفع القرية تحت بند المال الحر المبدئى |
| ٣٦١ر٥٥٨ | وتحت بند البرانى القديم |
| ١٥٦ر٠٩٦ | وتحت بند البرانى الجديد |
| ١٠٨ر١٩٢ | وتحت بند الكشوفية الجديدة |
| ٦٠ر١٩٨ | |
| ٣٢٤ر٤٨٦ | وهكذا يدفع ممولو القرية اليوم ضرائب مقدارها |
| ٦٨٦ر٠٤٤ | وكانوا يدفعون فى عهد سليم وسليمان |
| ٣٦١ر٥٥٨ | وهكذا تزيد قيمة ضرائب اليوم بفرق قدره |
| ٣٢٤ر٤٨٦ | |

ونفحص الآن ما ان كان المبلغ الذى كان يسدد فى السنوات القريبه من فتح مصر على يد سليم يشكل فى الحقيقة قيمة أعلى من قيمة تلك المبالغ التى تحصل اليوم .

بلغت قيمة التالارى الذى قدره على بك فى عام ١١٨٥ من الهجرة (١٧٧٢ م) بتسعين مدينى ، ١٥٠ مدينى عند دخول الفرنسيين مصر . ويمكن ان نتخذ هذا التغير اساسا نقيس بمقتضاه تلك التغيرات او التحويلات التى بناولت القيمة الأصلية للمدينى خلال ٢٧ عاما ، بل ان هذا التغير يفترض حدوث تحويلات سابقة لن نبالغ مطلقا عندما نقدرها على أساس ان التالارى او البوظاقة لم يكن بساوى فى عهد سليمان أكثر من ستين مدينى . ويبرهن لنا هذا التقدير على أنه كانت الـ ٣٦١٥٥٨ مدينى التى كانت تدفع خلال عهده تساوى ٩٠٣٨٩٥ بالقيمة الحالية فان قربة الانبوظين حين تدفع اليوم ٦٨٦٠٤٤ مدينى هى الضرائب المقررة عليها طبقا للبيانات التى لدينا ، فانها — على هذا الأساس — لم تكن لتدفع فى عهده سوى ٢١٧٨٥١ مدينى (*) بحساب القيمة الحقيقية للضرائب التى قدرها سليمان .

وعندما نقوم بعمليات تقريب مماثلة بالنسبة لكل قرى مصر فاننا نصل الى نتيجة لا تختلف كثيرا عن تلك التى انتهينا من ايرادها .

وهكذا ، فإذا كانت الأعباء التى تقع على كاهل الموليين قد تقلصت الى تلك التى أوردنا بياننا بها ، فان ماقلناه ماسا بهذه الأعباء الأخيرة يبرهن بالتأكيد أنها زيادات مشروعة ولا ينقصها لكى تصبح كذلك الا تصديق السلطان ، وعلى ذلك فحيث لم تتضمن هذه القائمة مطلقا المصروفات التى يطلق عليها اسم طارئة أو اعنيادية ولا تلك التى لم نجد لها حتى مدونة فى القائمة المنفصلة التى تحرر خصيصا لكل قربة إذ كانت تتم جبايتها على يد العسكر ، ولما كان طغيان البك وجشع الملتزم واحتياجات الحكومة وانتهابات العربان ، وهذه أمور شبيهة دائمة ، تصل بهذه الأعباء الى مبلغ يماثل حجم ماتصل اليه الضرائب المقررة ، فسبكون من الميسور لنا أن نتفهم ماسبق أن قلناه عن اعتدال الضرائب المدونة وما بيناه فى نفس

(*) وهو مايعادل ماتدفعه حاليا تبعا للقيمة الحالية للعملة (المترجم)

الوقت عن الحرمان والشقاء اللذين يستنزفان في الحقيقة مزارع هذه الأرض ، التي تعد أخصب أراضي العالم .

ومع كل ما سبق ، فقد لاحظنا ، وهو أمر بالغ الشذوذ لحد لا سبيل الى تفسيره ، كيف يكون الفلاحون أقل احساسا بالسعادة وحسن الحظ حين يجود الدهر عليهم بملتزم عادل ومنصف اذ يرونه ضعيفا وأقل مهابة، وهو ما يتناقض مع استجابتهم لتلك الميزة المجافية لكل عقل ، ميزة أن يكون سيدهم رجلا قويا برغم أن الأول كان يعاملهم بنزاهة وانصاف . أن الأخير كان يبتزهم دون رحمة .

٤ — عن مصر العليا

في مصر العليا ، أي في ولايات قنا واسنا وجرجا واسيوط ومنفلوط والمنية وفي ثلث ولاية بنى سويف تتغير نظم الإدارة بفعل أوضاع تتفق مع نظام الملكية القائم في هذه المناطق .

وهناك تخلف أرض الأثر والوسية كل عام حيث أن الملتزمين والفلاحين يمتلكون الأرض على المشاع .

وبمجرد أن يسمح انحسار المياه ببذر الأرض ، يصل الى القرية المساح القبطى الذى عينه الملتزم ، فيقيس الأراضي القابلة للزراعة في حضرة الملتزم وقائمقامه وموظفى الموقع . وتصبح الأرض التي تكون من نصيب الفلاحين لهذا العام هي أرض الأثر ، وتخضع لضرائب تساوى تلك التي يجبيها الملتزمون في مصر السفلى . أما تلك الأراضي التي تخصص للملتزمين فتشكل أرض الوسية . ويدون في أحد السجلات مساحات وحالات هذه الأراضي وتلك ، كما تحدد طبيعة الضرائب التي ستقدر عليها . ويعود سبب هذا النوع من التقسيم ومن التملك السنوى الى عدم انتظام أو استواء الفيضانات ، والى غرابة ما تحدثه ، حين تجعل في بعض الأحيان أرضا كانت بالغة الجودة قاحلة ، أو تجعل أرضا لم تكن تساوى شيئا خصيبة معطاء .

ويساعد كل من الشاهد والخولى المساح في أعماله ، ويراعون أن تكون هذه الأعمال منصفة منتظمة وغير متميزة . وتتفق القاب ومهام بقيقة

موظفى مكتب القرية بشكل نام مع منيالاتها فى التنظيم الادارى لوحدات مصر السفلى .

ومهما تكن الاختلافات التى صنعتها العادة فى تسميات الضرائب العقارية التى تجبى فى الصعيد فان كافة فروعها ترتبط اما بالمال الحر واما بالزيادات التى الحقت بها تحت أسماء كشوفية وبرانى ، وهكذا فان الضرائب المقررة هناك ليست سوى التسميات المستخدمة للتعبير عن تطبيق هذه الضرائب على هذا النوع أو ذاك من المحصولات ، فيطلق اسم نبارى على الضريبة المفروضة على الأراضى التى تزرع بالذرة أو الأعلاف عندما تروى هذه الأراضى بشكل صناعى أى بواسطة الشادوف، ويطلق على نفس هذه المحاصيل اسم بعلى اذا ما كان الفيض الطبيعى قد وفر الرى الطبيعى لها ، وفى حالتنا هذه فان الفلاح الذى قد يقوم فى بعض الأحيان بحصدة ثانية يصبح ملزماً بدفع الانجر (؟) Ongre أما تلك الأراضى التى تزرع بالقمح والشعير والبول أو بغلال اخرى فتخضع لضريبة البياضى ، وذلك بخلاف ضريبة الشتوى التى يتم سدادها بمجرد أن تبدأ البذور فى الانبات .

ويدفع الفلاحون نقدا ضرائب النبارى والبعلى والانجر والشتوى ، لكنهم يسددون ضرائب البياضى عيناً فى شكل حبوب . وفى هذه الأيام ، تقدر الغلال اللازمة لسداد هذه الضريبة بـ ٤/٥ اجمالى الضرائب المقررة ، وهو الأمر الذى يبرهن على أن منتجات هذا الاقليم تتكون بصفة أساسية من الحبوب .

وفى حين تشكل المبالغ المحصلة عن الأراضى التى بذرت بالذرة والأعلاف ومحاصيل الشتوى المال الجرنقدى فان حصيلة البياضى تشكل المال الحر العينى (١) . أما الغلال التى تسدد بها هذه الضريبة الأخيرة

(١) يتراوح المال الحر المقدر على فدان واحد من أية درجة مزروع بالذرة أو الأعلاف من ١٠٠ الى ٢٥٠ مدينى بالنسبة لزراعات النبارى والبعلى والانجر ، أما المال الحر المقدر على فدان من أى نوع بالمثل (أى دون تفرقة بين درجات جودة الأرض) تم بذره بالحبوب فيتراوح بين ٢٠ الى ٤٠ مدينى عن الشتوى ومن ٢ الى ٤ أرادب من القمح بمكيال القاهرة عن البياضى .

فنتحول دوما الى أرادب من الشعير بنسب متفق عليها لتثبيت القيمة المقارنة للشعير وللحبوب الأخرى : فأردب من القمح يماثل اردبا ونصف الأردب من الشعير ، وأردب وربيع الأردب من الشعير يعادل اردبا واحدا من الفول أو العدس أو البسلة وهكذا .

وقد سبق لنا القول ان الميرى والكثوفية لم يكونا يختلفان قط فى مصر السفلى ، وهو نفس ما يحدث فى الصعيد حيث تحصل هذه الضرائب كما رأينا للتو ، نقدا وعينا ، وفوق ذلك فان الملتزمين هناك ملزمون بتحصيلها بنفس القيم التى حددتها اللوائح وبالطريقة التى يسدد بها الفلاحون المال الحر لهم : وهكذا فعلى الرغم من أن نوع زراعة الأرض يحدد فى مصر العليا طبيعة الضريبة التى يحمل بها هؤلاء الفلاحون، فقد كان الأمر لا يختلف بالنسبة للسلطان ولحكام الولايات سواء زرعت الأرض بالذرة والأعلاف أو زرعت بالقمح والفول والشعير الخ .

ويطلق على القبطى الجابى للضرائب فى الصعيد ، وهو الذى يسمى بالصراف فى مصر السفلى ، اسم العامل ، وهنا كذلك يحل سجل المساحة محل سجل الشاهد فى قرى مصر الدنيا، فيستخدم أساسا لتوزيع الضريبة أما النسبة التى بحب سدادها نقدا فلا بد أن تسدد قبل حصد المحاصيل ، و أما تلك التى تحصل عينا فتتم جبايتها بمجرد أن يتم الحصاد .

وينبغى أن تنقل الفلال الى مخزن يقع على شواطئ النيل مهما يكن موقع أملاك المولدين ، ومن المسموح أن تكون الحبوب مخلوطة بمقدار السدس بالأجسام الغريبة أو الطين أو القش أو بأية مواد أخرى ، فاذا تجاوزت هذه الأشياء عديمة القيمة نسبة السدس هذه فان الفلاحين ملزمون بتعويض ملتزميهم .

وتشتمل أملاك الملتزمين فى صعيد مصر على عدة نجوع مأهولة تشكل فى مجموعها وحدة ادارية واحدة تصل أهميتها الى حد أن الاقطاعيين (الملتزمين) الذين لا يقيمون بأراضيهم يضنطرون لأن يعهدوا بها الى كاشف يتبعه عدد من القائمقامات يقيمون بالكفور أو النجوع التابعة للقرية الأساسية . وعندما يجد العامل (الصراف) نفسه فى حالة لا تمكنه من الوفاء بمتطلبات العمل الموكل اليه فانه يعهد بجزء من مهامه الى مرعوسين له يسمون قوبااض Qoubâd يحصل هو منهم على جباياتهم وينظم لهم حساباتهم بحيث تدرج حركتهم ضمن حركته .

(وصف مصر - م ٧)

ولم يكن فلاحو مصر العليا على الاطلاق قيانا (قين) للارض مثل حال فلاحى مصر السفلى ، فلم يكن الملتزم ليستطيع ان يرغمهم على البقاء وعلى العمل فى ارضه ، حيث لم يكن هؤلاء ليقبلوا فلاحه الارض — وبالتالي يصبحون مهولين للضرائب — الا بموجب عقد اختياري يقتصر على بذر وحصد زراعات عام واحد .

وقبل سيطره على بك كان شيخ العرب همام يحكم ولايات الصعيد باسم باشا القاهرة ، ولم تكن القوات العثمانية لتتوغل فى هذه البلاد مطلقا ، بل كان من النادر ان يظهر الأتراك فى القرى التى كانوا هم ملتزمين لها . وكانت هذه الاحتياطات تهدف الى اقامة حكومة تتق بلاده من مظالم الأجنبي وذلك بقيامه بتحصيل المجرى المستحق للباب المالى بكل دقة وبحرصه على الا يتسبب مشايخ البلاد فى حدوث مايمكن ان يكون موضوع شكوى سادتهم (الملتزمين) ، لكن القضاء على هذا الحاكم العادل قد أسلم الصعيد الى نفس طغاة مناطق مصر الأخرى : ومع ذلك فان الضرائب والابتزازات هناك لم تتزايد بنفس معدلها (فى مصر السفلى) أما بسبب الإدارة والمراعاة اللتين لابد من الحرص على توفيرهما مع فلاحين قادرين على دمار سيدهم وذلك بهجرهم ارضه ، واما ، وهو أكثر الأسباب احتمالا ، لأن التدهور والخفض المستمر فى قيمة المسكوكات النقدية لم تكن تبرر مطلقا زيادة هذه الضرائب هناك حيث تظل للضرائب العينية على الدوام نفس قيمتها . وقد كان فلاحو مصر العليا يعفون من رسوم :رفع المظالم ، وفردة التحرير وكذلك من معظم العادات الداخلة ضمن ما يطلق عليه اسم البرانى الجديد .

وكانت الحرية التى يتمتعون بها ، ووقت الفراغ الذى تتيحه لهم زراعة أقل مشقة تتوقف اعمالها طيلة ستة اشهر ابتداء من الحصاد حتى فيض المياه ، كان كل ذلك يسمح لهم بالانخراط فى العديد من ضروب الصناعة : فهم بصنعون الأقمشة والفخاريات والحبال والحصار . الخ . كما أنهم يمدون القاهرة بالكثير من العمال والخدم وبخاصة بوابو الوكالات الموجودة بهذه العاصمة ، ويتوجه هؤلاء عادة الى قراهم خلال فصل الحصاد ثم يعودون الى القاهرة بعد انتهاء مشاركتهم فى الأعمال المطلوبة .

ويدين شيوخ الصعيد لبعدهم عن مقر الحكومة وللنفوذ الذى اكتسبوه

تحت ادارة الشيخ همام بالاخصاصات (النى فى حوزتهم) وهى أبعد مدى عن تلك التى فى حوزة اخونهم المستقرين فى مصر السفلى ، كما أن الملتزمين هناك متساهلون غير مدققين فى التمسك بامتيازاتهم ، كما أنهم يعفون الشيوخ من سداد الزبادات التى طرأت على المال الحر ويمنحونهم امتيازات أخرى اذ كان من المهم بالنسبة لهم ان يربطوا الى مصالحهم رجالا ذوى ارادة ولهم سطوة على فلاحهم .

وسوف يوضح لنا الجدول الذى نورده فيما يلى حرفيا الضرائب النقدية والعينية التى تدفعها طهطا التابعة لولاية أسيوط خلال عام ١٢١٣ من الهجرة ، العام السابع من قيام جمهوريتنا (١٧٩٨) ، وسوف ينطبق مع كل ما انتهينا من قوله ماسا بأسلوب الادارة ووسائل جباية الضرائب المقررة فى الصعيد .

بيان بالضرائب المقررة على اراضى طهطا

بولاية سيوط عن ع م ١٢١٣ من الهجرة

طهطا : قرية رئيسة

المدمر - العتامنة - الواقات - كوم العرب
الهلة - الساحل - القبيصات - الحومدية (*) -
الطليمات - نزة - فزارة - جهينة - القرنة -
الخضر - عنيبس - اولاد اسماعيل - الحرافشة -
بنى عمار - كوم اشقاو .

مساحة الأراضى المحملة بالضرائب مع بيان توزيعها :

| ق | ف | التبارة | مدينى | مدينى |
|----|---|-----------------------------|-------|-------|
| ١٩ | ٦ | زرعت لأول مرة بمحصول النيل | | |
| | | بواقع الفدان ٣٦٢ مدينى | ٢٤٥٩ | |
| ٩ | ٤ | زرعت لثانى مرة بمحصول النيل | | |

(*) هكذا فى النص الفرنسى el Houmdyeh وان كان الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن يوردها فى كتابه الريف المصرى فى القرن الثامن عشر وكذلك الاستاذ محمد رمزى فى قاموسه الجغرافى باسم الحريدية والتشابه بين الاسمين ممكن فى الكتابة بخط القزمية الذى كان متبعها فى ذلك الوقت (المترجم) .

| ق | ف | مدينى | مدينى |
|-------|-------|--------------------------------------|---------|
| ١ | ١٨٢١ر | بواقع الفدان ١٨١ مدينى . . . ٧٩٢ | مدينى |
| ١٢ | ٢١٤ | بواقع الفدان ١١٠ مدينى . . . ٢١١ر٣١٥ | مدينى |
| | | بواقع الفدان ١١٠ مدينى . . . ١٢ر٥٩٥ | مدينى |
| (١)١٧ | ٢ر٠٤٦ | | ٢٢٧ر١٦١ |

| الثتوى | | | |
|--------|-------|-------------------------------------------------|---------|
| ١٦ | ٩٤٢ | المدمر | |
| ١٨ | ٣٧١ | العتامنة | |
| ١٨ | ٦٢ | الواقات | |
| ٠٨ | ١٧٣٢ر | الهلة والساحل | |
| ١٢ | ٣ر١٠٩ | بواقع الفدان ٢٢١/٤ مدينى | ٦٨ر٧٩٨ |
| ١٤ | ٣٤٦ | طهطا | |
| ٠٠ | ١٥٠ | القببيصات | |
| ٠٠ | ١٢٠ | الهومدية | |
| ٠٠ | ٥٠٠ | الطليجات | |
| ٠٠ | ٤٢٠ | نزة | |
| ٠٠ | ٢٥٠ | فزارة | |
| ٠٠ | ١ر٤٠٠ | جهينة | |
| ٠٠ | ١١٠ | القرنة | |
| ٠٠ | ١٢٠ | الخضر | |
| ٠٠ | ٥٧٠ | عنييس | |
| ٠٠ | ٢٥٠ | اولاد اسماعيل | |
| ٠٠ | ١٢٠ | الحرافشة | |
| ٠٠ | ١٣٥ | بنى عمار | |
| ١٤ | ٤ر٤٩١ | بواقع ٢٢١/٤ م/ف (٩٩ر٩٣٨) | |
| ٠٢ | ٧ر٦٠١ | | ١٦٨ر٧٣٦ |
| ١٩ | ٩ر٦٤٧ | تدفع الضرائب نقدا . | |
| | | ١٢٥ فداناً تابعة لكوم العرب وقد خربت عن آخرها . | |
| ٠٨ | ٥ | خصومات سابقة . | |
| ٠٨ | ١٣٠ | | |
| ٠٣ | ٩ر٧٧٨ | | |

الاجمالى المكون للمال الحر المبدئى

(١) مقام هذه الكسور هو ٢٤ (ومعروف أن الفدان يساوى ٢٤ قيراطا) .
 (٢) لايفيب عن بالننا ان هذا الاجمالى يختلف من عام لآخر تبعا لنوع المحاصيل التى تبذر بها الأرض .

٢٣٩٥ر٨٩٧ (٢)

يخصم من ذلك :

انفاقات محلية ومصروفات ادارية دفعت الى مستحقين :
خصومات لمشايخ القرى عن الأراضى التى يزرعونها بالمحصولات

النبارى ومساحتها ٨ ق ٥٤ ف بواقع ١٠م/ف ٩٧٧ر٥

خصومات للمذكورين عن الأراضى التى يزرعونها بالحبوب :

٢ ق ٧٩٩ ف بواقع ٨/٢٢١م/ف ١٧ر٦٨٠

٦ ق ٦٤٢ ف بواقع ٤/٢٢١م/ف ١٤ر٢٩٠

٣١٩٧٠

٤٤٠ للنجارين الذين يقومون باصلاح أدوات الري

٠ر١١٠ لجامع أبو دومه فى طهطا لشراء الزيت والحصر

٠ر٢٢٠ للمشايخ : محمد

٠ر١١٠ عبد الله

٠ر٨٠٧ سليمان النصيرى

٠ر٥٠٠ عمر

٠ر٢٢٠ موسى عبد الكريم

٠ر٣٩٧ عبد الرحمن العربى

٦ر٠٠٠ عادة لشيوخ من الصوامعة

١ر٥٠٠ عادة لشيوخ من الهلة

١ر٧٠٠ عادة لشيوخ من المدمر

٨٥ للشيخ ابراهيم العاجز

٠ر٣٠٠ لحراس المرفأ الذى ترسو عنده المراكب

١ر٠٠٠ للشيخ بكرى الزواقى

٠ر٨٠٠ الى أبناء وهيلة (*)

٥٢ر١٣٦

٣٤٣ر٧٦١

الباقى

ويوزع هذا الباقى بمعرفة الملتزم على النحو الآتى :

— الى السلطان : ضريبة الميرى، وكان المطلوب هو

٤٣٩ر٥١٤ مدينى ولكن لا يخصص من ذلك هنا الا ٢١٢ر٠٩٧

فحيث أن حصيلة المال الحر لم تتجاوز ٣٤٣ر٧٦١

فانه لا يتبقى ما يزيد عن ذلك بعد سداد

الكشوفية التى سيأتى بيانها . وفى حالتنا هذه

(*) أو الوهلة أو الوهيلة ونعتذر لصعوبة التحقيق . (المترجم) .

لا يوجد أى فايز ويضطر الملتزم لأن يستقطع من
حصيلة البرانى مايكفى لسداد الميرى المقرر
(أنظر بعده) .

— الى حاكم الولاية عن ضريبة الكشوفية :

| | | | |
|--------|---|-------|------------------|
| ١٣١٦٦٤ | { | ٨٦٧٨٨ | • مصاريف الولاية |
| | | ٦٠٠٠ | • حق الطريق |
| | | ٣٨٨٧٦ | • الكلفة |
| ٣٤٣٧٦١ | | | المبلغ الاجمالى |

مضاف قديم او برانى قديم

مال المغارم المسمى مال تثنوى ومال صيفى :

| | | | |
|--------|---|--------|-------------------------------------------------|
| ١٩٢٧٤٧ | { | ٦٧٠٨٦ | الجهة الشمالية |
| | | ١٢٥٦٦١ | الجهة الجنوبية |
| ١٣٣١٦ | | | مال المراعى |
| ١٩٦٦ | | | مال الجروف |
| ١٠٤١٢ | | | حملة الكوبيات (الصرافين) |
| ٣٧٠٠ | | | غرامة العشر (ضريبة للأحسان) |
| ٤٠٥ | | | عادات قديمة مستحقة على قرية المدمر |
| ١٠٠ | | | غرامة العشر على الخرفان |
| ٢١٠ | | | خرفان الموسم |
| ٥٤٣ | | | عادات (او عوائد) على المقاييس |
| ٢٥٠٠ | | | عادات على السوق المقام كل سبت فى الهلة (*) |
| ٢٤٠ | | | عادات متنوعة |
| ٤٠٠ | | | من قرية نزة |
| ٤٠٠ | | | من ابراهيم الضبية |
| ٢٠٤٧٨ | | | كلفة الملتزم (وهى عادة عينية تحولت الى نقدية) |
| ١٠٠٠٠٠ | | | عادة حوالة الحوالات |
| ٢٠٤٤٠ | | | ثمن نقدى لعجول قررتها العادة |
| ٤٢٥٠٠ | | | القيمة النقدية للضرائب المستحقة على كوم |
| ٨٥٠٠٠ | | | العرب نظرا لخرابها** |
| | | | عادات على سوق طهطا |

٥٠٥٣٥٧

الاجمالى

(*) نجد على المامرس الجسرامى شريه باسم الحله ولعلها هى نفس
الفريه لکن الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن يورد من يسمون عربان هلة
لذلك آثرت ترك الاسم على النحو الذى ورد به . (المترجم) .

(**) أى ان هذه الضرائب بوزع على بقية القرى بسبب خراب هذه
القرية (المترجم) .

ويخصم من ذلك ما خفض عن أو دفع الى متفرقين :

| | |
|-------|-----------------------------------------------|
| ١٥٦٠ | حصلة كوم اشقاو التي لم تعد تابعة لالتزام طهطا |
| ٠٩٠٥ | حصلة كوم العرب التي خربت |
| ٦٢٥٠ | حصلة كوم اشقاو عن حوالة الحوالات |
| ٢٨٠٣ | حصلة كوم العرب التي خربت |
| ١٢٧٧ | حصلة كوم اشقاو عن اجمالي ثمن العجول |
| ٤٢٥ | حصلة كوم العرب |
| ٧٣٣٧٥ | مخصصات للعربان |
| ١٠٨٥٠ | عادات لمتفرقين من عادة حوالة الحوالات |
| ٢٩٨٥١ | تنزيل قديم |
| ٤٤٤٣٤ | أداة قائمقام طهطا |

١٧٣٧٣٠

اجمالي الخصومات

وبذلك يكون صافي حصيلة المضاف القديم هو (*) ٣٣١٦٢٧

وبذلك يكون صافي اجمالي الضرائب المقررة هو : ٦٧٥٣٨٨

مضاف مستجد ، او برانى جديد

عادات السردارية عن زراعات النبارى بواقع

١٩٨٩٧

١٠م/فدان

٣٨٢٤٧٤

على مختلف القرى :

٣٠٣٠٦٥

هدايا للملتزم من زبد وخلافه

٢٩٦٠٠٠

مبالغ فرضت على هذه القرى كضريبة فردة

١٠٠١٤٣٦

اجمالي المضاف المستجد

ويخصم من ذلك ما دفع لمستحقين :

٢٦٩٨٤٧

هدايا معنادة لمتفرقين

كسوة (هدية من الملابس لكبار

الشيوخ عندما يجلبون العادات

١٠٠٠٠٠

(للملتزم)

٣٢٦٦٧

كسوة لصفار المشايخ (شرحه)

٤٠٢٥١٤

اجمالي الخصومات

٥٩٨٩٢٢

اجمالي صافي المضاف المستجد

وبذلك يبلغ اجمالي الضرائب المقررة على هذه القرية ١٢٧٤٣١٠

(*) اضطررت لادخال تعديلات طفيفة فى تنسيق هذه الجداول زيادة

فى الايضاح (المترجم) .

ويتم التوزيع الجديد لهذا المبلغ على النحو الآتي :

| | |
|--------|-------------------------------------|
| ٤٣٩٥١٤ | الى السلطان : ضريبة الميرى |
| ١٣١٦٦٤ | الى حاكم الولاية : ضريبة الكثوفية |
| | الى الملتزم { البرانى القديم ٣٣١٦٢٧ |
| | { البرانى الجديد ٥٩٨٩٢٢ |
| ٩٣٠٥٤٩ | |

ويخصم من هذه الحصيلة مادفعه الملتزم من

| | |
|---------|------------------------------|
| ٢٢٧٤١٧ | ماله لاستكمال الميرى ويبلغ |
| ٧٠٣١٣٢ | فيكون صافى حصيلة الملتزم |
| ١٢٧٤٣١٠ | فمحصل على نفس المبلغ المطابق |

انفاقات محلية وخلافها تدفع لمستحقين :

| | |
|-----------|--------------------------------------------------|
| ٥٢١٣٦ | خصما من حصيلة المال الحر |
| ١٧٣٧٣٠ | خصما من البرانى القديم |
| ٤٠٢٥١٤ | خصما من البرانى الجديد |
| (١)٦٢٨٣٨٠ | ويبلغ اجمالى هذه الانفاقات |
| ١٩٠٢٦٩٠ | وبذلك يبلغ اجمالى عام الضرائب النقدية التى تسدها |
| | هذه القرية |

جدول بالضرائب العينية (المسددة فى شكل حبوب)

والمقررة على نفس هذه القرية

| | | |
|-------------------------------------------------------------------------------------------|---|---|
| ٧٦٠١ | ق | ف |
| | ٢ | |
| تخضع لضريبة الشتوى وتدخلى هذه ضمن حساب الضرائب النقدية ، لكنها تسدد عادة ضريبة البياضى | | |

ويخصم من هذه المساحة :

| | | |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------|----|-----|
| ٧٠ ٠٠ | ق | ف |
| ٤٨ ٢٢ | ٢٢ | ١١٨ |
| يزرعها الملتزم لماثسيته وخبوله احترقت محاصيلها خلال عملية عسكرية دارت بين المماليك والفرنسيين | | |

| | |
|--------------------------------------------------------------------------------------------|---|
| ٧٤٨٢ | ٤ |
| باقى المساحة وتسدد الضريبة بواقع ٢١/٤ أردب من القمح لكل فدان ٢١(*) ١٦٨٣٤ اردبا من القمح | |

(١) ونرى من ذلك أن الانفاقات تبلغ ٤٩ ، جملة الضرائب التى
تسدها هذه القرية .

(*) سبق أن أوضح المؤلف أن مقام الكسور هو على الدوام ٢٤ .

زيادات فى المال الحر

| | ق | ف |
|--------------------------------------------------------------------------|----|-------|
| رذقة هى برك المدمر والهلة نقص قديم | ٦ | ٢٤٨ |
| وهذه المساحة تسدد الضريبة بواقع | | |
| ٢ اردب قمح / فدان | ١٢ | ٤٩٦ |
| رذقة بركة الاسدارية بواقع اردب | ٧٦ | |
| و١٦ / فدان | ١٦ | |
| نقص قديم | ٧٦ | |
| ٥٠ | ١٦ | |
| ضرائب على اراضى العمار والفرق فى المدمر والواقات | ١٢ | ٤٤٥ |
| نقص قديم | ٣ | |
| عن رذقة خميس فى الهلة | ٨ | ١١٣ |
| ارض غائبة (لم يتيسر نحديثها) فى الهلة | ٨ | ٣٣ |
| بواقع ٢ اردب / ف | ١٦ | ٦٦ |
| رذقة القلايح فى جهينة بواقع الفدان | ٧٩ | ٠٠ |
| ١٦ اردب | ١٦ | ١٣١ |
| اجمالى الزيادات | ٨ | ١٣٠١ |
| اجمالى المال الحر بالأردب بمكيال البلد | ٥ | ١٨١٣٦ |
| فرق مكيال باحتساب زيادة قدرها ٨٠٪ كى يتم التقدير تبعاً لمكيال القاهرة | ٢١ | ١٤٥٠٨ |

اجمالى عام للمال الحر المسدد بالحبوب طبقاً لمكيال
القاهرة (قمحا)

٢ ٣٢٦٤٥

ويخصم من ذلك انفاقات محلية ومصروفات ادارية دفعت الى مستحقين
تخفيضات لصالح الشيوخ كعائلات لهم

| | ق | ف |
|------------------------------|----|-----|
| بمكيال البلاد بمكيال القاهرة | | |
| ٨٠ ق ٤٤١ راف زرعت بمصرفتهم | ٢ | ٧٩٩ |
| بواقع ٢/٢١ اردب لكل فدان | ٦ | ٦٤٢ |
| ٣٢٤٣ ر | | |
| لشيوخ فى قرى مختلفة | ٤ | ٥٥ |
| للشيخ عثمان | ١٢ | ٧ |
| » عمر طه | ٠٠ | ١٠ |
| » محمد النصيرى | ٠٠ | ١٠ |
| » أحمد ابو السعود | ٠٠ | ٢٠ |
| » أبو زيد النحاس | ٠٠ | ١٥ |

« تابع »

| | |
|--------------------------------|----------------------------------------------------------------|
| ١٠ | للشيخ احمد عمر |
| ٥٠ | « عبد الفتاح الحاجرى |
| ٣٠ ٠٠ | « مسعود |
| ٧ ١١ | « محمد الجابى |
| ١٠ ٠٠ | « غانم |
| ٢٠ ٠٠ | « محمد |
| ٣٠ ٠٠ | « الفقير |
| | عادات مخصصة منذ زمن قديم للاشراف |
| | والعلماء ٢١١/٢ ٨٠٧ |
| | عادات المطمسين (العمال المشرفين على |
| | الجسور) ٣١ ٠٠ |
| ٢١ ٠٠ | لحراس الجسور |
| ١٠٥ | ايحارات مخازن الحبوب |
| | عادات قائم مقام طهطا |
| | للقائم بتسلم الحبوب فى المخازن |
| | ٣ ٨٤ |
| | ٢ ٤٣ |
| ١١ ر ٦٧٩ ٩١/٢ | ١٥١/٢ ٦٤٨٨ |
| | ١٨ ٥١٩٠ |
| ١٢٠٢٠ ١٢١/٢ | وتزيد هذه عند تحويلها الى مكيال |
| أردب قمح | القاهرة بواقع زيادة قدرها ٨٠٪ |
| ٢٠٦٢٤ ١٣١/٢ | اجمالى الخصومات |
| أردب قمح | وبذلك يكون صافى حصيلة المال الحر |
| ٣٠٩٣٦ ٢٠١/٤ | وباتخاذ الشعير اساسا للتعامل فان هذه الكمية بمكيال القاهرة |
| ٨٠٧٣ | تعاذل باعتبار أن أردب الفمخ = ١١/٢ اردبا من الشعير ٢٠١/٤ ٣٠٩٣٦ |
| | وهذه توزع بمعرفة المنتزم على النحو الآتى : |
| | الى السلطان : ضريبة الميرى |
| | الى حاكم الولاية : كمصروفات للولاية وعليق ١٣ ٤٥٢٠ |
| | زيادة فى المكيال بواقع ٤١/٦ لـ ١٨٨ ٨١/٢ |
| | كلفة اثناء جولاته : |
| | لطعامه (بالقمح) ٦٠ |
| | للبرغل ٨ |
| | للعهدس ٨ |
| | لطعام الخيول ١٠٠ |
| | اجمالى الكلفة ١٧٦ |
| | الفرق عند تحويله الى شعير ٣٤ |
| ٢١٠ | وبذلك يكون الاجمالى فقط بالشعير |
| ٤٩١٨ ٢١٣/٤ | وهكذا يكون اجمالى ما يخص حاكم الولاية |
| ١٧٩٤٤ ٢٢١/٢ | الى المنتزم وهو الفايز الخاص به |
| ٣٠٩٣٦ ٢٠١/٤ | وهى نفس الكمية المطابقة |
| أردبا من الشعير بمكيال القاهرة | |

برانى يحصل لصالح الكاشف ويرسله اليه الملتزم
مقابل حكم القرية وتوابعها :

جراية السردارية : عادات لطعام السردار ولطعام خيوله خلال
مدة اقامة تبليغ
٢٧ ليلة
تخصم منها حصة كوم اشقاو التي لم تعد تابعة لهذه
القرية وتبلغ
١٣/٤ ليلة

فيكون الباقي بعد ذلك ٢٥١/٤ ليلة توزع كما يلى :

٧ ليالى فى الهلة
٥١/٤ ليالى فى طهطا
١٣ ليلة فى جهينة
عادات على قرى مختلفة
عادات على كيبالى الحبوب
عادات على الرزق الآتية :

٢٨٦ ٢ = ١٩١/٤ أردبا = ٢٨٦
٧٩٠
٣٠

ف ف

رزقة العلفية ومساحتها ١٨٤ (٢٣٤ بواقع الفدان
رزقة الربوة ومساحتها ٥٠ (١١/٢ أردب

٣٥١
١٦١٧ ٢
١٢٩٣ ١٤
٢٩١٠ ١٦

الزيادة مقابل الفرق بين المكيال ومكيال القاهرة

اجمالي برانى الكاشف

وباتخاذ التسعير أساسا للتعامل فان هذه الكمية تعادل

باعتبار أن أردب القمح = ١١/٢ أردبا من التسعير

٤٣٦٦

يخصم منها مادفع لمستحقين :

حصة كوم العرب ، وهى قرية خريبة خصما من غذاء

الكاشف وخيوله (بالقمح) ١٠ ١١ بمكيال البلاد

مخصصات لحساب المشايخ وتسمى هبة المشايخ وتؤخذ

٧١١ ٨

خصما من حصته

٨١ ٠٠

هبات لتفرقين فى قرية عنيبس

٨٠٣ ١٨

الاجمالي

يضاف اليها الفرق بين مكيال البلاد

٦٤٢ ٢٢

ومكيال القاهرة بواقع ٨٠٪

١٦ ١٤٤٦

الاجمالي بمكيال القاهرة

وباعتبار أن أردب القمح يساوى ١١/٢ أردبا من التسعير

فان هذه الكمية تساوى بأردب التسعير

٢١٧٠

وبذلك يكون اجمالى الضرائب العينية التى تسدها

هذه القرية

٣٣١٣٢ ٢٠١/٤
أردبا من التسعير

ويتم التوزيع الجديد لهذه الكمية على النحو التالي :

| | | |
|--------------|-------|-----------------------------------------------------------------|
| ٨٠٧٣ | | الى السلطان : ضريبة الميرى مقدرة بأرادب الشعير مكيال القاهرة |
| ٤٩١٨ | ٢١١/٢ | الى حاكم الولاية : ضريبة الكشوفية |
| ١٧٩٤٤ | ٢٢٣/٤ | الى الملتزم : الفايط (او الفايط) |
| ٢١٩٦ | | الى الكاشف : البرانى الخاص به مقابل حكم القرية |
| <u>٣٣١٣٢</u> | ٢٠١/٤ | وهى نفس الكمية المطابقة |

مصرفات محلية وخلافها دفعت لمستحقين :

| | | |
|--------------|-------|--------------------------------------------|
| | | على نفقة المال الحر ، قمح ١٢١/٢ ١٢٠٢٠ رديا |
| | | (عليق) وتساوى (بالشعير) |
| ٢٠٢٠٠ (١) | ١٩٣/٤ | ١٨٠٣٠ ١٩٣/٤ |
| | | ٢١٧٠ |
| | | على نفقة البرانى |
| | | اجمالى كمية الحبوب التى دفعتها هذه القرية |
| <u>٥٣٣٣٣</u> | ١٦ | بأرادب الشعير |

مقدرا بأرادب
الشعير مكيال
القاهرة

٣٦٥٠٧٣

يبلغ الميرى من الفلال المحصلة من مصر العليا

وبسبب نقص المعلومات الكافية فنحن لانستطيع أن نبين هنا على وجه الدقة حصيلة الفروع الأخرى من الضريبة ، فاذا ما قدرناها طبقا للنسبة القائمة بين الميرى النقدى الذى يبلغ ١٢٠٢٠ رديا مدينى والميرى من الفلال فسوف نقدر :

| | |
|---------|------------------------------------------------------------------------------|
| ٢٧٨٣٦١ | الكشوفية القديمة والجديدة والتي تبلغ حصيلتها النقدية ٩٢٧٠ رديا مدينى — |
| ١١٨٧٢١٣ | الفايط والبرانى القديم والجديد والتي تبلغ حصيلتها نقدا ٣٩٥٣٩ رديا مدينى — |

وبذلك يصل الاجمالى ، غير شامل للانفاقات المحلية التى تخصم مباشرة من حصيلة القرى لتنفق مباشرة فى الأراض المخصصة لها ، الى

١٨٣٠٦٤٧

(١) تعد هذه القرية واحدة من القرى التى تبلغ المصروفات المحلية بها حد الأسراف ، اذ نلاحظ كيف أنها تبلغ ٦١٪ (من الحصيلة) .

وتعادل هذه الكمية اذا ما حولناها الى حنطة ، طبقا لمكيال القاهرة
٤٣١ر٢٢٠ اردبا ، تساوى اذا قدرنا سعر الأردب بـ ١٠ جنيهاً أو
٢٨٠ مدينى ، وهو متوسط سعر أردب القمح فى هذه الأيام ٣١٠ر٢٠٤ر٢٠
جنيهاً توريا (✱) أو ٦٨٠ر٧٢٠ر٣٤١ مدينى ، وهو ما يعادل بالفرنكات
١٢ر٥٣ر٦٣٩ فرنكا و ٥٠ سنتيما .

وبمقابلة هذا المبلغ بالضرائب التى تحصل نقداً فى هذه المنطقة التى
لايدخل فيها الا ١/٣ ولاية بنى سويف و ١/٤ ولاية اطنيفح ، ذلك أن ثلثى الولاية
الأولى وكذلك ثلاثة أرباع الولاية الثانية تتبع مصر السفلى ، نخبين أن قيمة
الضرائب العينية تزيد على حصيله الضرائب النقدية بنحو خمسة أمثال
ما قد يؤكد أن قائمتنا لم تتعد عن الحقيقة حيث أننا نستخدم هذه النسبة
عادة عند حساب الضريبة العينية التى تسدها مصر العليا ، بالمقارنة بما
تدفعه من ضريبة نقدية .

ويوضح لنا الجدول الذى سنعرضه فيما يلى استخدامات الميرى
المحصل عينا . أما استخدام حصيله الكشوفية ، والذى لم نستطع أن
نورد قائمة به هنا ، بسبب عدم كفاية معلوماتنا فإنه يتم فى نفس
الأغراض التى تخصص لها الانفاقات النقدية ، التى تقع على عاتق البكوات
أو الكشاف حكام الولايات ، وهو ما سنتناوله بعد ذلك فى بقية
هذه الدراسة .

(✱) توري Tournois صفة لنقد فرنسى قديم كان يضرب فى مدينة
تور على الطراز الملكى (المترجم) .

جدول باستخدامات الميرى المحصل فى شكل حبوب

| المجموع بأرادب الشعير | شريحة من الشعير = ١٥ أردبا | شريحة = ١٢ أردبا من القمح و ١٨ أردبا من الشعير | |
|--------------------------|----------------------------------|---------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ١٣,٩٢٣ | ٦٥١ | ٢٣١ | الى الباشا الى الأوجاقات |
| ٢,٠٣٦ و ١/٢٤ | ٧١ | ١٢ ٥٣ ٢٤ | الى خمس من هذه الفرق العسكرية الى نفس هذه الفرق نظير الذهب لاستقبال المحمل |
| ٤٣٥ | ١٧ | ١٠ | |
| ٤٨٠ ١٨ | ٢١ | ١٦ ٩ | الى كيوخيات (كيوخيا) هذه الفرق الخمس الى أوجاقات تفكجيان ، جمولييان ، شراكسة |
| ٣٠,٢٦٠ | ٢,٠١٧ | ٨ — | |
| ٢,٤٤٢ | ٧٤ | ٧٤ | الى الـ ٧٤ شوربجى بالأوجاقات |
| ١٠,٨٢٤ | ٣١٩ | ٢٣٥ ١٢ | الى حاميات القلاع (أو الطوابى) الى حراس القلاع على طريق القاهرة — مكة |
| ١٠٠٤٤ | ٣١٩ | ٥٨ | الى البكوات : |
| ١٢,٩٤٤ | ٤٧٣ | ٢٠ ٣٢٤ ٦ | الى أمير الحج للتزود بالمؤن أثناء الطريق إلى دفتر دار البك |
| ١٢٣٩ | ٢٣ | ١٠ ٤١ | إلى فرق البكوات |
| ١٥٩٦٠ | ٦٠٨ | ٢٨٠ | |
| ٢,٣٢٢ | ٦٠٨ | ١٢٩ | الى البكوات القباطنة الثلاثة السويس والاسكندرية ودمياط والى قائد رشيد |
| ٢٨٤٠ | ٢٢ | ٢٠ | الى قائد السويس |
| ٦١٢ | ١٦ | ٢٠ ١٦ | الى قاضى القاهرة |
| ٢,٧٧٤ ٦ | ١٠٥ | ١٨ ٦٦ | الى أفندية الديوان |
| ٥٢٢ | ١٠٥ | ١٨ ٢٩ | الى خدم الديوان |
| ٤٣٤ | ١٠٥ | ١٨ ١٣ | الى كتبة سجلات الفلال |
| ٦١٢ | ٣٠ | ٩ | الى صناع البارود اللازم للحكومة لطعام الثيران المستخدمة فى مجرى العيون بمصر العتيقة |
| ٤,٦٤٢ ١٣ | ٣٠٩ | ١٢ — | الى المؤسسات الخيرية الآتى بيانها : الى المسجد الكبير المسمى بالجامع الأزهر الى العميان ومرضى المارستان الى المفاربة وطلاب آخرين يدرسون بجامعة الأزهر الى موظفى وخدم الجامع المسمى الامام الشافعى الى الأوقاف الاسلامية بمصر عادات لعائلى البكرى والسادات وغيرهما |
| ١٥٤,٣٣٩ ٤ | | | |

| المجموع بأردب الشعير | شريحة من الشعير = ١٥ أردبا | شريحة = ١٢ أردبا من القمح أو ١٨ أردبا من الشعير | |
|-------------------------|--------------------------------------|----------------------------------------------------------|-------|
| ١٥٧ | ١٢ | ١٢ | — |
| ٥٠٧ | ١٨ | ٦ | ٢٥ ١٢ |
| ٩٣ | ٣ | ٥ | ٥ |
| ٢٢٥ | — | ١٢ | ١٢ |
| ٦٤,٠٥٣ | — | ٣,٥٥٨ | ١٢ |
| ٨٦٤ | — | ٤٨ | |
| ١,٣٥٩ | — | ٧٥ | ١٢ |
| ٣٩,٢٢٦ | ٢٣ | — | |
| ٧٣٠,٦٣٥ | إجمالي مطابق لحصيلة الميرى من الغلال | | |

أوقاف متفرقة لصالح مشايخ القاهرة
وقف إبراهيم باشا لصالح جامع اثر النبي
وقف اسماعيل باشا لصالح :
قارئ القرآن بالقلمة
المفتين العلماء الأربعة
ارساليات الى مكة والمدينة :
الى شريف وخدم الحرمين بمكة والمدينة
الى قضاة هاتين المدينتين
الى بحارة المراكب التي تنقل الغلال
الى مكة
نثرية يتحملها البكوات كنفقات للاشراف على
التحصيل

وتدين الاراضى القابلة للزراعة فى مصر بوجودها لفيضانات النيل،
فلو لم تروها مياه النيل لايتلمتها الرمال . وحيث لاتسقط الأمطار مطلقا فى
هذه البلاد فان درجة فيضان النيل تعد الأساس الأوحد لقياس الاعمال
والحاصيل ، وبشكل مبدئى ، فان الضريبة لاتكون واجبة الأداء على
الفلحين اذا لم تغمر الفيضانات الأرض ، ومع ذلك ، فحدث بكفى ان تفتح
الحكومة الخليج حتى يصبح الفيضان كافيا بشكل شرعى وكافيا لى تتقرر
الضريبة . فانه يترتب على ذلك ان عدم حدوث فيضان كاف لم يكن لبعفى
الأرض فى كل الاحوال من الضرائب . ولم يكن الباب العالى يؤجل مطلقا
تحصيل الميرى . كذلك قلما كانت الحكومة تنقص من قيمة ضريبة
الكثوفبة . ومع ذلك فعندما يكون الفيضان مدمرا أو زائدا عن الحد
مما يؤدى لان تصبح المحاصيل ضعيفة أو سيئة فان على الملتزم ان يوقف
تحصيل الفايز ، ولكنه كان يفرض جبايته فى العام التالى بالاضافة الى
الفايز المقرر هذا العام . ولم تكن هناك أية لوائح ترغم البكوات أو
الملتزمين على انقاص الضرائب عندما تسوء احوال المحاصيل ، لكن

مشاعرهم الانسانية او بالأحرى كان عجز مموليههم فى معظم الأحيان ، كان يحدد قيمة التخفيضات التى كانوا يقررونها فى بعض الأحيان للفلاحين .

خامسا : عن الأوقاف

سبق لنا أن شرحنا المقصود بكلمة أوقاف ، ويبقى علينا الآن أن نوضح ماتشتمل عليه دخولها :

العوائد النقدية من الأوقاف السلطانية :

| | | |
|------------------|-----------------|--------------|
| على سبيل التذكرة | ١٩٠٧٧٦٥ ر مدينى | دشيشة الكبرى |
| | ١٢٠٦٢٧٤ ر | المحمدية |
| | ٥٨١٠٣٣ ر | الأحمدية |
| | ٩٦٩٨٥٧ ر | المرادية |
| | ٦٣٨٦٧٠ ر | الحرمين |

المرى المقرر على ناظر وقف دشيشة الكبرى ٥٠٠٠٠ مدينى

المبرى المقرر على الأوقاف الخصوصية :

| | |
|--------|-------------------|
| ١٠٢٠٠٠ | وقف سليمان باشا |
| ٣٧٥٠٠ | » السلطان الغورى |
| ٢٥٠٠٠ | » السلطان الأشرف |
| ٢٠٠٠٠ | » السلطان بيبرس |
| ٣٠٠٠٠ | » الوزير خاير باى |
| ٣٠٠٠٠ | » قايتباى |
| ١٥٠٠٠ | » عبید الله |
| ١٢٥٠٠ | » الوزير حياظ باى |

وكانت هذه الأوقاف الثمانية تسدد فيما مضى

علاوة على ذلك مبلغا قدره ١٢٠٠١٧٨ وهو مايسدد الباشا الآن بالنيابة عنها لأن أحد

أسلافه قد أعفاها منه . وبذلك يبلغ اجمالى عوائدها ٣٩٢١٧٨

اجمالى العوائد النقدية للأوقاف بنوعيتها : ٤٤٢١٧٨

وتعادل بالجنيهات التوربية ٥٥ اس ١٥٧٩٢ جت

وبالفرنكات ١١ اس ١٥٥٩٧ ف

وقد كان السلطان محمد بك شراكسة ، حاكم مصر الأسبق ، قد أسس وقف دشيثة الكبرى واحترم تصرفه هذا السلطان سليم ، حتى أن ملتزمى الأراضى التى عينها هذا السلطان لا يزالون يدفعون حتى اليوم الضرائب المستحقة على هذا الوقف الى ناظره ، وعلى التوالى انشأ السلاطين محمد وأحمد ومراد ، خلفاء سليم الذين اعتلوا عرش القسطنطينية من بعده ، الأوقاف التى تحمل أسماءهم بدون أن ينتقصوا من قيمة الموارد العامة ، ذلك أنهم عندما جددوا عقود الأراضى أخضعوا الملتزمين الجدد لضرائب (أخرى) تكون (أو تعادل) عوائد هذه الأوقاف . ويعود وقف الحرمين الذى انشأه أحد السلاطين ، وأقر سليم تصرفه هذا ، الى أصل مشابه لأصل وقف دشيثة الكبرى ، وان كان يختلف عنه فقط فى عدم وجود ناظر له ، وفى أن عوائده تحصل وتدار بمعرفة الروزنامجى ، فى حين أن لكل من هذه الأوقاف ناظرا موكلا بإدارتها تحت رقابة هذا الموظف المسالى .

وتشكل المبالغ التى أوردناها كافة الموارد النقدية لهذه الأوقاف الخمسة ، وحيث لم يكن لهذه المبالغ الا أن تنتهى الى يد الروزنامجى ، الذى كان ينفقها كلية فى الأغراض المخصصة لها دون أن يشير الى ذلك فى سجلاته ، وحيث كانت تبدو هذه المبالغ وكأنما تنتمى لممتلكات خاصة وليست جزءا من الضرائب أو الانفاقات العامة فإننا لم نوردنا هنا الا على سبيل التذكرة .

وبخلاف هذه المبالغ فان للأوقاف السلطانية عوائد عينية من الغلال ومواد الأغذية الأخرى خصصت بدورها لنفس هذه الأغراض ، وكان يعهد بالنقود والحبوب التى تم تحصيلها ، بعد سداد كل المصروفات ، الى أمير الحج الذى يحملها الى مكة والمدينة حيث كانت توزع طبقا لوصية المؤسسين (منشئ الوقف) .

أما الأوقاف الخاصة (أو الأهلية) التى أشرنا اليها فكانت قائمة بمصر بالفعل عندما فتحها سليم . ومع اقرار هذا السلطان لتصرفات مؤسسيها فقد أخضعها لضربة الميرى التى لم ينقطع نظارها عن دفعها لخزينة الروزنامجى ، لكننا لم نقدم هنا أية اشارة لتلك الأوقاف التى انشأها السلاطين والباشوات منذ عصر هذا الحاكم بسبب كثرة عددها ، لأنها لم تكن تخضع لدفع أى ميرى .

(وصف ، مصر — م ٨)

الفصل الثاني

الضرائب على الوظائف

حيث كان الضباط الذين يعينهم السلطان يحصلون على دخولهم على هيئة تحويلات على الميرى فى القرى ، ولاسيما فى هيئة ضرائب غير مباشرة كان يعهد اليهم بجبايتها ، فقد كان هؤلاء يدفعون للسلطان ضريبة الميرى التى نشير اليها باعتبارها ضريبة على الوظائف ، حيث كانت هذه الضريبة تفرض على مجموع دخول الواحد منهم وليس على هذه او تلك من الضرائب او العادات التى كان يتمتع بها .

ويوضح لنا الجدول الآتى أصحاب الوظائف الخاضعين لدفع الميرى :

الباثا ١٦٢٥ر٠٠٠ مدينى

٢٦٧٩٤

الدفتردار

البكوات والكشاف حكام الولايات الآتية :

| | |
|----------|------------|
| ١٨٣٠ر٠٩٦ | قنا |
| | أسنا |
| | جرجا |
| | سيوط |
| | منقلاوط |
| | المنية (١) |
| ٣١٩ر٦٤٠ | بنى سويف |
| ٣٥١ر٩٨٠ | الفيوم |
| ٢٠٣ر٢٤٢ | اطفيح |
| ١٠٧ر٠٤٠ | الجيزة |
| ١٥٤ر١٩٥ | القليوبية |
| ٦١٩ر٠٧٨ | الشرقية |
| ٣٦٢ر٧٤٠ | البحيرة |
| ٣٩٦ر١٦٨ | المنصورة |
| ٨٦٩ر٢٤٠ | الغربية |
| ٦٠٧ر٩٣٠ | المنوفية |

٨٢١ر٣٤٩

(١) كان يحكم هذه الولايات الست بك واحد .

الروزنامجى
منرجم السديوان
امين الضربخانه (دار سك النقود)
اغوات أوجاقات :

المتفرقة ٥٣ر٥٩١
الجاويشيه ٢٨١ر٣٤٢
جامولييان ١٠٧ر١٨٢
تفكجيان ١٠٧ر١٨٢
شراكسة ١٠٧ر١٨٢
مستحفظان ٤٥ر٣٨٢
عزبان ٤٨ر٢٣٠
٧٥٠ر٠٩١

الكخياوات الثلاثة لأوجاقات جامولييان وتفكجيان وشراكسة (١) ٦٠٠٠
كتبة الأوجاقات :

المتفرقة ٥٥ر٩٧٠
الجاويشيه ٥٨ر٩٤٦
الجامولييان ٣٧ر٥١٣
التفكجيان ٣٢ر١٥٥
الشراكسة ٢٦ر٧٩٤
المستحفظان ٦٤ر٣٠٩
العزبان ١٥ر٠١٨
٢٩٠ر٧٠٥
المعرجى باشى ٥١ر٧٩٤
الجيجى باشى ٦٦ر٩٩٣
القناطة باشى ٦٩ر٠٠٠
أمير احتساب (٢) ٤٤٣ر٦٣٨

(١) فى الأزمنة الأخيرة كان الباشا يسدد الميرى المقرر على هؤلاء .
(٢) لم يكن يدفع فى الأزمنة الأخيرة سوى ٢٦٩ر١١٩ مدينى ، حيث
قبل الباشا طلب هذا الموظف وبدأ يدفع بدلا منه الـ ١٧٤ر٥٢٨ مدينى .
الباقية .

أمين عنبر
أغا المشاقفة
سردار جرجا
أغوات قلاع :

الاسكندرية
٢١٨٤٠
سارى احمد بالاسكندرية ٧٢٨٠
الروخنة بالاسكندرية ٩٨٨٠
أبى قمر ١٦٦٤٠
رشيد ٢٧٠٤٠
القرين ٤١٦٧
٨٦٨٤٧
شيخ الدالين ٣٠٠٠٠

الولاية (١)
والى القاهرة ١٥٤٦٤
» مصر العتيقة ١٥٤٦٤
» بولاق ١٥٤٦٤
٤٦٣٩٢

الامنية :
أمندى الشرقية ٧٤٨١٤
» الغربية ٧٨٩٧٤
» الشهر ٧١٧٥٠
» الفلال ٨٢٠٣٦
» غلال الميرى ٢١٤٣٦
» الكوريكى ١١٧٨٦
» كشيدة ١٣٣٩٨
» الأيتام الخ ٦١٩٤٣
» الجوالى ٩٩٦٩٤
٥١٥٨٣١

(١) فى الأزمنة الأخيرة حل الباشا محل هؤلاء الولاية الثلاثة فى دفع الميرى المستحق عليهم .

أفندى الرزقى

٢١٤٣٦

| | |
|------------|------------|
| ١٠٨٧٠٧٧٣ | الاجمالي |
| ٣٨٨٢٤١ ج ت | وهو يعادل |
| ٣٨٣٤٤٨ ف | وبالفرنكات |
| ١٧٩ | |

وكان الباشا ، وهو الذى يحتل اسمى هذه المناصب ، هو الشخص الذى تؤول اليه عادة الحلوان ، فعند موت أحد المتزمين ، لم يكن لوريثه أن يحصل على الحجة اللازمة لى يخلفه فى أرضه ووظيفته وحقوقه الا بعد أن يدفع للسلطان عوائد ثلاث سنوات من صافى دخوله ، ومع ذلك فلم يكن يلتزم عند وراثته لاحدى القرى الا بأن يسدد ثلاثة أمثال فايظه بشكله المحدد (**) وفى مصر ، نزل السلطان عن هذا الحق الى الباشا الذى كانت له زيادة على ذلك عادات على الفلال والاطعمة وعلى كل الأشخاص الذين ينبغى ، اذا مارشحو لتقلد احدى الوظائف ، أن يتقدموا كى يحصلوا على خلعة منه هى الجبة او القفطان .

اما الدفتردار فكان يتمتع بأتاوة قدرها . . . را مدينى عن كل كيس (**) من ثمن أية أرض تعطى للمتزم جديد ، وكان الدفتردار يسلم هذا المتزم تقسيطا ، هو عقد ضرورى لى يمارس حقوقه سواء كان هذا التغيير (فى شخص المتزم) قد تم عن طريق الارث او عن طريق البيع والشراء .

وكان البكوات او الكشاف حكام الولايات يحصلون على رواتب من الخزينة العامة ، كما كانوا يحصلون على مورد كبير نحو ما عن طريق النسبة المقررة لهم من عادات الكشوفية التى كانوا يحصلونها لحسابهم الخاص .

ويتمتع الروزنامجى بخصم (يستبقيه لنفسه) من مجموع كل بند من بنود حصيلته المالية ، كما كان يحصل على هدايا او بالأحرى على

(*) أى بدون احتساب البرانى . (المترجم) .
(**) يساوى الكيس . . . ٢٥ مدينى (المترجم)

معاشات سنوية من الباشا والأوجاقات ، بالإضافة الى عادة كان يجيبها من كل من كان ينبغى عليه ان يتعامل معه .

كما كان مترجم الديوان يحصل على عادة (او أتاوة) من كل من يتلقى قرارا بتنصيبه على احدى الوظائف .

أما مدير الضربخانة أو مدير سك النقود فكان يعين من قبل الباشا العالى . وكانت الفوائد التى تؤول اليه عن طريق صنعه للقطع النقدية هى التى تشكل راتبه ، ومع ذلك فقد كان يدفع ، بخلاف الميرى المقرر على وظيفته ، خمسة عشر كيسا الى الباشا ، ولم يكن له عمل محدد (بلوائح معينة) اذ كان عليه فقط ان يحرص على ان تكون المسكوكات التى يصدرها تتفق مع الشكل المطلوب . ومنذ عهد على بك ، ترك هذا المنصب لباشا القاهرة الذى كان يسدد الميرى المقرر عليه والذى كان يبيع التزامه على الدوام الى البك ، شيخ بلد القاهرة .

أما الأغوات ، أى قادة الأوجاقات السبعة فكانوا يتمتعون بحقوق مختلفة داخل فرقهم العسكرية ، وحيث كان أغا الانكشارية هو الذى يشرف على كل العسكر ورجال الشرطة فى مدينة القاهرة فقد كان يحصل منهم على أتاوات مضاعفة عن الأطمعة التى كان هو يحدد أسعارها أما أغا الجاويشية فكان يحصل على مبلغ مساو للمبلغ الذى يحصل عليه الدفتردار ، أى ١٠٠٠ را مدينى عن كل كيس ، فى كل مرة يتملك ملتزم جديد أرضه .

وكان الكخياوات الثلاثة ، أى الباشا اختيارية (باشا اختيار) ، أو ملازمو أوجاقات الجاموليان والتافكجيان والشراكسة يحصلون على رواتبهم من الباشا . وفى الأزمنة الأخيرة كان هذا الحاكم هو الذى يسدد الميرى المقرر على هذه المناصب الثلاثة ، اذ أنه ، جريا على سنة استنهاج الحد أسلافه ، لم يعد يقوم بدفع الرواتب المقررة لهذه الوظائف ، وأصبح هؤلاء اليوم يحصلون على معاشاتهم من فرقهم العسكرية .

وكان للأفندية عريفى (*) الأوجاقبات السبعة حصنة يستقطعونها من الأموال التى تمر بين أيديهم ، وعلاوة على ذلك فقد كانت فرقهم تصرف لهم رواتبهم .

أما المعرجى باشى فكان موكلا بإدارة كل المباني العمومية ، وكان يحصل فى اليوم الواحد على زرمحوبوب واحد عن كل منشأة يأمر بالعمل فيها مع مراقبة هذا العمل ومن هنا نجد أنه كان المثرف على الهندسة المدنية والعسكرية .

وكان الجيجى باشا موكلا بامداد الترسانات بالبارود والذخيرة ، وكان يحصل على ثمن ذلك من الخزينة العامة فيما عدا ما كان يستخدم من بارود فى الألعاب النارية الثلاث التى كانت تتم مرة عند وصول الباشا ، وأخرى عند رحيل المحمل ، وثالثة عند ارسال الخزنة (مال السلطان) الى القسطنطينية . وكان يرأس كل العمال الذين يصنعون البارود . وتتكون موارده المالية من عادات مختلفة تتم خصما من الميرى ومن عادات أخرى يحصلها من قريتين من قرى القليوبية .

أما القافلة باشى أو مفتش القوافل التى ترحل من مصر أو تلك التى تجتازها فكان له حق شبه مطلق فى توفير المرشدين أو الأدلاء وكذا الجمال التى تلزم لهذه القوافل ، وتدفع له كل قافلة أتاوة . وفوق ذلك فقد كان يحصل ١/٤ بوظاقة عن كل فردة (***) من البن تنقل من السويس الى القاهرة .

وكان أمين الاحتساب يراقب التجار ويلاحظ ما ان كانوا يغيرون فى الموازين أو المكييل كى يفشوا الناس . ويتكون راتبه من عادات مقررة لصالحه على التجار ، وعندما وجد أن الميرى المقرر على وظيفته بالغ الضخامة ، فقد انقصه أحد الباشوات : ١٩٥١٩ ر ١٧٤ مدينى كان يدفعها (أى الباشا) نفسه . وكان على خلفاء هذا الباشا أن يحذوا حذوه اذ لا يمكن لدخول السلطان أن تقل .

(*) فى الأصل الفرنسى **quartiers - maitres** ومعناها العريف البحرى أو الأدنى درجات البحرية .
(**) بالة ترن ١٨٥ ك . ج (المترجم) .

أما أمين عنبر ، فكان بحكم وظيفته كمدير للمخازن العمومية يحصل على العادات المقررة لصالحه نقدا وحبوبا من الملتزمين الذين يسددون ضرائبهم عينا ، وكان كل الموظفين العاملين تحت امرته يحصلون على رواتبهم منه . وكان مخولا له عند استلامه الغلال من المولين أن يستخدم مكاييل أكبر حجما على نحو طفيف من تلك التي يستخدمها عند تسليمه هذه الحبوب لتوزيعها على الجهات التي حددتها اللوائح .

أما أغا المشاق ومهمته توفير مشاققة الكتان فكان يحصل لنفسه من الملتزمين في مصر السفلى على ٢٠ الى ١٠٠ مدينى عن كل قرية هناك ، وكان ملزما بأن يرسل الى القسطنطينية كمية المشاققة التي تطلب منه . وكان يحصل على ثمن اثاثاته شريطة أن يحصل على شهادة من قاضى بولاق تحدد كمية هذه الاثاثات واثمنها .

وكان سردار جرجا ، هو ملازم البك حاكم الصعيد ، وكان هذا المنصب يمنحه قرية بندار التبينات وراتبا يحصل عليه خصما من دخول البك .

وكان اغوات القلاع او الطوابى يحصلون على راتب من الخزينة العامة كما كانوا يفرضون اتاوات مختلفة (عادات) على المأكولات والأغذية التي تباع في المناطق التي يديرونها ويتولون حمايتها .

أما شيخ الدالين ، اى رئيس السماسرة والوسطاء في القاهرة ، فكان يفرض اتاوة على كل الدالين الذين يبيعون في الأسواق العامة الأسمال والبياضات والملابيس . الخ وبخلاف ذلك فقد كان كل واحد من هؤلاء الشيوخ (شيوخ الدالين) يستطيع أن يبيع بنفسه ذلك أن وظيفة الدالين في الأسواق لا غنى عنها ، وكان عدد هؤلاء الشيوخ اثنين : أحدهما تركى والآخر مصرى .

وكان الولاة الثلاثة : والى القاهرة ، ووالى بولاق ، ووالى مصر العتيقة مكلفين بالقيام بتفاصيل أعمال الشرطة تحت رقابة أغا الانكشارية . وكانت لهؤلاء عادات أو اتاوات يفرضونها على التجارة وعلى المخالفات ، وكانوا يحصلون على راتب يدفعه الباشا ، ومنذ نحو سبعين عاما ، امتنع هذا الأخير من دفع هذه الرواتب ، وأرغم والى القاهرة على استرضاء زميليه ، وان ظل هو نفسه ملزما بدفع الميرى

المستحق على هؤلاء الضباط الثلاثة ، وادى هذا الوضع الى جعل والى بولاق ومصر العتيقة تابعين له ، وكان يتمتع بالاضافة لما سبق براتب مقرر على الخزينة العامة . كما كان ملحقا بخدمة الديوان حيث كان يشغل وظائف تماثل مايقوم به الحاجب او الشخص الذى يحضر للجلسات .

ويمسك افندى الشرقية وافندى الغربية وافندى الشهر بسجلات الميرى المقرر نقدا على كل الولايات ، فكان الأول موكلا بولايات مصر السفلى فيما عدا ولايات الدلتا التى كانت تدخل فى اختصاص الثانى . اما الثالث فكان مختصا بولايات مصر العليا . وكان هؤلاء يحصلون على رواتبهم من الخزينة العامة ويفرضون عادات على الملتزمين الداخليين ضمن دوائهم . اما افندى الغلال فكان يمسك بسجل لكل الاراضى التى تسدد الميرى فى شكل حبوب ، وكان يحصل على راتبه بنفس طريقة اقارانه . وكان الافندى المشرف على حبوب الميرى يراقب اعمال امين العنبر ، وكان يمسك سجلا بكل الغلال التى تدخل الصوامع (مخازن الحبوب) الهامة كما كان يمسك سجلا ينظم عمليات استخدامها . ولم يكن بمقدور امين العنبر ان يتصرف فى شىء دون ان يشركه فى ذلك ، وكان الباشا والروزنامجى يشتركان فى دفع راتبه ، وكان يحصل بخلاف ذلك عادات على التوزيعات التى تتم بمعرفة امين العنبر . اما افندى الكوريكجى فكان يمسك بالنسبة لهذا الفرع من فروع الميرى المقرر على الاراضى سجلا يبين الضرائب الواجبة السداد على كل قرية . اما اتعابه فكان يشارك فى دفعها كل من الوالى والروزنامجى والملتزمين . وكان افندى الكشيدة طواشيا مكلفا بدفع الرواتب المقررة لاقارانه الذين كان السلطان ينفبهم الى مصر ، وهو التكدير الذى كان يطبق على هؤلاء التعساء حين يفقدون حظوتهم عند سيدهم . اما افندى الايتام . الخ فكان يمسك بسجل المعاشات التى خصصها السلطان للايتام والارامل والشيوخ وغيرهم ، وكان يحصل على راتبه هو من الباشا كما كان يحصل على اتاوة من كل طرف مستفيد من هذه المعاشات . والافندى الجوالى هو الكاتب الذى يستخدمه الاغا الذى ترسله القسطنطينية سنويا لتحصيل الخراج اى الضريبة المقررة على الرعايا غير المسلمين . ويدبر الاغا راتب هذا الافندى من حيلة هذه الضريبة . وكان

كل هؤلاء يسرون شئون وظائفهم تحت اشراف الروزنامجى ، وهو الأمر الذى كان يعرض بعض هؤلاء للعزل (*) .

ويمسك أفندى الرزق بسجلات الاراضى او الاملاك العقارية التى يطلق عليها هذا الاسم (رزقة) . وكان يقوم بعمله مستقلا عن سلطة الروزنامجى ولا تدخل أعماله فى اطار أعمال الأخير ، وكان الباشا يجرى له راتبا ، كما كان يحصل علاوة على ذلك رستما عند أية عملية احلال أو ابدال تتم بخصوص هذه الرزق .

هؤلاء هم شاغلو الوظائف التى كانت خاضعة لضريبة الميرى . وقد لمسنا كيف أنها لم تكن تشكل دخولا تضاف الى الخزينة العامة بقدر ما كانت تشكل اتاوات أو عادات على الاراضى والأشخاص .

الفصل الثالث

الضرائب العامة على الصناعة والتجارة

اولا - الجمارك

انشأ السلطان سليمان اربعة جمارك رئيسة فى مصر هى :
جمرك فى بولاق ومصر العتيقة ،

« فى الاسكندرية ،

« فى دمياط

وجمرك فى السويس .

وكانت عوائد هذه الجمارك تؤد الى الجهات التى سيأتى ذكرها مع مزاعة تسديد ضريبة الميرى على النحو التالى :

(*) فى حين أن اللوائح تقرر أن الوظائف ثابتة على نحو ما سبق وروده فى الدراسة (المترجم) .

مدينى

الى اوجاق الانكشارية : عوائد جمركى بولاق ومصر
العتيقة للذين ضما معا وكانا يدفعان ميرى واحدا
قدره ٤٣١١٨٧٢ر

الى نفس الفرقة العسكرية : عوائد جمرك الاسكندرية
مقابل ميرى قدره ٦٣٩٦ر٤٤٧٢ (١)

الى نفس الفرقة العسكرية : عوائد جمرك دمياط مقابل
ميرى قدره ٢٣١٨١٦٢ر

الى الباشا : عوائد جمرك السويس مقابل ميرى قدره ٦٠٥٦ر٠٧١٠٥٦ر

الاجمالى ١٩٤٨٦ر٤٤٤٤٦

وهو مبلغ يبادل وبالفرنكات
١٠ د ١٢ اس ٦٩٤٨١ر ج ت
٨١ اس ٦٨٥٩٠٧ر ف

وحيث أن روح الاسلام تستهجن وتحرم كافة ضروب الربح التى
تتحقق عن غير طريق العمل والاحتراف ، وحيث أن الأرباح التى تأتى عن
طريق الجمارك بعيدة عن هذه النشأة ، فقد كان يعهد بتحصيل هذه
الضريبة فى العادة الى مسيحيين أو الى يهود أصبحوا هم ملتزميها .

ويدل الموقع الجغرافى للجهات التى انشئت بها مكاتب الجمارك على
البلدان التى كانت ترد منها الواردات أو تلك التى ترسل اليها الصادرات ،
اذ كانت تجارة سنار وممالك دارفور وفزان الخ تتم بواسطة قوافل تصل
الى مصر القديمة ، أما تجارة تركيا وأوربا وآسيا فكانت قسمة بين
ثغرى الاسكندرية ودمياط ، وكانت الاسكندرية تقوم بصفة أساسية
بتجارة أوربا وبلاد البربر (المغرب) ، أما السويس فكانت تتولى تجارة
الجزيرة العربية والهند .

(١) لم يكن البكوات الذين استأثروا لأنفسهم بكل الجمارك يدفعون
فى السنوات الأخيرة كضريبة ميرى على جمرك الاسكندرية سوى
٤٧ر١٣٠ره مدينى ، لأن الباشا ، ونتيجة لمطالبات مستمرة من اوجاق
الانكشارية ، كان يسدد بدلا من هذا الأوجاق (عندما كان يدير الجمارك
لحسابه) حصة قدرها ٢٤٩ر٣٣١ر٣٣١ مدينى .

وبقدر ما توضح لنا التعريف الآتية المنتجات التي تزود بها هذه البلدان مصر، وتلك التي تستوردها منها، فستدلنا كذلك على قيمة الرسوم الجمركية التي كان ينبغي عليها أن تدفعها وفقا للوائح السلطان سليمان .

الواردات - تجارة سنار ودارفور وفزان الخ

| الرسوم التي تخضع لها عند وصولها لجمرك مصر العتيقة | السلعة |
|---------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ١٠ مدينى للجوال الصغير | الششم (عقار طبى) (وهو حبوب سوداء تشبه حبة العدس الجافة) الكرابيچ (سياط من الجلد) سن الفيل المبيد : |
| ٦٠ مدينى للجوال الكبير | |
| ١٠٪ من السلعة عينا | الذكور الإناث الطواشى الصمغ العربى الدره (اثنى الببغاء) |
| ٧ مدينى عن كل حمولة جمل | |
| ١٢٠ مدينى عن الواحد | ريش النعام تراب الذهب التمر هندى |
| ١١٠ مدينى عن الواحدة | |
| ٢٤٦ مدينى عن الواحد | |
| ٨ مدينى عن كل حمولة جمل | |
| ١٥ مدينى عن كل قفص + دره واحدة ضريبة عينية | |
| ١٠٪ من السلعة عينا لاشئ | |
| ٤٠ مدينى للقنطار و ٨ مدينى عن حمولة الجمل | |

تجارة أوربا وآسيا ودول البسبر

| الرسوم الجمركية | | | | | | | أسماء السلع |
|----------------------------|------------|---------------------|-------------|-------------|----------------|-----------------|-------------------|
| في الاسكندرية (١) | | | | | | | |
| من أوروبا عن طريق أزمير | من إنجلترا | من ليفورنيو وترينتا | من البندقية | من مارسيليا | من بلاد البربر | من بلاد السلطان | |
| % | % | % | % | % | % | % | |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١١ | مشمش |
| ٥ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | ١ | ٥ | صلب |
| ٥ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | ١ | ٥ | لبر |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ثوم |
| ٥ | ١ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | ١ | ٥ | شبة |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١١ | صوفان (اسفنج طبي) |
| ١ | ١ | ٥-٢ | ١ | ٥-٢ | ١ | ١١ | لوز |
| ٥ | ١ | ٥-٢ | ١ | ١ | ١ | ١ | عبر أصفر |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | هلب للراكب |

(١) في معظم الأحيان ، كانت السلع الواردة من بلاد السلطان وكذلك الواردة من بلاد البربر تسدد عينا تلك الرسوم التي كانت تخضع لها في جمرک الاسكندرية ، أما تحصيل الرسوم التي كانت مفروضة على الواردات الآتية من مارسيليا والبندقية وليفورنيو وترينتا وانجلترا . ثم من كل هذه البلاد عن طريق أزمير ، فكان يتم نقدا ، وفقا لتعريفه نسبتها ادنى على الدوام من النسبة الى الثمن الحقيقي للسلع المستوردة .

(٢) لم تكن الرسوم في جمرک دمياط تتغير مطلقا تبعا للامة التي تأتي منها السلع كما هو الشأن في الاسكندرية ، وكانت الرسوم التي

| التي كانت تخضع لها | | | | | | |
|--------------------------------------|-----------------------------|--------------------|----------------------------------|--------------------|----------------------------------|------|
| في بولاق (٣) | | | | | في دمياط (٢) | |
| اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية | من بلاد النصارى | | من بلاد السلطان وببلاد البربر | | من أوروبا وآسيا وببلاد البربر | |
| | إلى تجار من غير المصريين | إلى تجار مصريين | إلى تجار أوربيين | إلى تجار مصريين | | |
| مديني | % | % | % | % | % | |
| لكل قنطار | ٦ | — | — | ١٠ | ١٠ ١٢ كجبن ١ مديني لكل لفة | |
| للصندوق | ٣٨ | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ % |
| للبرميل | ٦٠ | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ % |
| | | — | — | — | ١٠ | ١٢ |
| للصندوق | ٣٠ | ٣ | ١ | ٢ | ١٠ | — |
| للقطعة | ١٨ | — | — | — | ٤ | ١٢ |
| للقنطار | ٦ | ٣ | ١ | — | ١٠ | ١٢ |
| للصندوق | ٦٠ | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٢ |
| | | — | — | — | ١٠ | ١٢ |

يحصلها هذا الجمرك والتي تفرض بشكل متساو على سلع أوروبا وآسيا
وببلاد البربر تسدد في جزء منها نقدا وفي الجزء الآخر عينا ، كما كانت
الرسوم النقدية تتحدد وفق تقييم خاص وقريب من الواقع بالنسبة لقيمة
السلع ، وكان يتم ذلك بمجرد اتمام عملية الانزال .

(٢) كانت السلع القادمة من الخارج والتي تصل الى القاهرة
تخضع لرسوم مقررة في جمرك بولاق بخلاف تلك التي سبق لها أن سددها
في ثغرى الاسكندرية ودمياط .

| الرسوم الجمركية | | | | | | | أسماء السلع |
|----------------------------|------------|---------------------|-------------|-------------|----------------|-----------------|-------------------------|
| في الاسكندرية | | | | | | | |
| من أوروبا عن طريق أزمير | من إنجلترا | من ليفورنيو و ترستا | من البنديفة | من مارسيليا | من بلاد البربر | من بلاد السلطان | |
| % | % | % | % | % | % | % | |
| — | — | — | — | — | — | — | فضة خام في شكل سبائك |
| ٥ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | — | ٥ | زئبق |
| ٥ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | — | ٥ | أسلحة |
| ٥ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | — | ٥ | سلفور الرصاص |
| ٥ | — | ٥-٤ | ٥-٤ | — | — | — | زرنيتخ |
| ٥ | — | ٥-٤ | — | ٥-٤ | — | — | زهور الخزامى |
| — | — | — | — | — | ١٠ | — | برادق تخارية |
| — | — | — | — | — | ١٠ | — | برنس (معاطف صوف) |
| — | — | — | — | — | — | ٥ | جوارب |
| — | — | — | — | — | ١١ | — | سمن |
| ٥ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | — | ٥ | مجوهرات |
| ٥ | — | ٥-٤ | ٥-٤ | — | — | — | اسيداج أبيض |
| — | — | — | — | — | — | — | عجول |
| — | — | — | — | — | — | ١٠ | خشب للوقود |
| — | — | — | — | — | — | ١٤-٧ | خشب للبناء |
| ٥ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | — | ٥ | خشب فرنامبوك |
| ٥ | — | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | ١٠ | — | قلنسوات حمراء |
| ٥ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | — | — | شمع |
| — | — | — | — | — | — | ٤ | وبر لباد من بروصة |
| — | — | — | — | — | — | ١٠ | حرير ووبر الحرير والقطن |

التي كانت تخضع لها

| اشترأها تجار مصريون في الاسكندرية | في بولاق | | | | في دمياط | |
|--------------------------------------|-----------------------------|--------------------|----------------------------------|--------------------|----------------------------------|---------------------------------------|
| | من بلاد النصارى | | من بلاد السلطان وببلاد البربر | | من أوروبا وآسيا وببلاد البربر | |
| | إلى تجار من غير المصريين | إلى تجار مصريين | إلى تجار أوربيين | إلى تجار مصريين | | |
| مدينة | % | % | % | % | % | |
| | — | — | — | — | — | ١٠ |
| ٨٩ لكل ٧٥ رطلا | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — | ١٢ |
| ١٣ للقطعة | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — | ١٠ |
| ١٠ لكل ١٢٠ رطلا | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — | ١٢ |
| ٥١ للبرميل | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — | — |
| ٥١ للبالة | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — | — |
| ٦ للواحد | — | — | — | ٤ | — | ١٠ |
| ٥ للواحد | — | — | ٢ | ٤ | — | ١٠ |
| ٢ لكل ١٠ | — | — | — | ٤ | — | — |
| ٦ إلى ٣٠ للجرة | — | — | — | ١٠ | — | ١٢ |
| ٨٠ للصندوق | ٣ | ١ | ٢ | ١٠ | — | ١٠ |
| ١٢ لكل ٧٥ رطلا | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — | ١٢ |
| | — | — | — | — | — | ١٨٠ مديني للواحد |
| | — | — | — | ٤ | — | ١٢ |
| ٨-٥٠ مديني لكل ١٠٠ قطعة | — | — | — | ١٠ | — | ١٣١ و من ١١ إلى ٣١ مديني لكل ١٠٠ قطعة |
| ٦٠ للقنطار | ٣ | ١ | ٢ | ٧ | — | ١٢ % |
| ١ للزوج | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — | ١٠ % |
| ٣٠ للصندوق | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — | ١٢ |
| ١٠ - ٣٠ للواحد | — | — | — | ٤ | — | — |
| ٣ - ٣٠ للقطعة | — | — | — | ٤ | — | ٦٠ مديني للقطعة |

| الرسوم الجمركية | | | | | | | أسماء السلع |
|----------------------------|------------|-------------------------|-------------|------------|----------------|-----------------|------------------------------|
| في الاسكندرية | | | | | | | |
| من أوروبا عن طريق أزمير | من إنجلترا | من ليفورنيو ومارسيلا | من البندقية | من مارسيلا | من بلاد البربر | من بلاد السلطان | |
| % | % | % | % | % | % | % | |
| | | | | | | ١٤ | قطران |
| | | | | | | | منسوجات خشنة لصنع الملابس |
| | | | | | | | بن كراوية |
| | | | | | ١١ | | خروب |
| | | | | | | ١١ | أطواق وإطارات |
| | | | | | | | جلود خرفان وماعز |
| | | | | | | ١١ | لحم مملح |
| | | | | | | ١٠ | شيلان |
| | | | | | ١٠ | | شيلان صوف |
| ٥ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | | ٥ | خمات |
| | | | | | | ٥ | شال أنقرة |
| | | | | | | | شموع |
| | | | | | | | خم |
| ٥ | | ٥-٢ | | | | | كستناء |
| | | | | | | | خيول |
| ٥ | | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | | ٥ | صنوبر |
| | | | | | ١١ | ١٠ | ورنيش خام |
| ٥ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | | | مسامير |
| ٥ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | | ٥ | قرمزية (للصبغة الحمراء) |

التي كانت تخضع لها

| اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية مديني | في بولاق | | | | في دمياط |
|-----------------------------------------------|-----------------------------|--------------------|----------------------------------|--------------------|----------------------------------|
| | من بلاد النصارى | | من بلاد السلطان وببلاد البربر | | من أوروبا وآسيا وببلاد البربر |
| | إلى تجار من غير المصريين | إلى تجار مصريين | إلى تجار أوروبيين | إلى تجار مصريين | |
| % | % | % | % | % | |
| ٢٣ للجرة | — | — | — | ١٠ | ١٠ — ١٣ ١/٢ % |
| ٨ للباله | — | — | — | — | ١٠ |
| ٥٠ للباله | — | — | — | ١٠ | ٥ |
| ٧ للقنطار | — | — | — | ١٠ | — |
| ١ لكل ١٠٠ طوق | — | — | — | ٤ | ١١ |
| ٨ للباله | — | — | — | ١٠ | ٢٢ بنى لكل ١٠٠ إطار |
| ١٢ للبرميل | — | — | — | ١٠ | ١٠ |
| ٥ للواحد | — | — | — | ٧ | ١٢ |
| ٢ للواحد | — | — | ٢ | ٤ | ١٠ |
| ١٠ للقطعة | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ |
| ١٥ للقطعة | — | — | — | ١٠ | ١٠ |
| ٢٥ للصندوق | — | — | — | ٤ | ١٢ |
| | ٣ | — | — | — | ١٠ مديني لكل قفتين |
| ٦٠ للقنطار | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — |
| | — | — | — | — | ١٨٠ مديني للحصان |
| ٩٣ لكل ٧٥ رطلا | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — |
| ١٨ للقنطار | — | — | — | ٧ | — |
| ٢٠ للبرميل | ٣ | ١ | ٢ | ١٠ | ١٠ |
| ١ للآقة | ٣ | ١ | ٢ | ٥ | ١٠ |

| الرسوم الجركية | | | | | | | أسماء السلع |
|---------------------------|------------|------------------------------|----------------|-----------------|----------------|-----------------|----------------|
| في الاسكندرية | | | | | | | |
| من أوروبا عن طريق زمير | من إنجلترا | من وماريسيليا ليفورنيو | من البندقية | من ماريسيليا | من بلاد البربر | من بلاد السلطان | % |
| % | % | % | % | % | % | % | |
| | | | | | | | ثمار جوز الهند |
| | | | | | | | قلفونية |
| ٥ | | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | | ١٠ | حلويات |
| ٥ | | ٥-٣ | | | | | مرجان |
| ٥ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | | | مرجان فالصو |
| | | | | | | | حبال |
| | | | | | | ١١ | زغب القطن |
| | | | | | | | زرد |
| ٥ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | | | سكاكين خشنة |
| | | | | | | ١٠ | ملاعق خشبية |
| | | | | | | | جلود ابران |
| | | | | | ١٠ | | جلود فاسي |
| | | | | | | ٥-٤ | جديد مصنوع |
| | | | | | | ٥ | نحاس |
| | | | | | | ٥ | خام |
| | | | | | | ٥ | قديم |
| | | | | | | | سن الفيل |
| ٥ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | | ٥ | أوراق مذهبة |
| ٥ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | | ٥ | لمجواخ |
| ٥ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | | ٥ | عقاقير طبية |

التي كانت تخضع لها

| اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية | في بولاق | | | | في دمياط |
|--------------------------------------|--------------------------------|--------------------|----------------------------------|--------------------|----------------------------------|
| | من بلاد النصارى | | من بلاد السلطان وببلاد البربر | | من أوروبا وآسيا وببلاد البربر |
| | الى تجار من البربر المصريين | الى تجار مصريين | الى تجار أوربيين | الى تجار مصريين | |
| مدى | % | % | % | % | % |
| | | | | ١٠ | ١٠ |
| للبرميل ٥٠ | — | — | — | ١٠ | ١٢ |
| للصندوق ٢٥ | ٣ | ١ | ٢ | ١٠ | ١٢ |
| للبرميل الكبير ٩٠ | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ |
| للبنانة ٥٠ | — | — | — | ١٠ | — |
| للصندوق ٦٠ | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ |
| » ٢٥ | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ |
| لكل ١٢٠ رطلا ١٠ | — | — | — | ٤ | ١٢ |
| للقنطار ٢٣ | — | — | ٢ | ٤ | ١٢ |
| | | | | ١٠ | ١٢ |
| للبرميل الكبير ٥٠ | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — |
| للبنانة ٨ | — | — | — | ١٠ | ١٢ |
| | | | | | ١٠ |
| للواحد ٤ | — | — | ٢ | ٤ | ١٠ |
| للقنطار ٦٠ | — | — | — | ١٠ | ١٠-١٢ |
| للقنطار ٥٣ | — | — | — | ١٠ | ١٢ |
| للقنطار ٦٠ | — | — | — | ١٠ | ١٢ |
| | | | | | ١٠ |
| للصندوق ٩٠ | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ |
| للقطعة ٢٥ | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ٥ |
| للبنانة ٥٠ | ٣ | ١ | ٢ | ١٠ | ١٢ |

| الرسوم الجمركية | | | | | | | أسماء السلع |
|----------------------------|------------|--------------------------|-------------|-------------|----------------|-----------------|-----------------------------------|
| في الاسكندرية | | | | | | | |
| من أوروبا عن طريق ازمير | من إنجلترا | من ليفورنيو ومارسيبيا | من البندقية | من مارسيبيا | من بلاد البربر | من بلاد السلطان | |
| % | % | % | % | % | % | % | |
| | | | | | | | ماء القرنفل |
| | | | | | | | مشروبات روحية |
| | | | | | | | اسفنج |
| | | | | | | | عبيد |
| ٥ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | | ٥ | قصدير |
| ٥ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | | ٥ | أقشعة |
| | | | | | | | د من حلب |
| | | | | | | | د من الاموى |
| | | | | | | ٤ | د من تركيا |
| ٥ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | | | خزف |
| | | | | | | | فاصور (عقار طبي) |
| ٥ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | | | حديد |
| ٥ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | | ٥ | زنك |
| | | | | | | ٥-٤ | كتل من الحديد |
| | | | | | | ٥-٤ | سنايك الخيل |
| | | | | | | | دوبارة |
| | | | | | | | أسلاك |
| ٥ | | ٥-٤ | ٥-٤ | | | | أسلاك من الحديد والنحاس الأصفر |
| | | | | | | ١٠ | فناجين |
| ٥ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | ٥-٤ | | | فانلات مصبوغة |

| التي كانت تخضع لها | | | | | |
|--------------------------------------|------------------------|--------------------|----------------------------------|--------------------|----------------------------------|
| اشترأها تجار مصريون في الاسكندرية | في بولاق | | | | في دمياط |
| | من بلاد النصارى | | من بلاد السلطان وببلاد البربر | | من أوروبا وآسيا وببلاد البربر |
| | الى تجار غير مصريين | الى تجار مصريين | الى تجار أوربيين | الى تجار مصريين | |
| مدينى | % | % | % | % | % |
| | -- | -- | -- | ١٠ | ١٠ |
| | | | | | ١٠ |
| ١٥ للباله | -- | -- | -- | ٤ | ١٠ |
| | | | | | ١٤٦ مدينى اكل أربعة |
| ١٣١ للبرميل | ٣ | -- | ٢ | ٤ | % ١٢ |
| ٦٠ - ١٥ للقطعة | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ |
| % ٥ | -- | -- | -- | ٥ | ٣٠ مدينى للقطعة |
| % ٥ | -- | -- | -- | ٥ | ٤٠ " " " |
| ٨ - ٥٠ للقطعة | -- | -- | -- | ٤ | % ١٠ |
| ٢٥ للصندوق | ٣ | ١ | ٢ | ١٠ | ١٠ |
| ٥٠ للباله | -- | -- | -- | ١٠ | -- |
| ١٧٨ لكل ١٠٠ قضيب | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٢ -- ١٠ |
| ٣٥ للبرميل | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ |
| ٤٠ للقنطار | -- | -- | -- | ١٠ | -- |
| ٤٠ للقنطار | -- | -- | -- | ١٠ | -- |
| ٨ للقنطار | -- | -- | -- | ٤ | ١٢ |
| ١٥ للقنطار | -- | -- | -- | ٤ | ٦٢ مدينى لكل ١٠٠ رطل |
| ١٢ للقنطار | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | -- |
| ٨ للصندوق | -- | -- | -- | ١٠ | % ١٠ |
| ٨ للقطعة | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | -- |

| الرسوم الجمركية | | | | | | | أسماء السلع |
|---------------------------|------------|-------------------------|-------------|------------|----------------|-----------------|------------------------|
| في الاسكندرية | | | | | | | |
| من أوروبا عن طريق زمير | من إنجلترا | من ليغورنيو ومارسييا | من البندقية | من مارسييا | من بلاد البربر | من بلاد السلطان | |
| % | % | % | % | % | % | % | |
| — | — | — | — | — | — | — | فوة (عقار طبي) |
| — | — | — | — | — | — | — | جين |
| — | — | — | — | — | — | — | فواكه جافة |
| — | — | — | — | — | — | — | عفصة |
| — | — | — | — | — | — | — | جدارى (للصبغة) |
| — | — | — | — | — | — | — | جيا قلو |
| ٥ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | — | ٥ | قر نفل |
| — | — | — | — | — | — | — | صمغ من سوريا |
| — | — | — | — | — | — | ٥ | قطران |
| — | — | — | — | — | — | — | بذور الخيار |
| — | — | — | — | — | — | — | بذور النيلة |
| — | — | — | — | — | — | — | بذور البطيخ |
| — | — | — | — | — | — | — | رمان |
| — | — | — | — | — | — | — | حشيش (١) |
| — | — | — | — | — | — | — | حشيش مفرط |
| — | — | — | — | — | — | — | فاصوليا |
| — | — | — | — | — | ١٠ | — | أحرمة (حرام) من كل نوع |
| — | — | — | — | — | ١٠ | — | حرام حرير |
| ٥ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | — | ٥ | قطع غيار الساعات |

(١) وهو نبات القنب الذى يستخدم فى اعداد عقارات مسكرة او يدخن مخلوطا بالتبغ .

| التي كانت تخضع لها | | | | | |
|--------------------------------------|-----------------------------|--------------------|----------------------------------|--------------------|----------------------------------|
| في بولاق | | | | | في دمياط |
| اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية | من بلاد النصارى | | من بلاد السلطان وببلاد البربر | | من أوروبا وآسيا وببلاد البربر |
| | الى تجار من غير المصريين | الى تجار مصريين | الى تجار أوربيين | الى تجار مصريين | |
| مدينى | % | % | % | % | % |
| ٥٠ للباله | — | — | — | ١٠ | — |
| ٦ للقنطار | — | — | — | ١٠ | ١٢-١٠ |
| ٥ — ٩ للسلة | — | — | — | ١٠ | ١٢ |
| ١٨ للقنطار | — | — | — | ١٠ | ١٢ |
| ٥٠ للباله | — | — | — | ١٠ | — |
| ٥٠ للباله | — | — | — | ١٠ | — |
| ٤٥ للقنطار | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ |
| | | | | | ١٠ |
| ٧ ١/٢ للقفة | — | — | — | ٤ | ١٢ |
| | | | | | ٧ مدينى للربع |
| ٨٠ للجوال | — | — | — | ٤ | ٨ مدينى للجوال |
| ٦٠ للجوال | — | — | — | ٤ | ١٢ مدينى للربع |
| ١٤ للباله | — | — | — | ٤ | ١٢ |
| ١٤ للباله | — | — | — | ٤ | ٣ مدينى للآفة |
| ١٤ للباله | — | — | — | ٤ | ١٢ % |
| | | | | ١٠ | ١٢ |
| ٤٠ للواحد | — | — | ٢ | ٤ | ١٠ |
| ٥٠ للواحد | — | — | — | ٤ | — |
| ١٠ للصندوق | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — |

| الرسوم الجمركية | | | | | | | أسماء السلع |
|----------------------------|------------|--------------------------|-------------|-------------|----------------|-----------------|--------------------------------|
| في الاسكندرية | | | | | | | |
| من أوروبا عن طريق أزمير | من إنجلترا | من ليفورنيو ومارسيليا | من البندقية | من مارسيليا | من بلاد البربر | من بلاد السلطان | |
| % | % | % | % | % | % | % | |
| — | — | — | — | — | ٢ - ٣ م للجرة | ٧ | زيت |
| — | — | — | — | — | — | ٥ | زيت للصباغة |
| — | — | — | — | — | — | — | الثيلة |
| — | — | — | — | — | ٤ م للواحدة | — | جرار مائية بالسماط |
| — | — | — | — | — | — | — | العرقسوس |
| — | — | — | — | — | — | ١٠ | كلكاب أو قبقاب للسيدات |
| — | — | — | — | — | ١١ | ١١ | صوف |
| ٥ | — | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | — | ٥ | نحاس أصفر |
| ٥ | — | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | — | — | ٥ | رقائق فضية وفالصو |
| — | — | — | — | — | — | — | مصاييح زجاجية |
| ٥ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | — | — | مشروبات روحية |
| — | — | — | — | — | — | ٥ | علب (نوى السكرين) |
| ٥ | — | ٥ - ٣ | — | — | — | — | رخام في شكل كتل وأعمدة |
| ١٠ | ١٠ | ١٠ | ١٠ | ١٠ | — | — | وبلاط وموائد |
| — | — | — | — | — | — | ٥ | سلع من الهند |
| ٥ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | — | ٥ | صمغ المصطكاه |
| — | — | — | — | — | — | ٥ | خردوات |
| — | — | — | — | — | — | — | رحى طواحين |
| — | — | — | — | — | ١١ | ١١ | عسل |
| ٥ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | — | — | زنجفر (أكسيد الرصاص الأحمر) |

التي كانت تخضع لها

| اشتراها تجار مصريون في الإسكندرية | في بولاق | | | | في دمياط من أوروبا وآسيا وبلاد البربر |
|-----------------------------------------|-----------------------------|--------------------|---------------------------------|--------------------|---------------------------------------------|
| | من بلاد النصارى | | من بلاد السلطان وبلاد البربر | | |
| | الى تجار من غير المصريين | الى تجار مصريين | الى تجار أوروبيين | الى تجار مصريين | |
| مدينى | % | % | % | % | % |
| ١٢ للجرة | — | — | — | ٧—١٠ | ١٢ |
| ٣ للجرة | — | — | — | ٧ | ١٢ |
| ٢ للواحدة | — | — | — | ١٠ | ١٢ |
| ٦٠ للصندوق | — | — | — | ١٠ | ١٠ |
| ٨ للباية | — | — | — | ١٠ | ١٠ |
| ١٢ للباية | — | — | — | ٥ | ١٢ |
| ٤٥ للبرميل | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٢ |
| ٣٠ للصندوق | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ |
| ٢٤ - ٤٤ للباية | — | — | — | — | ٨٠ مدينى للقفص |
| ٢٥ للصندوق | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | % ١٠ |
| ١٤ للباية | — | — | — | ١٠ | — |
| ٢١ للقطعة | ٣ | ١ | — | — | — |
| % ١٠ | — | — | ١٠ | ١٠ | ١٠ |
| ٢٠ للصندوق | — | — | ٢ | ١٠ | — |
| ٣٠ | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ |
| ٢٧ مدينى للواحدة | — | — | — | ٢٧ م للواحدة | ٨٦ مدينى للواحدة |
| ٦ - ٦٠ للجرة | — | — | — | % ١٠ | % ١٢ |
| ٧٦ للبرميل | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — |

| الرسوم الجمركية | | | | | | | أسماء السلع |
|----------------------------|------------|---------------------------|-------------|--------------|----------------|-----------------|-------------------------|
| في الاسكندرية | | | | | | | |
| من أوروبا عن طريق أزمير | من إنجلترا | من ليفورنيو وماريسيليا | من البندقية | من ماريسيليا | من بلاد البربر | من بلاد السلطان | |
| % | % | % | % | % | % | % | |
| ٥ | — | ٥-٣ | ٥-٣ | — | — | — | مرايا |
| — | — | — | — | — | — | — | هاونات |
| — | — | — | — | — | ١٠ | — | مناديل سيدات |
| — | — | — | — | — | — | ١٠ | موسلين |
| — | — | — | — | — | — | ٤ | موسلين مطبوع |
| — | — | — | — | — | ١١ | — | خراف |
| — | — | — | — | — | — | — | اماء سوداوات |
| — | — | — | — | — | — | ٧ | بندق |
| — | — | — | — | — | — | ١١-٥١ | جوز |
| — | — | — | — | — | — | ١٠ | جوز اصنع النار جيلات |
| — | — | — | — | — | — | ١٠ | بيض السمك المسمى كافيار |
| — | — | — | — | — | — | — | بصل |
| — | — | — | — | — | ١١ | ١١ | زيتون |
| ٥ | — | ٥-٣ | ٥-٣ | — | — | — | ذهب الميع |
| — | — | — | — | — | ١١ | — | كافورية |
| — | — | — | — | — | — | — | قرب |
| ٥ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | — | ٥ | ورق |
| — | — | — | — | — | — | ١٠ | بطيخ من يافا |
| — | — | — | — | — | — | — | جلود ماعز |
| — | — | — | — | — | — | ١٠ | أمشاط خشبية |
| ٥ | — | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | — | ٥ | جلود وفراء |

التي كانت تخضع لها

| اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية | في بولاق | | | | في دمياط |
|-----------------------------------------|------------------------|--------------------|----------------------------------|-----------------|----------------------------------|
| | من بلاد النصارى | | من بلاد السلطان وببلاد البربر | | من أوروبا وآسيا وببلاد البربر |
| | الى تجار غير مصريين | الى تجار مصريين | الى تجار أوربيين | الى تجار مصريين | |
| مدينى | % | % | % | % | % |
| ٦٠ للصندوق | ٣ | ١ | ٢ | ١٠ | — |
| ٢ للواحد | — | — | — | ١٠ | ١٢ |
| ٥ — ١٠ للواحد | — | — | ٢ | ٤ | — |
| ٣ — ٤٠ للقطعة | — | — | — | ١٠ | ١٠ |
| ٣ — ٤٠ » | — | — | — | ٥ | ١٢ |
| | | | | — | — |
| | | | | — | ١٨ مدينى للواحدة |
| ٦ للقنطار | — | — | — | ١٠ | % ١٢ |
| » ٦ | — | — | — | ١٠ | ١٢ |
| ٨ للصندوق | — | — | — | ١٠ | ١٠ |
| ٣٠ للبرميل | — | — | — | ١٠ | ١٢ |
| | | | | | ١٥ مدينى للقفة |
| ١٢ للجرة | — | — | — | ١٠ | % ١٢ |
| ١٢ للعلبة | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ |
| ٥٠ للباله | — | — | — | ١٠ | — |
| ١ للواحدة | — | — | — | ١ م للواحدة | ٣ مدينى للواحدة |
| ٣٩ — ٧٦ للباله | ٣ | ١ | ٢ | % ٤ | ٣ — ٢ مدينى للرطل |
| ١ للواحدة | — | — | — | ١٠ | % ١٠ |
| ١ — ٣ للجلد | — | — | — | ٤ | ١ مدينى للجلد الواحد |
| ٨ للباله | — | — | — | ١٠ | % ١٢ |
| ١٧ — ٣٣٠ للقطعة | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — |

| الرسوم الجمركية | | | | | | | أسماء السلع |
|---------------------------|------------|-------------------------|-------------|------------|----------------|-----------------|---------------------------|
| في الاسكندرية | | | | | | | |
| من أوروبا عن طريق زمير | من إنجلترا | من ليفورنيو ومارسييا | من البندقية | من مارسييا | من بلاد البربر | من بلاد السلطان | |
| % | % | % | % | % | % | % | |
| ٥ | ١ | ٥-٢ | ١ | ٥-٢ | ١١ | ١ | صوانات البندقية |
| ٥ | ١ | ٥-٢ | ٥-٢ | ١ | ١ | ١ | ألواح وعوارض خشبية |
| ٥ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | ١ | ٥ | رصاص |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١٠ | شعر ماعز |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | كثيرى من عربان الطور |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١١ | ١ | سمك مجفف وملح |
| ٥ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | ١ | ١ | فلفل بالقرنفل |
| ٥ | ١ | ٥-٢ | ٥-٢ | ١ | ١ | ١ | تفاح |
| ١ | ١ | ٥-٢ | ٥-٢ | ١ | ١ | ١ | خزف |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | رصاص بنادق |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | بودرة رصاص (للصق) |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ٥-٢ | برقوق |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١١ | ١ | قتيب (عقار طبى) |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١٠ | ذيول الخيل |
| ٥ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | ٥-٢ | ١ | ٥ | خردقة وحدديد من كل صنف |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | عنب فى صناديق |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١٠ | عنب طازج |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١١ | عنب جاف |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | مواقد طينية |
| ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١ | ١١ | هرقسوس |

التي كانت تخضع لها

| اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية | في بولاق | | | | في دمياط |
|--------------------------------------|------------------------|--------------------|----------------------------------|--------------------|----------------------------------|
| | من بلاد النصارى | | من بلاد السلطان وببلاد البربر | | من أوروبا وآسيا وببلاد البربر |
| | إلى تجار غير مصريين | إلى تجار مصريين | إلى تجار أوروبيين | إلى تجار مصريين | |
| | % | % | % | % | % |
| مدينتى | | | | | |
| ٣٠ للبرميل الكبير | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — |
| ١ — ١٥ للواحد | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ٢٩ مدينتى لكل ١٠ ألواح |
| ٧ للسكينة | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٢ % |
| ٥٠ للباله | — | — | — | ٤ | ١٢ |
| | — | — | — | ١٠ | — |
| ٦ للقنطار | — | — | — | ١٠ | — |
| ٦٠ للبرميل | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — |
| ١ للواحدة | — | — | — | ١٠ | ٣٠ مدينتى للصندوق |
| ٦٠ للصندوق | ٣ | ١ | ٢ | ١٠ | ١٠ % |
| | — | — | — | — | ١٢ |
| ١٨ للباله | — | — | — | ٧ | ١٢ |
| ٥ — ٩ للسلة | — | — | — | ١٠ | ١٢ |
| ٥٠ للباله | — | — | — | ١٠ | — |
| » ٨ | — | — | — | ١٠ | — |
| ٣٨ للصندوق | ٣ | ١ | ١ | ١٠ | ١٠ |
| » ١٥ | — | — | — | ١٠ | ٣٦ مدينتى للصندوق |
| ١٠ للسلة | — | — | — | ١٠ | ١٠ % |
| ٥ — ٩ للسلة | — | — | — | ١٠ | ١٢ |
| ١ لسكل موقد | — | — | — | ١٠ | ١٠ |
| ١٣ للباله | — | — | — | ١٠ | ١٢ |

| الرسوم الجمركية | | | | | | | أسماء السلع |
|----------------------------|------------|---------------------------|-------------|--------------|----------------|-----------------|-------------------------|
| في الاسكندرية | | | | | | | |
| من أوروبا عن طريق أزمير | من إنجلترا | من ليفورنيو ومارسييليا | من البندقية | من مارسييليا | من بلاد البربر | من بلاد السلطان | |
| % | % | % | % | % | % | % | |
| | | | | | ٥ | | زيت |
| | | | | | | | صلب |
| | | | | | ١١ | ١٠ | صابون { عجين سائل |
| | | | | | ١١ | | |
| ٥ | | ٥-٣ | ٥-٣ | | | | فرشاة للصاغة |
| | | | | | | | مناشير |
| | | | | | | ١٠ | ملح البارود |
| | | | | | | | سروج للركاب الخ |
| | | | | | | ٥ | مناشف (فوط) |
| ٥ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | | | شراب السكر (شربات) |
| | | | | | | ٥ | حرير |
| | | | | | | ٤ | حرير وارد بروصة |
| | | | | | | | حرير مطبوع وقيطان حرير |
| ٥ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | | ٥ | حراير |
| | | | | | | ١٠ | منفاخ |
| ٥ | | ٥-٣ | ٥-٣ | ٥-٣ | ١١ | | كبريت |
| | | | | | ١٠ | ٥ | أحذية |
| ٥ | | ٥-٣ | ٥-٣ | | | | لاوندة |
| ٥ | | ٥-٣ | ٥-٣ | | | | سليماني |
| | | | | | | | سكر |
| | | | | | | | ودك (شحم الأمعاء) |

التي كانت تخضع لها

| اشتهارها تجار مصريون في الاسكندرية | في بولاق | | | | في دمياط |
|---------------------------------------|------------------------|--------------------|----------------------------------|--------------------|-------------------------------------------------------|
| | من بلاد النصارى | | من بلاد السلطان وببلاد البربر | | من أوروبا وآسيا وببلاد البربر |
| | إلى تجار غير مصريين | إلى تجار مصريين | إلى تجار أوروبيين | إلى تجار مصريين | % |
| مديني | % | % | % | % | % |
| ٥١ للرطل | — | — | ٢ | ١٠ | — |
| ١٨ للصندوق | — | — | — | ٤ | ١٢ |
| ٣ - ٣٠ | — | — | ٢ | ٤ | القادم من سوريا ٣٠ للبنال الصغيرة ومن دمشق ١٠ % |
| ٣ - ٣٠ | — | — | ٢ | ٤ | |
| ٢٥ للقطعة | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ٥ % |
| ٤٠ للصندوق | — | — | ٢ | ١٠ | ١٠ |
| | — | — | — | — | ١٠ |
| ٨ للبنال | — | — | — | ١٠ | ١٠ |
| ١ - ٣ للواحدة | — | — | — | ١٠ | — |
| ٢٥ للصندوق | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — |
| ٧ - ٢ للرطل | — | — | — | ٤ | ١١ - ٢٠ مديني للرطل |
| ٧ - ٢ | — | — | — | ٤ | |
| ٥ للعلبة | — | — | — | ١٠ | ١٢ % |
| ١٥ - ٦٠ للقطعة | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ |
| ٨ للبنال | — | — | — | ١٠ | ١٠ |
| ٦ لكل ١٦٥ رطلا | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — |
| ٢ لكل زوج | — | — | — | ٤ | ١٢ |
| ٩٨ البرميل الكبير | ٣ | ١ | ٢ | ١٠ | — |
| ٨٠ لكل ٧٥ رطلا | — | ١ | ٢ | ٤ | — |
| | — | — | — | — | ١٢ |
| ٦٠ للقنطار | — | — | — | ١٠ | ١٢ |

| الرسوم الجمركية | | | | | | | أسماء السلع |
|----------------------------|------------|-------------------------|-------------|------------|----------------|-----------------|-------------------------------|
| في الاسكندرية | | | | | | | |
| من أوروبا عن طريق أزمير | من إنجلترا | من ليفورنيو ومارسييا | من البندقية | من مارسييا | من بلاد البربر | من بلاد السلطان | |
| % | % | % | % | % | % | % | |
| | | | | | | | أحزمة سرج صوفية |
| | ٥ - ٤ | | | | | | تبغ |
| | | | | | | ٥ | سجاجيد للأرائك |
| | | | | | ١٠ | | د من كل نوع |
| ٥ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | | | دردي |
| | | | | | | ٥ | لوازم النسيج |
| | | | | | | | أقمشة من بيروت وغيرها |
| | | | | | | ٥ | Taiole |
| | | | | | | | أقمشة من الضهور وبغداد وغيرها |
| | | | | | | ١٠ | أقمشة من الهند |
| | | | | | | ٥ | د حريرية |
| ٥ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | | | د منقوشة |
| | | | | | | | تنباك (نوع من التبغ) |
| | | | | | | ١٠ - ٥ | خرطوم النارجيلة |
| | | | | | | ١٠ | مصنوعات زجاجية |
| ٥ | | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | | | | د د وكريستال |
| | | | | | | | نبيذ |
| | | | | | | | خل |
| ٥ | | ٥ - ٣ | ٥ - ٣ | | | | أملاح معدنية |
| | | | | | | ١٠ | أحذية قديمة |

| التي كانت تخضع لها | | | | | |
|-----------------------------------------|------------------------|--------------------|-----------------------------------|-------------------|----------------------------------|
| في بولاق | | | | في دمياط | |
| اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية | من بلاد النصارى | | الى بلاد السلطان وببلاد البربر | | من أوروبا وآسيا وببلاد البربر |
| | الى تجار غير مصريين | الى تجار مصريين | الى تجار أوربيين | من تجار مصريين | |
| مديني | % | % | % | % | % |
| ٣ - ١٢ للواحد | — | — | — | ٤ | ١٢ - ٢٧ للبيالة |
| ٢٧ للبيالة | — | ١ | ٤ | ٤ | |
| ٢ - ٥ للواحدة | — | — | — | ٤ | ٢ - ٤ للآفة؛ للسعوط ١٢ % |
| ١٢ - ٥ | — | — | ٢ | ٤ | |
| ٩٠ للبرميل | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ |
| ٣ - ١٥ للقطعة | — | — | — | ٥ | ١٠ |
| ١ - ٥ للقطعة | — | — | — | ٤ | ٥ |
| ١ لكل أربعة | — | — | ٢ | ٤ | ١٠ % |
| ١ - ٥ للقطعة | — | — | — | ٤ | ١٠ |
| ٣ - ٤٠ | — | — | — | ١٠ | ١٠ |
| ١ - ١٢ | — | — | ٢ | ٤ | ١٠ |
| ٤ - ٢٠ | ٣ | ١ | ٢ | ٥ | ١٠ |
| ٢٨ للبيالة | — | — | — | ١٠ | ١٢ |
| ٨ | — | — | — | ١٠ | ١٠ |
| ٨ | — | — | — | ١٠ | ١٠ |
| ٧ للقنطار | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | ١٠ |
| — | — | — | — | — | ١٠ |
| — | — | — | — | — | ٥٠ مديني للبرميل |
| ١٧٥ للبرميل الكبير | ٣ | ١ | ٢ | ٤ | — |
| ٢ للزوج | — | — | — | ٤ | ١٠ % |

تجارة الجزيرة العربية والهند

| الرسوم التي تخضع لها في جمرک السويس مقر وصولها | اسم السلعة |
|---------------------------------------------------|--------------------------------|
| ١٦٥ مديني للقنطار | ألوة (صبر) |
| » » ١٦٥ | عزروت |
| » » ٩٩ | حتايت |
| » » ١٦٥ | مرهم من مكة |
| » » ١٦٥ | صمغ جاوة (لبان جاوة) |
| » » ٩٩ | خشب هندي |
| لا يسدد أي رسوم | خشب عطري |
| ١٦٥ مديني للقنطار | خشب الصندل |
| » » ٦٦ | خشب فرنامبوك |
| ٤٠٠ مديني للفرد | بن من مواخا |
| » » ٨٢ | بن بقشره |
| » » ١٦٥ | قرقة |
| ٣٤٠ مديني للقنطار | قاقلة (بذور تنتج زيوت عطرية) |
| قطعة عينا عن كل ١٠ قطع | أحزمة |
| شرحه | شيلان |
| ٦٦ مديني للقنطار | ششم |
| » » ٢٥ | جوز الهند |
| لا تسدد أي رسوم | حلويات |
| ١٦٥ مديني للقنطار | كوبال (صمغ اللطلاء) |
| » » ٦٦ | البوصير (ثمرة سم السمك) |
| لا يسدد أي رسوم | غزل قطن هندي |
| ٩٩ مديني للقنطار | — |
| ٢٦ د للأردب | سن السمك |
| لا يسدد أي رسوم | — |
| شرحه | — |

| الرسوم التي تخضع لها في جمرک السويس مقرر وصولها | اسم السلعة |
|----------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------|
| ٢٣ مدينى للقنطار قطعة عيناً عن كل ١٠ قطع | بخور أقشة |
| ١٦٥ مدينى للقنطار قطعة عيناً عن كل ١٠ قطع | — أقشة قطنية |
| لا يسدد أى رسوم ٦٦ مدينى للقنطار | تنباك (نوع من التبغ) زنجبيل |
| لا يسدد أى رسوم ١٦٥ مدينى للقنطار | صمغ صمغ |
| ٣٢ د د لا تسدد أى رسوم | صمغ لك (عصارة راتنج لصبغ الجلود) بذور سوداء |
| ٢٩٦ مدينى للقنطار | حب الملوك (بذور مسهلة) |
| ٦٦ د د | أصابع هر مس |
| ١٩٨ د د | نيلة وارد الهند |
| ١١٠ د د | خولان (عقار طبي) |
| ٦٦ د د | كركم |
| ٦٦ د د لا يسدد أى رسوم | — ليف |
| قطعة عيناً عن كل ١٠ قطع ٦٦ مدينى للقنطار | موسلين إهليلج |
| ١٦٥ د د ٣٢ د د لا يسدد أى رسوم ٦٦ مدينى للقنطار | مر (أو صبر) جوز ضد القيء جلود ماعز وخراف جمالونات وارد الهند |
| ١٣٢ د د | فلفل |
| ٩٩ د د | فلفل بالقرنفل |
| قطعة عيناً عن كل ٢٠ قطعة | خزف |

| الرسوم التي تخضع لها في جمرک السويس مقر وصولها | اسم السلعة |
|---------------------------------------------------|----------------------------|
| لا تسدد أى رسوم | جذور (نبات) لتنظيف الاسنان |
| ٩٩ مدينى للقنطار | راوند |
| » » ٣٢ | ریتة (ثمرة شجر الصابون) |
| » » ١٦٥ | زرنیخ أحر |
| » » ٩٩ | قاتل الدود (دواء) |
| لا يسدد أى رسوم | سنامكى |
| ٦٦ مدينى للقنطار | لاوندة هندی |
| » » ٩٩ | ترید (جذور عشب مسهلة) |
| » » ٦٦ | جذور الزعفران |

السلع

تجارة سنار ودارفور وفزان

| الرسوم التي تخضع لها عند خروجها من جمرک مصر العتيقة | السلع | الرسوم التي تخضع لها عند خروجها من جمرک مصر العتيقة | السلع |
|-----------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------|
| ١٢ مدينى لجمولة الأتان و ٢٤ مدينى لجمولة الجمل | نصال سیوف محلّب مرايا ذهب لمیّع خردقة وحادايد لاوندة أقشة قطنية | ١٢ مدينى لجمولة الأتان و ٢٤ مدينى لجمولة الجمل | عذبر مرجان سن السمک مذهبات أجواخ أقشة حريرية قرنفل |

تجارة أوروبا وآسيا وبلاد البربر

| الرسم التي تسددها في الاسكندرية (١١) | | | | السلع |
|--------------------------------------|------------------|-----------------|--------------------|----------------|
| في دمياط (١١) | الى بلاد النصارى | الى بلاد البربر | الى ولايات السلطان | |
| الى بلاد السلطان والبربر وأوروبا | % | % | % | |
| ١٠ | ١٠ | ١٠ | ١٠ | الصلب |
| ١٠ | ١٠ | ١٠ | ١٠ | ألة (صبر) |
| ١٠ | ١٠ | ١٠ | ١٠ | بنسون |
| ١٠ | ١٠ | ١٠ | ١٠ | حمايت |
| ١٠ | ١٠ | ١٠ | ١٠ | أطباق من الخزف |
| ١٠ | ١٠ | ١٠ | ١٠ | مرهم من الهند |
| ١٠ | ١٠ | ١٠ | ١٠ | قح |
| ١٠ | ١٠ | ١٠ | ١٠ | خشب الآلة |
| ١٠ | ١٠ | ١٠ | ١٠ | خشب هندي |

١٠٥١

(١١) كانت الرسوم التي تحصل في الاسكندرية ودمياط تفرض دون تمييز على التجار من كل الجنسيات وكانت تتم جبايتها طبقا لتقدير السلع المشهورة اذنى من قيمتها الاصلية .

| السلع | الرسم التي تسدها في الاسكندرية | | | |
|--------------------------|--------------------------------|-------------------|-----------------|---------------------------------|
| | الى ولايات السلطان | الى بلاد البربر | الى بلاد انصارى | الى بلاد المغرب والبربر وأوروبا |
| | % | % | % | % |
| خشيب عطرى و خشيب للمباغة | — | — | — | ١٠ |
| خيوط وبر | — | مدينى القطمة | — | — |
| مشاقة (وبر) حرير | — | ١ ٣٠ | ٣ % | — |
| وبر صنع القاهرة | — | ١ ١٥ | ٣ | — |
| وبر عادى | — | ١ ٢٥ | ٣ | — |
| وبر أحمر | — | ١ ٣ | — | — |
| من قاقلة | ٣٠ مدينى القنطار | ١ ٦ ١ | ٣ | ٣ مدينى القنطار |
| رماد الصودا | ٥ % | ٣٣٠ مدينى القنطار | — | ١٠ % |
| أطواق (إطارات) | ٢ مدينى القفنة | — | ٤٠ مدينى القفنة | — |
| شيلان صوف من القيوم | ٣ مدينى الواحد | — | — | ٣ مدينى الواحد |

| السلع | الرسوم التي تسدها في الاسكندرية | | | |
|-------------------------|---------------------------------|-------------------|------------------|-------------------|
| | الى ولايات السلطان | الى بلاد البربر | الى بلاد النصارى | الى بلاد في دمياط |
| | % | % | % | % |
| شيلان واقشة من الهند | ١٠ | — | — | ١٠ |
| بخارات (بخار) | — | — | — | ١٠ |
| شمشم | ٥ | ٣٣ مدينى القنطار | — | ١٠ مدينى القنطار |
| فسامين (حجم كبير) | — | — | — | ١٠ |
| القرمزبة | — | — | — | ١٠ |
| نمار جوز الهند | ٥ | — | — | ١٠ |
| • • • • • | — | — | — | — |
| كوبال (صنع للطلاء) | ٥ | ٣٣ مدينى البالة | — | ١٠ |
| ثمرة البوصير (سم السمك) | ٥ | % ٨٦ | — | ١٠ |
| قرون الثيران والماعز | — | ١٢٠ مدينى القنطار | — | ١٠ |
| قطن على هيئة لوزات | — | — | — | ١٠ |

١
٣٥١
١

| الرسم التي تسدها في الاسكندرية | | | | السلع |
|----------------------------------|-------------------|----------------------|------------------------|-------------------------|
| في دمياط | الى بلاد الانصاري | الى بلاد البربر | الى ولايات السلطان | |
| الى بلاد السلطان والبربر وأوروبا | % | % | % | |
| ١٠ | ٣ | ٣٧ ١/٢ مديني القنطار | — | قطن في شكل رزم |
| — | ٣ | — | ١٠ | غزل قطن من الهند |
| — | — | ٣٠٠ مديني القنطار | — | غزل قطن |
| — | — | ٢٠٠ مديني القنطار | — | أحمر |
| — | ٣ | ٥٥ مديني القنطار | — | أزرق |
| — | — | — | ٤ مديني القنطار الواحد | أبيض |
| ١٥ | — | ٢٠ مديني القنطار | — | أظلية حمراء |
| ٣ مديني الواحد | ٣ | ٦ مديني اللجام | — | أظلية وسجا جيد من الهند |
| ٣ مديني الواحد | ٣ | ٦ مديني اللجام | — | أظلية من سوريا |
| ٣ مديني اللقنة | ٣ | ٦ مديني اللقنة | ٣ مديني اللقنة | شعر عرقة الخيول |
| | | | | جلود جاموس |
| | | | | جلود بقر وجمال وثيران |
| | | | | عجوة |

| الرسم التي تسدها في الاسكندرية | | | | السلع |
|----------------------------------|------------------|-------------------|---------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| في دمياط | الى بلاد النصارى | الى بلاد البربر | الى ولايات السلطان | |
| الى بلاد السلطان والبربر واوروبا | % | % | % | <p>بلح مجفف (تمر) سن سملك ديبتي منقوش وهو اقشنة قطنية تسمى نازكين او بازان ويسمىها الانجليز ديبتي ماء الزهر بخور عبيد سود عقاير طيبة من كل نوع قصدير اقشنة صوفية تسمى زجبوط اقشنة حريزية من الاسكندرية والخلة الاكبرى</p> |
| ٤٥ مدينى للقفة | ٣ | ١٣ مدينى للقنطار | ١٣-١٢ مدينى للقنطار | |
| — | ٣ | ٣٣٠ مدينى للقنطار | % ٥ | |
| — | ٣ | ٢ مدينى للقطنية | — | |
| % ١٠ | — | — | — | |
| ١٠ | ٣ | ٣٠ مدينى للقنطار | ٥ مدينى الواحد | |
| — | — | — | ٥ مدينى للقنطار | |
| ١٠ مدينى للقطنية | — | — | — | |
| ١٠ | — | — | — | |
| ١٠٥ | — | — | — | |

| الرسم التي تسدها في الاسكندرية | | | | السلع |
|----------------------------------|------------------|-------------------|------------------------------|-------------------------------|
| في دمياط | الى بلاد النصارى | الى بلاد البربر | الى ولايات السلطان | |
| الى بلاد السلطان والبربر وأوروبا | % | % | % | |
| ١٠ | — | — | — | زنك |
| ١٠ | — | — | — | حديد على هيئة قضبان |
| ٢٠ مديني اكل ١٠٠ رطل | — | ٨٦ مديني للقنطار | ٠ % | زنجبيل |
| — | ٣ | ٢٦ مديني للقنطار | ٠ | صمغ الك |
| ١٠ % | — | ٣٣٠ مديني للقنطار | — | بذور كورن |
| ١٥ مديني للأردب | — | — | — | كتان خشن |
| ٢ مديني لكل حولة | — | — | — | حناء (لصمغ أظافر وشمس النساء) |
| ٨ مديني للباية الصغيرة | — | ٦٦ مديني للباية | ٤-١٦ مديني للبروال تبعا لجمه | أصابع هر مس |
| ١٠ % | ٣ | ٣٣٠ مديني للقنطار | — | درجته أولى |
| ٨٠ مديني للقنطار | — | — | — | درجته ثانية |
| ٦٠ مديني للقنطار | — | — | — | درجته ثالثة |
| ٤٠ مديني للقنطار | ٣ | ١٢٥ مديني للقنطار | ٠ % | عاج |

| الرسم التي تسددها في الاسكندرية | | | | الى ولايات السلطان | السلع |
|---------------------------------|------------------|------------------------|----|--------------------|--------------------|
| في دمياط | الى بلاد النصارى | الى بلاد البربر | % | | |
| الى بلاد السلطان والبربر وأوربا | % | | | % | |
| ١٠ | — | ١١٠ مديني للقنطار | — | — | كناخ |
| ١٠ | — | د د ١١٠ | — | — | خولان (عطار طبي) |
| ١٠ | ٣ | د د ٨٦ | ٥ | ٥ | كرام |
| ١٠ | ٣ | د د ٢٧ | — | — | صوف |
| ١٠٠ مديني للإردب | ١٦ مديني للإردب | ١٦ مديني للإردب | — | — | خضروات وجيوب وعائف |
| ١٨ مديني لكل ١٠٠ رطل | ٣ | ٤ مديني للباية | ٥ | ٥ | كتان |
| د د ٢٦ | ٣ | ٦ مديني للباية الصغيرة | — | — | كتان مفزول |
| % ١٠ | — | — | — | — | حواشي جوخ |
| ١٠ | — | — | — | — | قلودر بخارية |
| ١٠ | — | — | ١٠ | ١٠ | موسلين من الهند |
| ٦٠ مديني لكل ١٠٠ رطل | ٣ | ٨٦ مديني للقنطار | ٥ | ٥ | امليج |
| % ١٠ | ٣ | ٨٦ مديني للقنطار | ٥ | ٥ | م |

١٥١

| السلع | الرسوم التي تسددها في الاسكندرية | | | |
|---------------|----------------------------------|-----------------|-------------------|---------------------------------|
| | الى ولايات السلطان | الى بلاد البربر | الى بلاد الانصارى | الى بلاد المغرب والبربر وأوروبا |
| صدف لوز لو | — | ٦٦ مديني للباية | ٣٪ | — |
| ملح النطرون | — | ٣٣ مديني للباية | ٤٠ مديني للقفنة | — |
| حصر | — | — | — | ٢ مديني للواحدة |
| بندق | — | — | — | ١٠٪ |
| بندق من الهند | ١٠ | ٨٦ مديني للقطار | — | ٢٠ مديني لكل ١٠٠ رطل |
| جوزة القتيه | ٥ | ٨٦ | ٣ | ١٠٪ |
| جلود | ١ مديني لكل جلد | — | — | ١ مديني لكل جلد |
| جلود رقيقة | ٨ | — | — | ٣ مديني لكل جلد |
| ريش النعام | ٥٪ | — | ٣ | ١٠٪ |
| حصن | — | — | — | ٩ مديني للإردب |
| سمك ملح | ٤١ مديني للبرميل الكبير | — | — | — |
| سمك مجفف | ٨ مديني للبرميل | — | — | — |

| الرسم التي تسددتها في الاسكندرية | | | | السلع |
|----------------------------------|--------------------|-------------------|------------------|-----------------------|
| السلع | الى ولايات السلطان | الى بلاد البربر | الى بلاد انصارى | |
| فلفل | ٥ | ٨٦ مدينى القنطار | ٣ | ٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل |
| خزف | ١٠ | — | — | — |
| رصاص بنادق | — | — | — | ١٠٪ |
| مسحوق لصباغة الخيزول | — | — | — | ٣٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل |
| ارز | — | ٤ مدينى للأردب | ١٣٣ مدينى للأردب | ٧٠ مدينى للأردب |
| صبغات صوفية للفلاحين | ٢ مدينى للواحدة | — | — | ٣ مدينى للقطعة |
| زهو رجاقة | — | ٢٧١ مدينى للقنطار | — | — |
| زعفران | — | — | — | ٦ مدينى لكل ١٠٠ رطل |
| كس | ٥ | ١٣ مدينى للباله | ٣ | ١٠٪ |
| ملح | — | — | — | ٣٥ مدينى لكل ١٠ أرادب |
| ملح النوشادر | ٥ | ٣٠ مدينى للقنطار | ٣ | ١ مدينى للرطل |
| ملح البارود | — | — | ٣ | ١٠٪ |
| بذور اليسر | — | ٢٦ مدينى للقنطار | ٣ | — |

| السلع | الرسوم التي تسدد لها في الاسكندرية | | | |
|----------------------------|------------------------------------|---------------------|-----------------|----------------|
| | الى ولايات السلطان | الى بلاد البربر | الى بلاد انصاري | الى بلاد دمياط |
| | % | % | % | % |
| سنامكي | ٥ | — | ٣ | ١٠ |
| خيش | — | ١ مديني للقطعة | — | — |
| مناشيف (فوط) صنع دمشق | — | ١٢ - ٢ مديني للقطعة | — | — |
| مناشيف (فوط) صنع القاهرة | — | ٢ مديني للقطعة | — | — |
| كبريت | — | — | — | ١٠ |
| مكر | ٥ | ٢٠ مديني للقطعة | ٣ | ١٠ |
| سكر مكر | ٥ | ٤١ مديني للقطعة | — | ١٠ |
| تبغ | ١٠ | — | — | ١٠ |
| بودرة تبغ (سموط) | — | — | — | ١٠ |
| تفتاز | — | — | ٣ | ١٠ |
| مكر هندي | ٥ | ٤٥ مديني للقطعة | — | ١٠ |
| مناخل (منخل) زاعة | — | — | — | ١٠ |
| فناجين من الخزف | — | — | — | ١٠ |

| الرسم التي تسددها في الاسكندرية | | | | السلع |
|----------------------------------|------------------|-------------------|--------------------|-----------------------|
| في دمياط | الى بلاد النصارى | الى بلاد البربر | الى ولايات السلطان | |
| الى بلاد السلطان والبربر وأوروبا | % | % | % | |
| — | ٣ | ٣٧ ¼ مديني للقطار | — | لوازم النسيج |
| — | — | ٤٠ مديني للقطعة | — | أقمشة هياووني |
| ٥ | — | — | — | صلصال لصنع النارجيلات |
| — | — | ١٥ مديني للقطعة | — | أقمشة عاتكي |
| — | ٣ | ٣ | — | زرقاه |
| — | — | ٢٠ | — | ضابول من القسطنطينية |
| — | — | ٥ | — | من مصر |
| — | — | ١٥ | — | عادية |
| ٣٠٠٠ مديني للباله | ٣ | — | — | من القطن |
| — | ٣ | — | — | الكتان |
| — | — | — | ٣ مديني للقطعة | للقمصان |
| ١٠ | ٣ | — | — | من الهند |

(وصف مصر - م ١١)

| السلع | الرسم التي تسددها في الاسكندرية | | | | السلع |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------|-----------------|-----------------|----------------|-----------------|
| | الى ولايات السلطان | الى بلاد البربر | الى بلاد انصاري | الى بلاد دمياط | |
| أقمعة ملونة درجة أولى عادية شعبية فيتالي جبشي الآرائك للفلاح سبن عمائم خراطوم نارجيلات على شكل أعواد جذور الزعفران | % | % | % | % | الى بلاد البربر |
| | — | ٦ | ٤٠ | ٣ | مدينة القنطرة |
| | — | ٤٠ | ٤٠ | — | د |
| | — | ٣٠ | ٣٠ | — | د |
| | — | ٢٠ | — | — | د |
| | — | ٣ | — | ٣ | د |
| | — | ٤ | للبلية | — | مدينة القنطرة |
| | — | — | — | — | د |
| | — | ٣٠ | مدينة القنطرة | — | د |
| | ٥ | ٢٦ | مدينة القنطار | ٣ | ١٠ |

تجارة الجزيرة العربية والهند

| الرسوم التي تسددها في جمرک السويس | السلع | الرسوم التي تسددها في جمرک السويس | السلع |
|--------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| لم يكن تصديرها يخضع لاي رسوم | أسلاك نحاس أصفر نصال سيوف عدس مرايا ذهب لميع ورق ناعم مصقول قروش أسبانية رصاص أرز جنهات ذهبية من البندقيه كبريت تالاري (ريال) امبراطوري نحاس قديم أملاح معدنية | لم يكن تصديرها يخضع لاي رسوم | صلب ابر عنبر أصفر سلفور الرصاص زرنبيخ قمح مواشير بنادق قرمزية ومصنوعات زجاجية من كل نوع أجواخ شعبية حديد فول أسلاك حديد |

وكانت الواردات القادمة من ممالك سنار ودارفور وفزان تبلغ النيل عادة عند أسوان أو سيوط . وقد لا يكون بوسعنا أن نضفى أية صبغة من الشرعية على الرسوم التي قررت العادة سدادها في الولايات التي تعبرها هذه الواردات قبل أن تصل إلى القاهرة ، ولقد أدى سلوك الحكام الذين فرضوا هذه الرسوم بشكل استبدادي إلى نشأة مبدأ خلاصته أن من المستحيل أن يدع واحد من البكوات قافلة تمر بولايته دون أن يخضعها لأداء ضريبة له . ولقد تحولت هذه المطالب التي كانت تعسفية في الأصل ، بسبب تقادمها وبسبب مراعاة أولئك الذين قرروها لعدم المبالغة في مقدارها حرصا على مصالحهم ، وحتى لا تؤدي إلى توقف التجارة التي تتحملها — تحولت في السنوات الأخيرة إلى اتاوات مستقرة ومعترف بها . ومن المعروف ، أنه بخلاف الرسوم التي كانت تستد في جمرک مصر العتيقة :

| | | |
|-------------------------------------|------|-------|
| كان يدفع عن أي عبد أو أمة | ٤٨٠ | مدينى |
| والجمل المحمل بالصمغ | ٩٠٠ | » |
| » » بريش النعام | ١٩٨٠ | » |
| » الذي لا يحمل شيئا | ٢٤٠ | » |

ومنذ أصبحت مصر فريسة للانقسامات الداخلية ، ومنذ أصبح الصعيد هو مأوى الحزب الذي تدور عليه الدوائر ، وجرجا هي المقر المعتاد للبك الموكل بأمر احتواء هذا الحزب ، بدأت القوافل التي كانت تصل إلى أسوان لتعبر على التوالى الولايات التي يحتلها كلا الحزبين المتنافسين تتعرض لسداد ضعف الرسوم المعتادة .

وبخلاف هذه القوافل ، كانت هناك قوافل أخرى تصل إلى بولاق ، قادمة من الطور ومن وسط أفريقيا ومن سوريا .

وكانت الأولى ، وهي تتألف من عربان يقطنون جبل سيناء ، تنقل إلى القاهرة وإلى كل مصر السفلى الصمغ والفحم والكمثرى ، وكانت هذه السلع تخضع لرسوم دخول مقررة في جمرک بولاق (١) .

(١) لم يكن الفحم يدفع أي رسوم .

أما الغرض الرئيسي للقافلة فكان هو الحج الى مكة ، وكانت تبدأ من اقصى امبراطورية مراكش متخذة طريقها الى القاهرة ، ضامة اليها في طريقها حجاج الجزائر وتونس وطرابلس ثم تكمل رحلتها مع قافلة مصر سابقة اياها او متخلفة عنها بمسافة مستيرة يوم واحد .

وكانت هذه القافلة تضم بعض التجار يحملون الى الجزيرة العربية سلعا صغيرة الحجم مثل الأجواخ والقرمزية الخ ، ويجلبون منها البن المشهود له بأنه أجود أصناف البن ، وذلك بسبب عدم مروره بالبحر ، كما يجلبون كذلك الشيلان والبخور ، وبصفة عامة كل ماخف حمله وغلا ثمنه . ولم يكن هؤلاء التجار يسددون أى رسوم جمركية ، ذلك أن كل السلع التى تصدر أو ترد مع قافلة الحج ، كانت معفاة من كل الرسوم . وعندما تكون الملاحه خطيرة ، كانت تصل من سوريا بعض القوافل ، حاملة نفس السلع التى تمد بها هذه البلاد مصر عن طريق دمياط ، وفى هذه الحالة كانت صادرات مصر الى سوريا تصل اليها عن نفس الطريق ، وكانت رسوم الدخول والخروج تقتصر على تلك التى تحصل فى جمرك بولاق .

وكانت التجارة مع أوروبا تنهض مستقرة على أسس اتفاقيات تحدد الرسوم التى ينبغى عليها أن تسددها، وتعود أقدم هذه الاتفاقيات طرا ، وهى تلك التى عقدت مع الفرنسيين والبنادقة ، الى فترة قريبة من وقت فتح مصر على يد السلطان سليم ، وبعد ذلك تمتع بنفس هذه الامتيازات كل من الالمان والانجليز ، ثم على التوالى كل الأمم الأوربية التى تحالفت مع العثمانيين ، ويكفى أن نقارن الرسوم التى كان رعايا السلطان يدفعونها ، بتلك الرسوم بالغة الاعتدال والتى تحصل من الأوربيين ، كى نتبين المزايا التى كان الآخرون يتمتعون بها ، ولم تكن ثمة سوى حالة واحدة يحظى فيها المصريون أو الأتراك بمعاملة أفضل من معاملة الأوربيين ، هى حالة شرائهم السلع من الاسكندرية بقصد ارسالها الى القاهرة ، فقد كانوا عندئذ يخضعون لسداد رسم ثابت بسيط عن كل بالة أو قطعة ، يؤدونه فى بولاق ، فى حين كان الأجنبى الذى يفعل نفس الشئ يدفع رسما قدره ١ أو ٢٪ ، وهو نفس الرسم الذى يخضع هو له حين تصله نفس هذه السلع من أوروبا أو تركيا .

لكن ذلك لا يحول بيننا وبين ان نبيين الى اى حد كانت النجارة الاوربية تحت السيطرة الاستبدادية للماليك ، تتعرض للابتزازات وللمعاملات السيئة ، وقد يكون تقدير السلع لايزال حتى اليوم ادى من قيمتها الفعلية (عند تقدير الرسوم) ، ومع ذلك فان مطالب التجار التى تنهض على اسس اتفاقيات تسليم تتعارض مع كل تغيير فى السلع لم تكن لتحول دون تقييم هذه السلع بشكل يتناسب مع قيمتها المالية ، ولقد كان من المتفق عليه بجلاء ان السفينة الافرنكية (الاجنبية) التى تسدد الرسوم فى احد ثغور الامبراطورية (العثمانية) تتمتع باعفاء كامل فى بقية الثغور بمجرد ابرازها التذكرة (تذكرت) التى حصلت عليها من الجمرك هناك ، ومع ذلك فلم يكن هناك من يعترف بهذا البند فى الاتفاقيات ، فكانت المراكب الاوربية القادمة من ولايات السلطان تعامل وكأنها حملت فى الموانى التى قدمت منها ، سواء ابرزت او لم تبرز « تذكرت » الجمارك .

وكان محظورا تصدير الغلال والارز والبن على السفن الاوربية وكذلك على السفن اليونانية برغم انها من رعايا السلطان ، وان ظل التدليس يهيب على الدوام لهذه السلع ان ندخل ضمن حمولات هذه السفن مقابل بعض الهدايا ، لكن تصدير القمح والارز كان اكثر من ذلك صعوبة ، وكان الامر يتطلب خرقا اكبر للوائح التى تمنع تمام ذلك عن طريق سفن مسيحية حتى ولو كانت هذه الحبوب متجهة الى احدى ولايات الامبراطورية (العثمانية) ، ومع ذلك فحيث امكن استصدار فرمان خول لنا حتى نقلها بحرا فى حالة انعدام وجود سفن مسلمة ، فقد توصلنا عن طريق هذه الحيلة الى نقل هذه الغلال الى اوربا بعد ان كانت سفننا تقوم بجولة لواحد من الثغور التركية ، وهكذا امكن لفرنسا خلال عام ١٧٩٣ والاعوام التالية ان تستورد الكثير من السلع الغذائية من مصر . وكانت كل حمولة من هذا النوع تدفع من ١٣ الى ١٥ الف مدينى رسوما جمركية ، وبالمثل فقد ادخلت العمادة رسم تخليص على الحمولات التى تتكون من سلع اخرى كان تقديرها يتم بالاتفاق بين رجال الجمارك وقبطان السفينة . وكانت سفن راجوزة تخضع بالاضافة الى ذلك لرسم قدره ٢٪ لصالح حكومتها ، التى كانت تترك ١/٣ هذا الرسم للجمرك حتى تكفل لرعاياها وسائل شحن سهلة . ومع ذلك فان هذه البدع التى كان الافرنج يخضعون لها حتى يحصلوا على عمليات تجارية مربحة او يقوموا بجولات كانت محظورة عليهم

لم تكن مجحفة أو ضارة بالتجارة الا في ائها كانت الاساس الذى هيا
لنشأة اتاوات اخرى باهظة بشكل حقيقى .

وفى عهد حكومة على بك قام حنا فخر ، المسيحى السورى ، والذى
كان قد حصل على التزام جمرك دمياط بكثير من المكائد والدسائس
حتى امكنه الحاق الدمار باليهود، ففقدوا التزام الجمارك الذى كانوا يديرونه
منذ زمان لاتعبه الذاكرة .

وقد سبق لنا القول بأن الرسوم التى تحصل عن السلع فى
الاسكندرية أو دمياط لم تكن لتعنيها من ان تسدد رسوما جمركية اخرى فى
بولاق عندما تصل الى القاهرة ، ولما كان ملتزمو الجمركين الاولين متوحدى
المصالح مع ملتزمى جمرك بولاق فقد كانوا يزودون التجار بوسائل تمكنهم
من التخلص من جزء من الرسوم واجبة الاداء فى الجمرك الأخير ، ولكن
حين أصبح حنا فخر ملتزما عموميا فقد ابطال امور التدليس هذه وذلك
بأن وضع تحت امرته عوائد جمارك الاسكندرية ودمياط وبولاق (١) ، ومع
ذلك فان عدم حرصه على ان يحتفظ لكل جمرك باختصاصاته المتميزة ،
بالاضافة الى لا مبالاته التى كان يرى معها أنه سيحصل ولا بد فى بولاق
على ما كان ينبغى ان يحصل عليه فى الاسكندرية أو دمياط — كل ذلك
قد القى بالشكوك حول العائد الخاص الذى يحققه كل جمرك ، وفى
نفس الوقت فان اضطراب هذه العوائد ، وهو الأمر الذى جر معه
اضطرابا فى الرسوم الجمركية نفسها ، قد ادى بالضرورة الى انعدام
التوافق أو التلاؤم الذى كان ينتظر حدوثه من وراء ادخالها (الجمارك)
ضمن التزام شخص واحد . ولقد فرضت تحت ادارته ، وتحت ادارة الذين
اعتبوه ، رسوم باهظة على كل الرحلات الى ليفورينو وتريستا ، كما
خضعت السفن التركية والافرنجية التى كانت تشحن فى دمياط ، بالاضافة
الى ذلك ، لاداء اتاوة قدرها ٢٠٠ بوظاقة ، ظلت تتضاعف خلال السنوات
الآخيرة حتى بلغت نصف رسوم شحن ، وحيث لا تقدم أية ذرائع لتبرير
مثل هذه المظالم الاستبدادية ، فقد كان بمقدور التجار ان يجدوا دوافع

(١) لم يكن جمرك بولاق مستقلا عن جمرك مصر العتيقة فيما يختص
بتسديد الميرى ، ومع ذلك فقد ضمن الاول فى عقد مدير عموم الجمارك فى
حين ظل الجمرك الثانى فى عهدة وكيل خاص .

حقيقية لالقاء اللوم على وكلاء الأمم الاوربية في تساهلهم في هذه الأمور لولا أنهم يدركون كيف أنه من العسير على هؤلاء أن يصارعوا بنجاح ضد رجال الجمارك في مصر . ولقد كانت المكاسب التي يهيئها رجال الجمارك لهؤلاء البكوات تضمن لهم سطوة تجعل كل شيء زهن مشيئتهم في المواقع والثغور التي يتم فيها تحصيل الرسوم ، وكان السردارات والاعوات والضباط العسكريون الآخرون الذين يتولون القيادة هناك يجازفون بمناصبهم أو بتمريض أنفسهم للعقاب اذا هم ساروا على غير هوى هؤلاء . وكانت الوسائل العديدة التي في حوزتهم والتي يستطيعون بها تسهيل أو تعويق أو حتى منع عمليات الشحن تخضع للتجار والإمر كذلك لسلطوتهم (١) .

أما في جمرك السويس فلم ترتفع الا الرسوم المقررة على البن ، فمنذ نحو سبعين عاما أمر الباب العالي نفسه بأن تزيد هذه الرسوم لتبلغ ١٤٦ مدينى عن كل فرد لصالح أمير الحج ، كما فرض الكخياوان ابراهيم ورضوان لحسابهما خمس بوطاقات أخرى عن كل فرد ، اما على بك الذى تلاهما في الحكم فقد غالى فى هذه البدعة ، وأخيراً وصل بها مراد وابراهيم الى ١٨ بوطاقة (عن كل فرد) حين توقف صندوق الجمرك عن ايراد اية حصيلة .

ونقدم هنا بعض لمحات عن الأسباب التي أدت به الى هذه الحالة من الافلاس . فعندما حصل البكوات على نصيب من دخول الجمارك لم يتغير شيء فى الأسلوب المتبع فى تحصيل الرسوم . فيمجرد أن تلامس السفن المحملة بسلع الجزيرة العربية والهند شاطئ السويس كان أفندى الادارة فى الجمرك - وهو يحمل اسم قاضى البحار - يرسل الى المرفأ كاتباً موكلاً بتقدير واردات البن ، وبأن يحرر بياناً بأسماء التجار الذين وردت هذه السلع لهم : ويرسل هذا البيان الى قاضى البهار ليتخذ منه أساساً لتقدير وتوزيع الرسوم واجبة السداد والتي قررها الباشا والبكوات . وكان تسليم البن يتم فور تمام هبدا الاجراء

(١) فر أحدهم وهو أنطون قسيس فرعون من مصر ليستقر فى تريستا بعد أن كدس ثروة طائلة تتكون من عدة بلايين من حصيلة التزام الجمارك .

ويقوم النجار الذين أصبحوا ملاكا لهذا البن بسداد الرسوم التي قدرت عليه ، وقد استفاد قادة الحكومة من نظام للامور جعلهم فى علاقة منفعة مع التجار فحصلوا لأنفسهم منهم على قروض ، وأدت التسهيلات التي قدمت لهؤلاء لاستيفاء ديونهم عن طرق خصومات تتم على مقدار الرسوم التي كان عليهم أن يسددوها طبقا لرساليات البن التي جاءتهم ، بالإضافة الى ربح (القروض) البالغ ٢٠٪ الذي وعدوا به والذي كان يضمن الحساب بالفعل — أدت بهؤلاء الى أن يصبحوا المساهمين والملتزمين لهذا الجمرک . ولم تلبث كل دخولهم أن أصبحت تعتمد اعتمادا تاما على هذه المنشأة . وهكذا كفت واردات البن عن أن تصبح وفيرة ، وتناقصت تبعا لنسبة الرسوم التي حملت بها ، وكف التجار الأجانب عن ادارة الجمرک (أى الذين لا يتعاملون معها بالقروض) عن المضاربة على هذه السلعة الغذائية ، وحين رأى الأوربيون أنهم سيحصلون على فوائد أكبر اذا ماجلبوا هذه السلعة عن طريق رأس الرجاء الصالح فقد أخرجوها من طريقها المعتاد ، بل ان الشرقيين انفسهم أخذوا يفضلون استجلابها الى أزير عن طرق Tokat والخليج الفارسى عن مواصلة التزود بها عن طريق السويس (١) ، وحين لم تعد رسوم البن تهيء وسيلة أكيدة لتغطية القروض التي لم يكن البكوات يكفون عن أن يجعلوا منها مصدرهم الثابت للدخل أصبح خراب المساهمين أمرا يستحيل تجنبه ، وبعد بضع سنوات شعر البكوات خلالها بمدى الخسارة الهائلة التي لحقت بهم، إن كانت الأرصدة التي تهيئها الجمارك قد ضاعت ، وظل سداد القروض معلقا .

وعندما طرد القبطان باشا حسن البكويين إبراهيم ومراد من القاهرة، وولى مكانهما اسماعيل بك ، فقد أراد الأخير إعادة قيام تجارة البن فنشبت رسوم الجمارك بـ ٢٢ بوطاقة عن الفرد (**) وفى نفس الوقت فقد ضمن هذا الرسم الـ ٥٤٦ مدينى المخصصة للباشا وأمير الحج وكذلك الـ ٩٠٠ مدينى اللازمة للوفاء بالديون المستحقة للتجار (على البكوات) وقد أدت هذه اللائحة الى احياء الثقة ، وجدد التجار المصريون (٢)

(١) وهذا برهان جديد على أن التجارة تستطيع فى النهاية أن تشق لنفسها طريقا آخر كى تتخلص من المظالم الخرقاء .
(**) كما سبق القول فان الفرد هو بالة تزن ١٨٥ ك.ج (الترجم) .
(٢) لم يكن التجار الأجانب المقيمون بمصر يتلقون أية رسالية بن من الجزيرة العربية ، بل كانوا يشتركون من التجار المصريين البن الذى يصدرونه الى أوروبا .

معاملاتهم ، واوشكت الواردات ان تماثل في حجمها الكبير ماكانت عليه في الماضي ، ومع ذلك ولسوء الحظ فقد مضت التجربة دون ان يستخلص منها الاستبداد الجشع والنهم الدرس الواجب استخلاصه ، فما ان استقر ابراهيم ومراد بالقاهرة مرة اخرى حتى بدءا ابتزازاتهما من جديد ، واعادا الامور قريبا من الحالة التي وجدها عليها اسماعيل ، ولم يتغير عائد الجمرك (اى لم تزد حصيلته) بسبب الرسوم الباهظة التي فرضاها ، لسكن الواردات هي التي اصبحت بالغة الضالة .

ولم تكن السلع الأخرى التي تصل عن طريق السويس تدفع شيئا آخر بخلاف الرسوم التي انشأها السلطان سليمان ، ولسنا نجد سببا يفسر هذا الاعتدال الذي يتناقض كثيرا مع الاساليب المعتادة في الادارة المصرية .

وبخلاف ذلك كانت تجبى في كل مكاتب تحصيل مصروفات جمركية بلغت حدا من الكثرة انها كانت تشكل عائدا ضخما للملتزمين وتغطي مصروفات المكاتب ورواتب الكتبة ، فقد كانت كل السلع تخضع لهذه الرسوم حتى تلك السلع التي كانت تجارتها حرة . وكانت هذه المصروفات اقل جسامه بالنسبة للاوربيين عنها بالنسبة لابناء البلاد .

وكان رجال جمارك بولاق ومصر العتيقة والاسكندرية والسويس قد اكتسبوا ميزات ووظائفهم بحصولهم من الباشا على الفرمان الذي انشا او اعترف لهم بالمراكز التي يشغلونها والذي اخضعهم لدفع الميرى :

فكان جمارك مصر العتيقة وبولاق
يدفع ٢٠٨٠ ر. مدينى
وكان جمارك الاسكندرية يدفع ٢٧٠٤٠ ر.
وكان رجال الجمارك بالسويس يدفعون :
بالنسبة للشخص المقيم منهم بالقاهرة ١٦٣٤٣٣ ر.
بالنسبة للشخص المقيم منهم بالسويس ٤١٠ ر.
عن السوزان ٥١٠ ر.
الاجمالي ١٩٣٤٧٣ ر مدينى

تعاادل ١٥ س ٦٩٠٩ جنيتها توريا ، وتعاادل بالفرنكات ، ٤٦ س ٦٨٢٤ فرنكا فرنسيا .

وحيث شغل المدير العمومي للجمارك المعين فى عهد على بك كل هذه المراكز فيما عدا مركزى مصر العتيقة والسويس فقد سدد الميرى المقرر عليها ، ولا نعرف لماذا لم يسلك الباشا نفس السلوك تجاه مدير جمرک السويس ، خصوصاً منذ أصبح هذا الجمرک مضمناً عقد الملتزم العمومى .

وقد انشأ البكوات الممالیک جمرکين آخرين فى القصير ورشيد .

وقد حال الإتجاه الذى سارت فيه حكومة القاهرة لجذب تجارة الجزيرة العربية الى السويس ، دون أن يكون حجم انزال السلع فى القصير كبيراً ، وكانت الرسوم الجمرکية تحصل هناك (فى القصير) لصالح كاشف قنا لعادة قررها هو نفسه أو ورثها عن أسلافه .

ولم يكن الغرض من انشاء جمرک رشيد تقرير رسوم جديدة ، بقدر ما كان الهدف منه هو التحقق مما اذا كانت لم ترتكب أية عمليات خداع أو تدليس فى جمرکى بولاق والاسكندرية ، وهناك ، كان يتم التحقق من أن كمية ونوع السلع قد جاءتا مطابقتين للمخالصات الجمرکية التى كان لابد من ابرازها وذلك بجعل حمولات السفن القادمة الى هذا الموقع تنتقل (من مراكبها) الى مراكب اخرى . وقد توصل رجال الجمارك — قبل مجيء الفرنسيين بسنوات قليلة — لأن يلحقوا بعمليات المراجعة والفحص هذه فرض رسم على كل كميات الساع ، وان كان الأوربيون قد تمسكوا بامتيازاتهم ولم يخضعوا مطلقاً لهذه الرسوم ، وفى نفس هذا الوقت ، سمح مراد بك ، بعد أن أغرته المكاسب الهائلة التى سوف تعود عليه من تصدير الحبوب الى العالم المسيحى ، بتصدير هذه الحبوب مقابل تحصيل رسم قدره زر محبوب واحد (عملة ذهبية) لكل أردب ، وادت عمليات الشحن البحرى التى كانت تتم فى رشيد الى نشأة جمرک ، جنى منه مراد ، وهو الذى كان يديره لحسابه الخاص ، أموالاً طائلة .

وحيث لم يكن يدفع أى مال ميرى الى الخزينة عن جمرکى القصير ورشيد فان من الضرورى أن نشير اليهما باعتبارهما عبئاً مضاعفاً على حركة التجارة ، وليس باعتبارهما يشكلان جزءاً من عوائد السلطان .

ولابد أن نضع في نفس هذه المرتبة تلك الرسوم التي كانت تفرض على التجارة الداخلية ، والتي كانت تعرف في بولاق والاسكندرية ورشيد ودمياط والسويس باسم جمارك صغرى أدت الى نشأة ضرائب أو مكوس على الاستهلاكات (التجارة) ، وكان التزام هذه المكوس يعطى عادة لرجال الجمارك الذين كانت لديهم المعرفة التامة بطبيعتها وتنوعاتها المعقدة .

ونقدم فيما يلي جدولاً بهذه الرسوم ، حصلنا عليه عن طريق هؤلاء الكتبة أو الموظفين الذين استبقيناهم في وظائفهم بعد وصولنا .

تعريف الرسوم التي تحصل باسم جمارك سفري في مصر
على السلع القادمة من الخارج
وعلى السلع القادمة من داخل مصر

١ - سلع قائمة من الخارج

| | | عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسم المبينة فيما يلي | | | | | عندما تخرج السلع من المدن الموضحة فإنها تخضع للرسم التالي | | | | | |
|--------------------------|-------------|------------------------------------------------------------------------------------------|------------|------------|-------|--------|-----------------------------------------------------------|-------|------------|------|-------|--------|
| السلع | مصر المتيقة | بولاق | الاسكندرية | رشيد | دمياط | السويس | مصر المتيقة | بولاق | الاسكندرية | رشيد | دمياط | السويس |
| | | | | مدني | | | | | | | | |
| أبا قدار (نوع من البذور) | - | - | - | - | ١ % | - | - | - | - | - | - | - |
| عجين الشمس (قر الدين) | - | - | - | - | شرحه | - | - | - | - | - | - | - |
| صلب | - | - | - | ٤٥ للصندوق | شرحه | - | - | - | - | - | - | - |
| أوز (الصبار) | - | - | - | شرحه | شرحه | - | - | - | - | - | - | - |
| صبر | - | - | - | - | شرحه | - | - | - | - | - | - | - |
| صوفان | - | - | - | ١٥ للبالة | شرحه | - | - | - | - | - | - | - |
| لوز | - | - | - | ٢٠ للقفه | شرحه | - | - | - | - | - | - | - |
| عنبر | - | - | - | ٩٠ للصندوق | شرحه | - | - | - | - | - | - | - |
| هاب سراكب | - | - | - | - | شرحه | - | - | - | - | - | - | - |
| فضة سباتك | - | - | - | - | شرحه | - | - | - | - | - | - | - |
| أسلحة | - | - | - | - | شرحه | - | - | - | - | - | - | - |
| | - | - | - | - | - | - | ٢٤ - ٩ مليني للحمولة | - | - | - | - | - |

| عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية | | | | | | | عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلي | | | | | | |
|--------------------------------------------------------------------------------------------|-------|------|------------|-------|-------------|--------|-------------------------------------------------------------------------------------------|------------|------------|-------|-------------|---------------------------|--------|
| السويس | دمياط | رشيد | الاسكندرية | بولاق | مصر المتيقة | السويس | دمياط | رشيد | الاسكندرية | بولاق | مصر المتيقة | السلع | |
| | | | | | | | شرجه | مطبخي | | | | | مقومات |
| | | | | | | | شرجه | ٩٠ للبرميل | | | | هوامير | |
| | | | | | | | شرجه | — | | | | مبهمات خشب | |
| | | | | | | | شرجه | — | | | | قرمزيه | |
| | | | | | | | شرجه | — | | | | جوز الهند | |
| | | | | | | | شرجه | — | | | | حلويات | |
| | | | | | | | شرجه | ٤٥ للبرميل | | | | من البندقية | |
| | | | | | | | شرجه | — | | | | بوصيري | |
| | | | | | | | شرجه | ٩٠ للصندوق | | | | مرجان | |
| | | | | | | | — | — | | | | حبال | |
| | | | | | | | — | ٤٥ للبرميل | | | | منكاكين شمعية | |
| | | | | | | | — | ٢٠ للبرميل | | | | بوتقات لصاغة | |
| | | | | | | | — | ٩٠ للصندوق | | | | حل من الزجاج والسكر يتعال | |

| عندما تخرج السلع من المدن الموصلة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية | | | | | | عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموصلة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلي | | | | | | السلع |
|--------------------------------------------------------------------------------------------|-------|-------|------------|-------|-------------|-------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------|----------------------|------------|-------|-------------|-------|
| السويس | دمياط | رشيد | الاسكندرية | بولاق | مصر العتيقة | السويس | دمياط | رشيد | الاسكندرية | بولاق | مصر العتيقة | |
| | | مدينى | | | | | | مدينى | | | | |
| | | | | | | | ٩٠ للصندوق | | | | | |
| | | | | | | | ٦٪ | ٣٠ للبرميل الكبير | | | | |
| | | | | | | | ١٨ م لكل ١٠٠ رطل | ٤٥ للباله | | | | |
| | | | | | | | ١٩ م للزواج | | | | | |
| | | | | | | | ٦٪ | | | | | |
| | | | | | | | ٤٨ م للقفه | ٨٠-٤٣ للباله | | | | |
| | | | | | | | شرحته | | | | | |
| | | | | | | | شرحته | | | | | |
| | | | | | | | ٤٠ م لكل | | | | | |
| | | | | | | | ١٠٨ رطل | | | | | |

حراير
مناقيخ
كبريت
أحمدية
تبغ وورد سوريا
و تركيا
أكياس نشوق
فتتاز
نور هندى

| عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية | | | | | | | عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلي | | | | | | | السلع |
|--------------------------------------------------------------------------------------------|-------|-------|------------|-------|-------------|--------|-------------------------------------------------------------------------------------------|------|------------|-------|-------------|--|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------|
| السويس | دمياط | رشيد | الاسكندرية | بولاق | مصر العتيقة | السويس | دمياط | رشيد | الاسكندرية | بولاق | مصر العتيقة | | | |
| | | مديني | | | | | | | | | | | مراكب محملة بالأكولات أو حطب الورقود من ٤-٥ من المركب الواحد ٥-٤٠ للجرة ٢٧ للاردب ١٢ مديني للواحدة ٣٠ للحمولة واحدة من كل عشرة | |
| | | | | | | | | | | | | | | |
| | | | | | | | | | | | | | | |
| | | | | | | | | | | | | | | |
| | | | | | | | | | | | | | | |
| | | | | | | | | | | | | | | |
| | | | | | | | | | | | | | | |
| | | | | | | | | | | | | | | |
| | | | | | | | | | | | | | | |
| | | | | | | | | | | | | | | |

خشب من الصمغ
طواق بيضاء

| عندما تخرج السلع من المدن الموصحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية | | | | | | عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموصحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلي | | | | | | السلع |
|--------------------------------------------------------------------------------------------|-------|---------------|------------|-------|--------------|-------------------------------------------------------------------------------------------|-------|---------------|------------|-------|--------------|-----------------------------|
| السويس | دمياط | رشيد مديني | الاسكندرية | بولاق | مصر المتبقية | السويس | دمياط | رشيد مديني | الاسكندرية | بولاق | مصر المتبقية | |
| - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | الرقعة المحبرة من صنع الخلة |
| - | - | - | - | - | - | - | - | ١٠ | - | - | ٢٦ | دقيق |
| - | - | - | - | - | - | - | - | للأردب | - | - | ٢٧ | فول |
| - | - | - | - | - | - | - | - | ٩٠ | - | - | ٣٣٠ | فراء من الجلد |
| - | - | - | - | - | - | - | - | للأردب | - | - | ١١ | فوط وارد دمياط |
| - | - | - | - | - | - | - | - | ٢٠ | - | - | ٤٠ | جبن |
| - | - | - | - | - | - | - | - | للطرده | - | - | ٢٤٠ | حفظه نابتة |
| - | - | - | - | - | - | - | - | للطرده | - | - | ٢٤٠ | فواكه من الفسيوم |
| - | - | - | - | - | - | - | - | للطرده | - | - | ٢٤٠ | |
| - | - | - | - | - | - | - | - | للطرده | - | - | ٢٤٠ | |
| - | - | - | - | - | - | - | - | للطرده | - | - | ٢٤٠ | |

| عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون خصمة الاستهلاك داخل مصر فانها تخضع للرسوم التالية | | | | | | عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فانها تخضع للرسوم التالية | | | | | | |
|-------------------------------------------------------------------------------------------|-------|---------------------|------------|-------|-------------|----------------------------------------------------------------------------------|-------------------|----------|------------|-------------|----------------------------------------------------------------|-------|
| السويس | دمياط | رشيد | الاسكندرية | بولاق | مصر العتيقة | السويس | دمياط | رشيد | الاسكندرية | بولاق | مصر العتيقة | السلع |
| - | - | مديني | - | - | - | - | - | مديني | - | - | - | |
| - | - | ٩٠ البنا ٢ الدقة | - | - | - | - | ١ | ٢٠ البنا | - | - | - | |
| - | - | ٤٥ البنا | - | - | - | - | شرح | - | - | الأردب | ٥ م القنطار ٤٠ م الجولة ١٢ م الحصرة | ١ |
| - | - | ١ للتعطية | - | - | - | - | شرح ٤٥ م البنا | - | - | ١٠ م الأردب | ١٥ م الأردب ٢٢ م القنطار ٢٠ لى ٢٧٠ م البنا ٤ م الأردب | |

ولكى تصبح الفكرة التي نقدمها من تجارة مصر تامة ، كان لزاما علينا ان نقدم فى جدول اخير الارقام الدقيقة لعوائد الجمارك ، بالاضافة الى قيمة وحجم وطبيعة الواردات والصادرات التي تمت هناك خلال الاثنى عشر عاما التي سبقت وصولنا الى هذه البلاد ، وان كان المديرون الفرنسيون الذين عيناهم فى كل ديوان عقب وصولنا ، لم يقدموا لنا بشكل يبعث على الرضا ، ما طالبناهم به من بيانات مستخلصة من السجلات التي كانت توضح دخول وخروج السلع خلال هذه الحقبة من الزمن . وقد اخبرنا المدير الفرنسى لجمرك الاسكندرية ان مراقبى الصحة قد احرقوا اوراق سلفه واوراق الجمرك كله لان سلفه هذا قد مات اثر اصابته بالطاعون . اما مديرا جمركى دمياط والسويس فقد سلما الينا بيانين لا يشيران مطلقا الى قيمة او طبيعة او حجم السلع الموردة او المصدرة ، وان كنا نستطيع استنادا اليهما ان نتعرف فقط على حصيلة الرسوم التي حققتها هذان الجمركان منذ العام ١٢٠٦ وحتى العام ١٢١٢ من الهجرة اى العام السادس من قيام الجمهورية الفرنسية (١٧٩٧) ، وبيان هذه الحصيلة كما يلى :

| السنة الهجرية | دمياط | | السويس | |
|------------------|-------------|------------|-------------|-------------|
| | واردات | صادرات | إجمالي | واردات |
| | مدينى | مدينى | مدينى | مدينى |
| ١٢٠١ | ٨,٤٢٧,٩٠٧ | ٥٣٢,٠٠٣ | ٨,٩٥٩,٩١٠ | ٤١,٦٥٧,٥٢٧ |
| ١٢٠٢ | ٨,٩٠٧,٥٤٠ | ٨٤٥,٢٤٤ | ٩,٧٥٢,٧٨٤ | ٤٣,٣٧٥,٩٤٣ |
| ١٢٠٣ | ٨,٠٠٦,٩٢٠ | ٦٨٨,٧٢١ | ٨,٦٩٥,٦٤١ | ٥٠,٠٩٦,٦٨٢ |
| ١٢٠٤ | ٧,٣٨٣,٠٨٥ | ١,٣٠٩,١١٣ | ٨,٦٩٢,١٩٨ | ٢٨,٤٨٤,٣٥٨ |
| ١٢٠٥ | — | — | — | ٣٥,١٧٦,٨٩٩ |
| ١٢٠٦ | ١٠,٧٥٨,٩٨٤ | ٣,٠٢٤,١٠١ | ١٣,٧٨٣,٠٨٥ | ٣٩,٥٢٦,٤٩٢ |
| ١٢٠٧ | ١٢,٠٢٨,١٧٧ | ٤٦٦,٣٠٢ | ١٢,٤٩٤,٤٧٩ | ٤٣,٧٨٣,٢٩٢ |
| ١٢٠٨ | ٩,٦٣٥,٤٠٥ | ٣١٢,٨٨٢ | ٩,٩٤٨,٢٨٧ | ٢٧,٣٥٧,٢٨٦ |
| ١٢٠٩ | ١١,٨٩٥,١٠٨ | ٨٣,٦٨٨ | ١١,٩٧٨,٧٩٦ | ١٧,٢٥٤,٩٨٥ |
| ١٢١٠ | ١٣,٨٠٢,٧٤٥ | ٨٧٣,٣١٧ | ١٤,٦٧٦,٠٦٢ | ٤٤,٣١٠,٨٥٨ |
| ١٢١١ | ١٤,٦٢٣,٧٢٨ | ٢,٠٣١,٤٥٦ | ١٦,٦٦٥,١٨٤ | ٣٦,٥٩٤,٦١٢ |
| ١٢١٢ | ١٠,٧٣٧,٤٨٨ | ٦٤٥,٢٣٢ | ١١,٣٨٢,٧٢٠ | ٣٤,٤٩٥,٥٧٥ |
| | ١١٦,٢١٧,٠٨٧ | ١٠,٨١٢,٠٥٩ | ١٢٧,٠٢٩,١٤٦ | ٤٤٢,١١٤,٥٠٩ |
| المتوسط السنى | ١٠,٥٦٥,١٩٠ | ٩٨٢,٩١٤ | ١١,٥٤٨,١٠٤ | ٣٦,٨٤٢,٨٧٦ |

ملاحظات :

(١) لم تحقق السنة الثمينة ١٢٠٥ من الهجرة أى عائد فى دمياط لأنها واحدة من السنوات التى اكتشف المحاسبون المصريون أنهم يفقدونها كل ٣٣ سنة لأنهم لا يقدرّون الضرائب إلا بحساب السنوات الشمسية . ومع ذلك فلم تكن أى من هذه السنوات القمريه الاثنى عشرة فيما يختص بجمرك السويس هى تلك التى تفقدها الادارة التركيه للجمرك كل ٣٣ عاما بالمثل .

(٢) اذا كان الممالك يجنون فى السنوات الاخيرة ستة ملايين من التزام الجمارك ، كما أكد لنا البعض ذلك ، فلا بد أن رجال الجمارك كانوا يرتكبون الكثير من المظالم ، إذ أن حصيلة الرسوم المسجلة ، وفقا لما لدينا من بيانات ، لم تتجاوز أكثر من ثلاثة ملايين .

٤٨٣٩٠ر٩٨٠ مدينى
وتساوى معا ٤٨٣٩٠ر٩٨٠ مدينى
ويزعم تجار القاهرة أن حصيلة جمرك الاسكندرية
هى نفسها تقريبا نفس حصيلة جمرك دمياط ، واذا
تبيننا هذا الرأى نجد لدينا
الرسوم المحصلة فى الجمارك بما فيها عوائد جمركى
بولاق ومصر العتيقة والتى يقال انها تصل الى
نحو
١٥٠٠٠ر٠٠٠

٧٤٩٣٩ر٠٨٤ فلا تنتج سنويا سوى

١٨ ر ٣٥٣ر٣٦٤(١) تعادل بالجنيهات الطورية

وبالفرنكات
٩٠ ر ٧١٩ر٢٦١ **ثانيا - رسوم متفرقة**

اما الرسوم الأخرى التى أنشأها السلطان سليمان ، نهى تلك التى
نوضحها فى الجدول التالى :

البحرين : وهو خاص بأوجاق العزبان والذى

يدفع عنه لخزينة السلطان ميرى قدره ٩٩٢ر٩٦٤(٢)

الخرده : وهو خاص بنفس الأوجاق الذى

يسدد عنه ميرى قدره ١٧٤ر٠٨

رسوم على لبس سنط العنبر والسنامكى وهى

(١) كان المالك فى المدة الأخير يحصلون ضرائب من الجمارك تصل إلى ستة ملايين

- كما ضمنا نحن ذلك لأنفسنا .- وطبقنا لرؤيتنا الخاصة ، فقد كانت الرسوم المدونة لا تصل

إلى ثلاثة ملايين ، وعلى ذلك فقد استخدم موظفى الجمارك نوعا من الابتزاز والضغط

(٢) لكن هذا الأوجاق لم يكن يدفع عن هذا الرسم من مال مسيرى

سوى ٨٠٤ر٩٩٢ مدينى ، لأن الباشا قد استجاب لطلبات هذا الأوجاق

وأعفاه من مبلغ ١٦٠ر٠٠٠ مدينى .

(وكانت هذه ملاحظة وضعت بجوار الأرقام ، وقد حولتها الى هامش

زيادة فى التبسيط .
المترجم)

خاصة بأوجاق الانكشارية الذى يدفع عنها مال ميرى
قـدره ٩٠.١٦٦٦
رسوم على الجزارين فى الاسكندرية وتخص
أوجاق الجاويشية الذى يدفع عنها ميرى قـدره ٤٣ر٢٥٦

اجمالى المال الميرى المقرر على هذه الرسوم ٢٨١٨ر٥٨٨ مدينى

| د | س | |
|------------|----|---------------------|
| ٢ | ١٧ | ١٠٠ر٦٦٣ جنيها توريا |
| وبالفرنكات | ١٤ | ٩٩ر٤٢١ فرنكا فرنسيا |

ومن المفترض ان رسوم البحرين قد وصلت الى القيمة التى وجدناها
عليها عند وصولنا الى مصر ، عن طريق زيادات متتابة . وقد وجدناها
تنقسم الى خمسة فروع : الأول والثانى والثالث وتشتمل على رسوم
الغلال التى تصل الى بولاق ومصر العتيقة ، أما الرابع والخامس
فيشتملان على رسوم على كل المراكب التى تعمل على النيل وفى الثغور
والبحيرات .

وكانت الخردة تحصل على عروض اللهو العمومية والمهرجين
والمشعوذين والعوالم والطبالين وكذلك على الاضحة وعلى كل الصناعات
والتجار فى مدن كثيرة . وهذه الرسوم المضمنة داخل هذا البند والتى كانت
تتضاعف دونما حد فى عهد البكوات لم تكن معروفة على سبيل الحصر
بالنسبة للإدارة الفرنسية ذلك أنه عندما انشئ التزام لهذه الأنشطة لم يوضح
ما كان يحصل منها لسداد الميرى المستحق عنها .

أما الرسوم المقررة على لب السنط والسنامكى فتعطى (لدافعها)
الحق المطلق فى حصد هذين المحصولين وبيعهما . وينمو السنامكى تلقائيا
عند مداخل الصحراء الممتدة الى جنوب أسوان . وكان يعهد بحق جمعه
عادة الى أشخاص يقومون بتداوله كسلعة تجارية . وكانت المراكب
المستخدمة فى نقل هذا العقار الطبى تتمتع ببعض الاعفاءات . وفى
السنوات الأخيرة ، كان ثمة عائلة واحدة من اسنا تتعامل مع ملتزم الحكومة
بخصوص جمع لب السنط ونقله الى القاهرة . وسواء يعود الأمر الى نقص
فى الانتاج أو تم بسبب مضاربات كانت تستهدف رفع سعره فقد أصبحت

شحناته أقل حجما ، ذلك أن مصر كانت تهيىء لاوربا فيما مضى أكثر من الف وخمسمائة قنطار من السنكى فى حين تقلصت صادراتها الحالية منه الى ٨٠٠ أو ١٠٠٠ قنطار فقط . وكان لب السنط يخضع لنفس الاحتكار ، وكان ملاك الأشجار التى تنتجها مضطرين لبيعه للملتزم الذى حصل على حق التزامه من البكوات . وقلما كان يصدر الى العالم المسيحى لب السنط الذى تنتجها مصر ، اذ هو أقل جودة بكثير من ذلك الذى يصلنا من المستعمرات لأنهم فى مصر يجمعونه قبل تمام نضجه ، وتكاد تركيا تستهلك كل انتاجه . وتتكون الرسوم المفروضة على جزارى الاسكندرية والقاهرة من اطراف وجلود ورعوس . . الخ الحيوانات التى تذبح هناك .

وقد أصبحت الحصيلة الموضحة فى الجدول الآتى بيانه مادة للالتزام مشابه للالتزام الذى انشئ للرسوم التى انتهينا من الحديث عنها بمجرد أن أقرها السلطان ، عندما أقر أولئك الذين استحدثوها على دفع ميرى عنها . وسندخل فى بعض التفاصيل حول هذه الرسوم لأن البيانات الواردة بالجدول قد لا تكون كافية للتعريف بها .

| أماكن تحصيله | الميرى المقرر على الملتزمين | |
|----------------|-----------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------|
| فى القاهرة | ١٠ر٤٠٠ | على دمع الذهب والفضة . . |
| » | ١ر٦٢٢ | على مبيعات العبيد السود . . |
| » | ١٢ر٦٨٥ | على الحمامات التركىة الخاصة . . |
| فى بولاق | ١ر٥٠٠ | على صنع ملح النوشادر . . |
| » | ٥ر٠٠٠ | على وكالة الزعفران . . |
| » | ٥٠٠ | على سبعة محلات جزارة لبيع الضأن على وكالة السمك المملح (السردين والفسينخ) |
| » | ٣١٢ | على الصيد فى البحيرة . . |
| فى دمياط | ٤٤ر٧٨٣ | على شيخ الدالين |
| فى رشيد | ١٥ر١٤٣ | على وكالة الباشا |
| فى رشيد | ١ر٠٨٢ | على وكالة البهار |
| فى السويس | ٦٣ر٠٠٥ | على الموقع الذى تصل إليه مراكب النيل |
| المحلة الكبيرة | ١٠٠ | |

| أماكن تحصيله | الميرى المقرر على الملتزمين | |
|-----------------------------|--------------------------------|--------------------|
| | | على وكالات القطن : |
| في بولاق | ١٣٢٣٦ | . . . |
| في دمياط | ٥٠٠ | . . . |
| في رشيد | ١٠٨٢ | . . . |
| | | على وكالات الأرز : |
| في دمياط | ١٨٢٢٢٥ | . . . |
| في رشيد | ١٠٨٢ | . . . |
| د س جت ويعادل ١٥ ١٢,٦٥٢ | ٣٥٤٢٥٨ | . . الإجمالي |
| س ب وبالفرنكات ٩٠ ١٢,٤٩٥ | | |

وكان الرسم المقرر على دمع الذهب والفضة يذهب الى ملتزم يحصل على أتاة تفرض على تصنيع هذين المعدنين ، وكان هذا الملتزم يرسل قطع الذهب والفضة بعد ان يستوثق من انهما بالعيار المطلوب - الى دار سك النقود حيث يختتمها الاغا بخاتم الدمغة الذي في حوزته . وكان الملتزم يجري اختبارا للعمال الذين يريدون احتراف مهنة الصاغة ، ويفرض رسما على من يقبلهم داخل هذه الحرفة . وكانت عوائد هذا الرسم في مدن الاسكندرية ورشيد ودمياط والمنصورة وبلبيس والسويس تدخل في دائرة التزامه ، وكان يحصل هذه العوائد بنفسه في القاهرة حيث كان كل الصاغة فيما مضى يلزمون بالعمل هناك تحت رقابته في وكالة واحدة .

وقد بدأ الصاغة محاولتهم التملص من هذه العادة التي تهدف الى منعهم من تزيف أو تحريف صنف المجوهرات والمصنوعات الذهبية التي يتداولها الناس حين حصلوا على اذن يسمح لهم بالعمل في بيوتهم ، وبعد ذلك بدىء في التفاوض عن تلك الضرورة التي كانت توجب عليهم أن يخضعوا مصنوعاتهم لدار سك النقود ، ومع ذلك فحين أخذ سكان الريف ينفرون من شراء أشياء ذهبية أو فضية غير مضمونة ، فقد التمس الملتزم الاذن له بحمل خاتم دمغة خاص به ، وحين تحقق له ذلك بدأ القوم يقبلون

بكل ثقة — وقد خُدعهم التشابه بين هذه الدمغة وبين الدمغة القديمة — على شراء مجوهرات وحليا طبعت عليها هذه الدمغة ، وهكذا بدأت اشراء تباع باعبارها ذهباً أو فضة خالصين فى حين أن تسعة أعشار سبيكنها مريف ، وهكذا أيضاً بدأنا نرى الملتزم متواطئاً مع الصاغة ليثرى بفعل هذه الخيانة الصارخة .

وبالمثل فقد كان الرسم المقرر على بيع العبيد حكراً على أحد الملتزمين ، فلم يكن بالإمكان بيعهم الا فى وكالة بعينها ، حيث كان وكيل هذا الملتزم يحصل على الرسم مقابل تسليم الحجة اللازمة لتسجيل البيع . وكان من الضرورى ان يوقع الملتزم هذه الحجة التى تبين جنس واسم العبد ، ومكان واسم البائع والمشتري ، وكانت تنتقل الى ايدى من يتناولون شراؤه بعد ذلك ، ثم تسلم الى العبد نفسه عندما يمنح حريته . وكان يكفى اعلان بعنقه يتم فى حضرة شهود ، كى يجعله متمتعاً بكافة الحقوق المنوحة لكل رعايا السلطان ، ولم يكن هناك سوق ولا رسوم بالنسبة للعبيد البيض لأن المماليك الذين لا يتكاثرون الا عن طريق الشراء (*) كانوا يجدون من مصلحتهم أن يسهلوا عملية البيع .

أما رسم حمام الخاصة فيستمد اسمه أصلاً من تلك الكراهية التى سيطرت طيلة الأزمان بين الأتراك وأبناء القاهرة ، لذلك فقد أمر أحد البكوات بانشاء حمام عند سفح القلعة كى يتفادى المشاجرات التى كانت تنشأ بين رجاله وبين المصريين فى الحمامات حيث كان الضوء الذى حتمه القرآن يجذب الى هناك هؤلاء وأولئك . وقد عهد بملكية هذا الحمام الذى بنى لتفادى هذه اللقاءات الى أحد الملتزمين شريطة أن يجعل استخدامه مقصوراً على الأتراك . لكن صيانة هذا الحمام لم تكن تقع على عاتقه .

وكانت . . . ٥٠٠ مدينى يدفعها للخزينة ملتزم ملح النوشادر تكفى لمنحه امتيازاً تاماً بصنع هذه المادة وبيعها ، وفيما مضى كانت توجد عدة مصانع مشابهة فى مصر السفلى ، لكن الامتياز الذى منح لمصنع بولاق قد السفى وجودها .

(*) تذكر بعض دراسات فى وصف مصر أن جو مصر لم يكن مناسباً لهؤلاء ، مما كان يترتب عليه أنهم لا ينجبون أو أن تموت الغالبية العظمى من ذريتهم . انظر المجلد الاول من الترجمة العربية ، الفصل الخاص بالماليك .
(المترجم)

أما زعفران مصر العليا القادم الى القاهرة ، فلم يكن بالمستطاع أيداعه الا فى وكالة تسمى وكالة الزعفران ، وتقع فى بولاق ، وكان يباع هناك بعد أن يجبى مالها الرسوم المقررة عليه والتي كانت تجعل من حقه تلك الالاف الخمسة من المدينى ، التي كان يسددها للخزينة .
وكان الميرى المقرر على محلات الجزارة السبع ، لبيع الضأن يمنح أصحابها الحق فى بيع هذه السلعة الغذائية ببولاق بدون منافسة .

وتصل الى بولاق كمية هائلة من السمك الملح القادم من دمياط . ويتمتع صاحب الوكالة التي ينبغى أن يباع فيها ، بعد دفعه ميرى يبلغ متوسطه ٣١٢ مدينى يسدده للخزينة بحق تحصيل بعض رسوم بسيطة يدفعها اليه تجار السمك .
أما الصيد فى بحيرة دمياط (المنزلة) ، فهو احتكار كامل ، يدفعه الملزم عنه لخزانة السلطان ميرى قدره ٧٨٣ ر { مدينى .
وقد استحدثت فى رشيد ، تقليدا لما هو حادث فى القاهرة ، وظيفة شيخ الدلالين ، ويقوم هذا الرجل بتحصيل رسم على كل السماسرة الذين يقومون ببيع الملابس والبياضات والهلهيل فى الأسواق العامة .

وكانت السلع التي تصل الى رشيد ، والتي كانت نودع فى وكالة الباشا ، تخضع لدفع رسم يسمى رسم اقامة لصالح ملتزم هذه المنشأة .
أما السلع التي كانت تصل الى السويس فلم يكن بالمستطاع تخزينها الا فى وكالة البحار حتى تقوم القوافل بنقلها الى القاهرة ، ومقابل هذا التخزين ، كان يتم تحصيل رسم لحساب الباشا ، على يد كاتب يرسله اليه السويس للتعرف على أحجام الواردات ، وهذا الرسم مستقل عن المحسروانات الجمركية .

وتخضع المراكب التي تقوم بالملاحة النيلية والتي تصل الى المحطة الكبيرة لدفع رسم بسيط لصالح الملزم الذي يدفع عن ذلك مبلغ الـ ١٠٠ مدينى المقرر كمال ميرى مقرر (على حصيلة هذا الرسم) .

وينطبق ما قلناه عن وكالة الزعفران ببولاق على وكالات القطن والارز الواقعة ببولاق ودمياط ورشيد . ولم يكن بمقدور هذه السلع أن تودع وأن تباع الا فى هذه المخازن حيث كان الملزمون الذين يقومون بدفع الميرى المقرر والمبين (بالجدول) يحصلون على رسوم ايجار أو اقامة أنشئت لصالحهم .

وعادة ما كانت الجمارك (الصغرى) والرسوم المتفرقة الاخرى التى انتهينا من تناولها والتي انشأها السلطان سليمان ، أو تلك التى أدخلها خلفاؤه توكل الى أفراد كانوا هم ملتزميها . وحيث أن الباشا والواجقات الذين كانت هذه الرسوم قد فرضت فى الأصل لصالحهم قد بدأوا يفقدونها على التوالى ، رسما بعد آخر ، بسبب تزايد سطوه البكوات ، فقد باتت هذه الرسوم غنيمة للمماليك الذين كانت لهم القوة والنفوذ والاعتبار ، ومع ذلك فان هؤلاء المماليك ، على ما يبدو ، لم يغيروا من اغراض تلك الرسوم أو اهدافها ، لأن هؤلاء حين شغلوا الرتب العليا فى كل اوجاق لم يخصصوا أنفسهم بتلك العوائد التى آلت اليهم الا باعتبارهم قد خلفوا الذين كانوا يشغلونها قبلهم ، وبخضوعهم كذلك لدفع الميرى (المقدر على حصيلة هذه الرسوم) .

وكانت توجد بالاضافة الى هذه الرسوم ، رسوم اخرى لم تكن تخضع لدفع الميرى ، وليست لها أية صلة بخزانة السلطان ، ومع ذلك فحيث كانت تشكل فيما يبدو جزءا من رواتب البكوات وآخرين من قادة المناطق ، وهم الذين انشأوها ، وحيث اعتاد الناس على سدادها ، فقد وضعها الفرنسيون فى مرتبة الرسوم التى انشأها أو أقرها السلطان ، وواصلوا تحصيلها ، وسنوضحها فى الجدول التالى : ولقد كانت لهذه الرسوم نفس طبيعة الرسوم التى تخضع لدفع الميرى . ولم يكن هناك فرق بين هذه وتلك الا فى أن الأخيرة كان قد أقرها السلطان ، فى حين لم تكن تنقص الأخرى سوى موافقته .

وسنقدم بعض التفاصيل حول الرسوم التى لا تتيسر معرفتها على النحو الكافى فى البيانات الموضحة بالجدول .

| بيان الرسوم | الأماكن التى تحصل فيها |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------|
| رسم قاصر على بيع الملح ، . . . رسوم تسمى رسوم الاسكاليات وتفرض على السلع التى تصل فى مراكب قادمة من القرى الواقعة على شواطئ الفرع الشرقى للنيل فى مصر السفلى؛ رسوم سبك الفضة : | فى بولاق . » فى القاهرة » » » |
| » على سوق الأغنام ودواب الحمل . » على دباغة الجلود وتبيض الأقمشة . » على نقش الأقمشة البلدية . | |

| الأماكن التي تحصل فيها | بيان الرسوم |
|--------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------|
| في الطرانة بولاية البحيرة | رسوم على احتكار يقنصر على النطرون • على الصيد : |
| في القاهرة وبولاق ومصر العتيقة في الإسكندرية في رشيد | • في النيل . . . • في بحيرة الماء السدية • في البوغاز . . . |
| في القاهرة والإسكندرية ودمياط والمحلة الكبيرة في دمياط ورشيد | • على صنع وبيع المشروبات الروحية . • تسمى السردارية والجاويشية أو رسوم الحاكم |
| في رشيد ودمياط والمحلة الكبيرة وسمنود والمنصورة | • الحملة أو رسوم على الأسواق . . . |
| الإسكندرية ، رشيد ، المحلة الكبيرة | • احتساب أو رسوم على السلع الغذائية الداخلة إلى |
| باب الشعرية ، وهي سوق القاهرة ، الإسكندرية ، ودمياط ، رشيد | • على الجبوب التي تدخل إلى المدن الموضحة لكي تباع هناك . . . |
| | • تسمى إيجار أو إقامة وتقرر على السلع الموضحة وتحصل في الوكالات المسماة : |
| في القاهرة | • الصابون وبذور النيلة |
| في بولاق | • السكر |
| » | • الأرز |
| » | • النيلة |
| » | • بذور البرسيم والكتان والزعفران . . . |
| في دمياط | • تقاوى هذه المحاصيل • زيت الكتان |
| » | • البلح الجاف (التمر) |
| في بولاق ودمياط والمنصورة | • تحصل عند دخول القطن . . . |
| في المحلة الكبيرة | • على خروج الأقمشة المصنوعة • على الجبوب والكتنا كيت التي أفرخت في المعامل |

ولا يصنع الملح الا على سواحل مصر السفلى وبخاصة فى رشيد . وكان الفلاحون الذين يلتقطونه ملتزمون بسليمه بسعر محدد الى ملتزم عينته الحكومة ، كان هو — صاحب الامتياز الوحيد فى توزيعه فى بولاق بسعر اعلى ، لكنه محدد بالمثل . وقد الحقت بهذا الامتياز رسوم لم يكن هناك حد لزيادتها على المأكولات والاعلاف والمواشى والفواكه . . الخ الى تباع فى اسواق عدد كبير من القرى . وليس لدينا ما يفسر هذا الخلط والتعقيد فى سياسة فرض الرسوم ، و يعتقد البعض ان احتكار الملح كان يدخل فيما مضى ضمن الخردة ، وان الزيادات المستجدة التى الحقت بهذا الرسم (الخردة) هى التى جعلته هائلا لهذا الحد ، وعندما تم تقسيم هذا الرسم بين اثنين من المالك الاقوياء فان الذى جاء احتكار الملح منهما ضمن نصيبه ، لم يعد ملزما بدفع الميرى .

وكان يتم تجهيز الذهب والفضة المخصصين لعمال التطريز وغيرها من الأشغال ، فى مكان يتوفر به كل ما هو ضرورى لذلك ، ويدفع الصانع الذى يشتغل فيهما للملتزم رسما يعرف باسم كحل الفضة . أما الرسوم التى تفرض على سن الفيل وأصداف الحلى وقرون الكركدن الخ فكانت تحمل نفس هذا الاسم دون أن ندرك ما الذى يجمع بين أشياء كهذه لا تربطها فيما بينها أية رابطة .

ويؤخذ النطرون من البحيرات التابعة لقرية الطرانة ، ويدفع الفلاحون الضرائب المقررة عليهم (عينا) من هذا الملح ، وهم بذلك يزودون الملتزم بدخل اكيد ، اذ ان كل قرى مصر السفلى كانت ملزمة بشراء كمية محددة منه سنويا وبسعر محدد . ومنذ بضع سنوات ، حين أصبحت فرنسا وايطاليا وانجلترا تتزود بالنطرون من مصر ، أعطى البك الملتزم التزام تحصيل رسم النطرون الى المسيو روزتى Rosetti التاجر البندقى الذى توسع فى استغلال النطرون بدرجة هائلة ، والذى كان يبيعه فى أسواق التجارة الخارجية بسعر أدنى من السعر الذى يفرضه على أبناء البلاد وينظر الى النطرون فى مصر ، باعتباره مادة ذات ضرورة أولية ، بسبب استخدامه فى تبييض الكتان والأقمشة .

ولم تكن المشروبات الروحية والمسكرة عموما تصنع الا فى بيوت الأقباط واليهود ، ولم يكن بوسع الحكومة أن تبيع تداولها اذ يحرم القرآن

تناولها على المسلمين ، لكن اغا الانكشارية ، بعد ان حصل على اتاوات هائلة ، لم يكن ليخشى على الاطلاق ان ينتهك شريعة النبي ، وبدأ يتغاضى عن بيعها داخل حانات غير ظاهرة .

وقد يستحيل علينا ان نجد ضربا من ضروب الصناعة او التجارة يعفى من رسوم مشابهة او مماثلة لتلك التي انتهينا من التعريف بها . وكان الملتزمون والبكوات والسردارات والاغوات حكام المواقع يضاعفون من هذه الرسوم فى المناطق التي تخضع لسلطتهم ما ان يجدوا الفرصة سائحة لذلك . من هنا كان هذا التعقيد المحير والذي لا يدع لنا الوسيلة الواضحة لتبين الاعباء التي اثقل بها هؤلاء واولئك كاهل المصريين . وكانت الرسوم التي يفرضها الملتزمون على مواد الاستهلاك فى قراهم ضئيلة الأهمية، وتعرف باسم حملة . وعلى العموم فلقد كانت تكبل التاجر والزارع فى كل خطوة يخطوها اتاوات وضرائب باهظة . لكن الفرنسيين لم يجبوا الا تلك الضرائب التي انتهينا من بيانها ، فلقد أهملوا تحصيل العدد الاكبر من الرسوم اما لانها لم تكن معروفة لنا على الاطلاق ، واما لاننا وجدناها استبدادية تجاوزت كل حد مفترض ، وبالمثل فقد عدلوا عن تحصيل رسم الحملة فى كل القرى التي اصعب الفرنسيون ملتزمين بها .

الفصل الرابع

الضرائب على الأشخاص

يخضع رعايا السلطان من غير المسلمين لضريبة شخصية تسمى الخراج (الجزية) طبقا لنص وارد فى القرآن ، يخضع لهذه الضريبة سكان البلاد التي تخضع لاتباع محمد ، حين لا يعتنق هؤلاء الدين الاسلامى . وهناك تقدير بأن ضريبة الخراج كانت مفروضة على ٩٠.٠٠٠ (تسعين الف) نفس ، ويقوم بجبايتها اغا ترسله القسطنطينية كل عام . وكان يصل الى مصر ومعه عدد مماثل من الحوالات او صكوك السداد ، مؤشرا عليها بالأحرف الاولى ومسجلة ومدموغة فى وزارة المالية ، وعليها ختمه وختم اثنين من الشهود يصحبه كمساعدين له . وكانت هذه الصكوك تجدد كل عام ، وتكون ألوانها على التماثل حمراء ، او بيضاء ، او صفراء ، وقد صممت هذه البطاقات بحيث تكون :

٩٠.٠٠ بوطاقة منها مخصصة للطبقة المنفية .

و ١٨٠٠٠ رباطة منها لحدودى الدخل ؛
و ٦٣٠٠٠ رباطة منها للمعوزين .

ويقوم الاغا بتسلم هذه الصكوك الى المولين بعد ان يسجل اسماءهم
وبياناتهم ، محصلا ٥٥٣ مدينى عن كل واحد من الطبقة الاولى ، و ٢٨٣ مدينى
عن الواحد من الطبقة الثانية ، و ١٤٣ عن الفرد الواحد من الطبقة الاخيرة .
لكن اللوائح لم تكن تلزمه ان يسدد من هذه الضريبة ، طبقا لعادة روعيت
فيها مصالحه ، وتبعاً لهذا المعدل ، سوى : ٤٤٠ مدينى ، ٢٢٠ مدينى ، و ١١٠
مدينى (على التوالى) .

وكانت صكوك السداد تبقى بأيدى المولين من الاقباط واليهود ، وكانت
تشكل بالنسبة لهم وعلى نحو ما نوعاً من الحماية ، فلم يكن لهم اى حق فى
حماية السلطان اذا ما اهلوا الاحتفاظ بها .

وعندما كان يتم تحصيلها ، كان الاغا يتولى تنظيم حساباته مع
الروزنامجى . وكانت الـ ٩٠٠٠٠ حوالة او صك تحسب طبقاً للمبالغ
التي كان من المقرر ان تعود بها بحسب معدلاتها المبدئية (١) . وكان يستنزل
من هذه الحوالات :

١ — الحوالات التي لم يتم استخدامها .

٢ — مصروفات وراتب ائندى الجوالى المكلف بالتحصيل .

٣ — المعاشات التي يحددها السلطان خصماً من حصلة الخراج
وتبلغ ١٦ كيساً مصرياً او ٤٠٠٠٠٠ مدينى .

وبعد ذلك يسدد الاغا الميرى المقرر على وظيفته وقدره ٢٥٠٩٠٨١ رباطة

د س

مدينى تساوى ٩ ٨٩٦١٠ جنيتها تورياً او ٧٥ ٨٨٥٠٣ فرنكاً .

| | | | | | |
|-------|-------|-----|-------|---------|-------|
| ٩٠٠٠ | بواقع | ٤٤٠ | مدينى | ٣٩٦٠٠٠٠ | مدينى |
| ١٨٠٠٠ | بواقع | ٢٢٠ | مدينى | ٣٩٦٠٠٠٠ | مدينى |
| ٦٣٠٠٠ | بواقع | ١١٠ | مدينى | ٦٩٣٠٠٠٠ | مدينى |

الاجمالى ١٤٨٥٠٠٠٠ مدينى

وقد يدفع هذا الميرى على الاعتقاد بأنه كان يستقى الفائض لصالحه إذا ما بلغت الحصيدلة لحد أعلى من المقرر لها ، ومع ذلك فمن الثابت أنه لم تكن له أى مكاسب الا رسم العادة الذى قدمنا تفاصيله من قبل ، كما أن المبالغ التى كانت تتجاوز الأرصدة التى تمنصها مصروفات النحصيل وكذا المعاشات والميرى ، كانت تضاف الى الخزنة التى ترسل الى السلطان .

وعادة ما كان الاغا يعطى التزام نحصيل الخراج المقرر على اقباط ويهود مصر العليا الى البك حاكم جرجا ، دون أن يسلمه الحصاة المحددة من الحوالات التى كان يحملها ، لكن اقباط ويهود هذه المنطقة كانوا يحصلون من هذا البك على حوالات خاصة لها نفس الثمن ونفس الفاعلية اللتين كانتا لتلك التى يوزعها الاغا . وكان الأخير ، حين يحتسب قيمه هذه الحوالات التى احتفظ بها لنفسه ، عند تقديمه الحساب الى الروزنامجى ، يتمكن من زيادة دخوله بشكل هائل عن طريق عملية التدليس هذه .

وكان عدد الحوالات التى ترد عن الباب العالى يتخذ أساسا لتقدير عدد الشعب القبطى على نحو تقريبي (١) دون أن يدخل فى ذلك ما انتهينا من قوله عن مصر العليا وعن الاعفاءات التى كانت تمنح بسهولة بالغة لاي واحد من الأقباط أو اليهود التحق بخدمة المسلمين وقناصل الدول الاوربية . ومن الضرورى بخلاف ذلك أن نلاحظ أن النساء والأطفال ، الذين تقدر أعمارهم بأقل من ١٢ عاما ، لم يكونوا خاضعين لهذه الضريبة . وكانت غيبة سجلات خاصة بالمواليد تؤدى لأن يتم تقدير أعمارهم عن طريق قياس قامتهم (٢) .

ولم ندخل فى عداد الضرائب التى تجبى لصالح السلطان رسما يسمى بيت المال ، كان يتشكل من اجمالى تركبات رعايا السلطان ، اقباطا كانوا أم يهودا أو مسلمين ، حين يموتون دون أن يتركوا وريثة ، ذلك لأن هذا الرسم لم يكن يفسح مكانا لاي ميرى ، وفيما مضى ، كانت حصيلة هذا الرسم ترسل

(١) لن نتحدث عن يهود أو اروام سوريا والارخبيل بسبب ضآلة عددهم ، كذلك لن نتناول الافرنج لأنهم لم يكونوا خاضعين لهذه الضريبة .

(٢) كان مع المحصل جبل صغير بطول قامة طفل أقل من ١٢ سنة . وكان كل وأولئك الأطفال الذين تتجاوز رعوسهم طول هذا الجبل يدخلون فى عداد المولدين .

الى القسطنطينية حيث لا يستطيع السلطان ان يستخدمها الا قى اغراض الدفاع عن الاسلام . وقد نص القرآن على تحصيل هذا الرسم وبين طريقة استخدامه . اما فى الأزمنة الأخيرة ، فكان البكوات يأمرؤن بجبايتها دون مبالاة بالبأب العالى ، فما أن كان يموت أحد السكان المؤسرين بعض الشئ حتى يسارعوا بوضع مسمار ضخم على باب بيت المتوفى بغض النظر عما ان كان له أو ليس له ورتة ، وفى الحالة الثانية كانت تؤل السهم كل تركته ، أما فى الحالة الأولى فكانوا يفرضون مبلغا كبيرا من المال مقابل رفع هذه الحراسة (القضائية) .

الفصل الخامس

موجز بدخول السلطان

لم تكن مبادئ الإدارة العثمانية ، التى هى مختلفة عما لدينا ، والتى كانت تجلب لصناديق الخزانة العامة اجمالى دخول الدولة ، لتسوق الى هذه الخزانة الا الاموال التى تخصص اما لانفاقات بعينها ، واما للتوفير ، ويبدو ان عملية الجباية ، وهى التى كانت تترك لوكلاء السلطة وأصحاب الاقطاعيات (الملتزمين) ، لم تكن لتشغل الحاكم الا بخصوص ما يطلبه هو من هؤلاء التابعين له ، أما ما يتبقى معهم بعد الوفاء بمال السلطان وبعد تغطية الانفاقات التى كان يضعها على عاتقهم ، فكان يترك كله لصالحهم الخاص . وعلى هذا ، فاننا عند قيامنا باجراء مطابقة لمختلف الجداول التى قدمناها لكى نتبين اجمالى حصيلة الضرائب التى تجبى من مصر ، تبين لنا ان دخول السلطان لم تكن تشتمل الا على عوائد الميرى ، ويتكون على النحو التالى :

| بالقرنك | بالجنيه الثوري | بالدينى | |
|------------|----------------|------------|-----------|
| ٢٨٣٨٠٩٧ ٦٣ | ٢٨٧٣٥٧٣ ١٧ ١ | ٨٠٠٤٦٠٠٦٨ | ٨٠٠١٧٢٨٩٠ |
| ٣٨٣٠٤٤٨ ٧٩ | ٣٨٨٦٢٤١ ١٧ ١٠ | ١٠٠٨٧٠٠٧٧٣ | ٤٤٢٠١٧٨ |
| ٨٠٤٠٦٤٩ ٣١ | ٨١٤٠٧٠٧ ٦ ٥ | ٢٢٢٨١١٢٨٠٥ | ... |
| ٨٨٥٠٣ ٧٤ | ٨٩٠٦١٠ — ٩ | ٢٥٥٠٩٠٨١ | ... |
| ١٤٠٦٩٩٤٧ | ٤٠٦٦٠١٣٣ ٢ ١ | ١١٦٦٥١٧٢٧ | ... |

عن الميرى المقر على الاطيان :

القرى
الارواقف

عن الميرى المقر على الوظائف
عن الميرى المقر على الصناعة والتجارة

من الجبارك
من رسوم أنشأها السلطان

من رسوم لم ينشئها ولكنه أقرها

عن الميرى المقر على الأشخاص

الإجمالي

ومهما يكن شأن فائض الضرائب العامة ، فحيث كان يتم تحصيلها لحساب البكوات والشخصيات الأخرى ، الذين يفترض أن السلطان قد خصصها لهم ، فإن هذه الحصيلة لم تكن لتنشئ الإدارات و تنظيمات خصوصية .

ويقودنا هذا التوضيح ، الذى يفصل بطريقة محددة بين دخول السلطان ، وعوائد الملاك وحكام المناطق ، الذين يعهدون بجبايتها وإدارتها الى مباشرين أقباط ، والذى بدونه ، لن نجد فى حوزتنا سوى خليط مضطرب ومشوش عن الإدارة المصرية ، يقودنا الى بعض التفاصيل حول وظائف الروزنامجى ، وهو الجابى العمومى لأموال السلطان ، وكذلك حول وظائف الأفندية الموكابين بالجباية .

كان الروزنامجى يعين من قبل الباشا بترشيح من الديوان ، وكان يختار من بين الروزنامة ، أى هيئة الأفندية التى أدخلها فى مصر السلطان سليمان لإدارة مالية الباب (العالى) . وكان يصب فى صندوقه المال الميرى المقرر على الأراضى وعلى الوظائف وعلى الصناعة والتجارة عن طريق الإبداعات التى كان يضعها المتزموون وحكام المواقع بين يديه ، أما الضرائب على الأشخاص فكانت تصل حصيلتها الى خزينته عن طريق الأغا الموكل بجباية هذه الضريبة بصفة خاصة . وكانت عمليات الروزنامجى تدار بمقتضى لوائح توزع مختلف فروع اختصاصه على أفندية تابعين له .

وقد سبق لنا أن سمينا وظائف أهم هؤلاء ، مثل أفندى الشرقية ، وأفندى الغربية ، وأفندى الشهر وأفندى الغلال السخ كما سبق أن بينا بالتفصيل مختلف الوظائف ومختلف الرسوم التى كانت تخضع لدفع المال الميرى والتى دونت فى سجل يمسكه أفندى يسمى حلفا . ولم يكن المتزموون الجدد ، عند كل عملية نقل حيازة (بالشراء أو الارث) يحصلون على حق التمتع بالرسوم والعادات التى كان يتمتع بها أسلافهم إلا بعد حصولهم من الباشا على حجة تسمى تذاكر التمكينات ، كان لابد أن يسجلها هذا الموظف ، وكان هؤلاء الأفندية يخطررون الممولين بما عليهم أن يسددوه ، لكنهم لم يكونوا يحصلون شيئا بأنفسهم ، وكان عملهم يقتصر على تسليم مخالصة للممولين توضح أنهم قد دفعوا للروزنامجى المبرى المقرر عليهم . وكانت أخطارات الدفع الموجهة الى المتزموين تبين اجمالى الضرائب المقررة عليهم ، لكن الروزنامجى لم يكن

ليقر هذه الاخطارات الا بعد أن يقوم بمطابقتها ، اذ كان من الضروري أن تنطبق بيانات هذه الاخطارات مع السجل العام للملكيات والرسوم الخاضعه للميرى ، وهو السجل الذى يمسكه الباشا حلفا ، اى الموظف الاول لدى الروزنامجى ، اذ أن الدفاتر التى كان يستخدمها الأفندية أساسا لنوزيع الضرائب لم تكن سوى أجزاء منسوخة من هذا السجل .

وحيث قد أوضحنا حصيلة الضرائب العمومية التى تؤول الى كل من السلطان والباشا والبكوات والكشاف حكام الولايات والموظفين الآخرين فى الدولة فإنه يدخل فى موضوعنا هنا أن نعرف بالانفاقات العامة التى تقع على عاتق هؤلاء وسنعرض لذلك فى الباب التالى .

الباب الثاني

الانفاقات العامة

الفصل الأول

انفاقات تقع على عاتق السلطان وتدفع خصما من الميرى

سوف نطبق الحصيلات من كل نوع ، والتي بينها فى الموجز الذى قدمناه عن دخول السلطان ، مع الانفاقات المطلوبة .

وسوف نقدم حسبما تسمح لنا المعلومات التى بين ايدينا تفسيرات موجزة او مستفيضة عن اصل وغرض وبنود الانفاقات التى قد لا يتيسر لنا الالمام الكافى بها من مجرد تعدادها .

أولا : رواتب قررها السلطان لوظفين مختلفين ، بالاضافة الى الامتيازات من كل نوع ، والتي كانوا يتمتعون بها :

الى الباحث :

تقاوى البرسيم اللازم لعلف خيوله

فى كوم الأحمر ١٠١٧٠ مدينى

لحم ضأن ١٢٦٨٣٠

خشب ٥٨٥٤

ملح ٣٥٥٩

ارجل ورعوس النخ الثبران والابقار

التي تذبح للجزارة ٩٨٣٥

صابون ٣٧٩٣

جرار (جرة) ١٠١٠

لوكيل هراجه (مدبر اقامنه) ١٥٣٩٦

| | |
|--------|------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ١٦٦٦٦ | إلى الباشا : أطلاق ولاية الجيزة |
| | حبوب يحصل على ثمنها نقدا بشكل منتظم من بينها ٤٣٢٠٠ مدينى تؤخذ من الخزنة ٧٢٣٨٧٥ |
| ٩٠٧٩٨٨ | اجمالي ما يدفع للباشا |
| | الى البكوات : |
| | تقاوى برسيم لعلف الخيول فى الاراضى التي جنبت لهم لهذا الغرض ١٦٢٩٤ |
| | الى أوجاق المتفرقة : |
| | فى ولاية البحيرة ١٠٤٨٥٧ |
| | فى قرية سرنباى خصما على الخزينة ٤٨٤ |
| ١٠٥٣٤١ | الاجمالي |
| ٩٨٦٤٤٤ | الى أوجاق الجاويشية |
| ٣٠٩٠٠٠ | الى الوالى أغا الشرطة بالقاهرة |
| ١٩٤٩٧ | الى أمين الاحتساب |
| | الى الروزنامة او هيئة الأفندية : |
| | الى الروزنامجى والأفندى المحتسب خصما من مشتريات الكتان ٢٨٠٠٠ |
| ٧٤٨٢٥ | الى الكتبة فى مكتب الروزنامجى كجراية من الحنطة والشعير : |
| ٢٧٦٥٠ | للروزنامجى |
| ٢٥٤١٠٤ | للكتبة |
| ٦١١٧٢ | للباش حلفا |
| ١١١٢١ | لأفندى الشرقية |
| ٣٣٣٦٧ | لأفندى الغربية |

| | |
|--------------------------|----------------|
| لأفندى الشهر | ٦٤٤٥٤ |
| لأفندى الغلال | ٣٩٩٩٠ |
| اجمالي الجراية | ٤٩١٨٥٨ |
| اجمالي ما يدفع للروزنامة | ٥٩٤٦٨٣ |

الاجمالي العام للنفقات التي تقع على عاتق السلطان ٢٩٣٩٢٤٧

د س

وهي تعادل ٢ . ٢ ١٠٤٩٧٣ جنيتها توريا

وبالفرنكات ١٤ ١٠٣٦٧٧ فرنكا

وعلى الرغم من أن الراتب المخصص للباشا في مقابل الاستهلاكات المتنوعة التي أوضحنها بالجدول جاء مقدرًا بالمديني ، فإن السلطان كان قد قرر أن تسدد عينا . وكان مدير جمرک بولاق ، وأمين الاحتساب ، وملتزم دمياط ، وهم الموكلون بتوفير السلع التي يتكون منها هذا الراتب ، يحصلون في مقابلها على المبالغ المذكورة ، وعندما كانت قيمة هذه الأشياء تتجاوز المبلغ المعتمد لهذا الغرض كان على الباشا أن يحيطهم علما بذلك ، وكان على بقية الموظفين الذين يحصلون على جراية من الغلال أن يسلكوا نفس هذا السلوك .

وقد سبق لنا القول أن الاطلاق (أو الاشتاق) هي الاراضى المعفاة من كلفة الضرائب ، وانها كانت تخصص لتوفير العليق لخيال الباشا والبكوات . وحيث طلب الملتزمون الذين تدخل اراضى الاطلاق هذه ضمن زمام قراهم أن يضموا هذه الاراضى الى اراضى الوسايا فقد حولوا ذلك مقابل مبلغ سنوى قدره ١٦٦٦٦ مدينى اوردناها بالجدول ، وقد ادخل هذا المبلغ ضمن المال الميرى المقرر على ولاية الجيزة .

وفى العام ١١٧٩ من الهجرة منح السلطان مصنطفى للباشا راتباً اضافياً على نفقة الخزينة ، ويبلغ ١٧٢٨ أردبا من الحبوب تقدر قيمتها بواقع سعر الأردب الواحد ٢٥ مدينى بـ ٤٣٢٠٠ مدينى

واذ كان هذا المبلغ يشكل زيادة على الـ . ٦٨٠٦٧٥

وهى حصته من الميرى العينى المقرر على مصر العليا والذي يقدر بـ ٢٧٢٢٧ رديا بواقع سعر للاردب يعادل نفس السعر السابق ، فان هذا المبلغ يصل باجمالى الدخل الذى كان يتمتع به الباشا الى ٧٢٣ر٨٧٥ مدينى وهو المبلغ الموضح بالجدول .

وحيث قد امر هذا السلطان نفسه ، فى نفس العام ، الا يدفع ثمن مشتاقه الكتان التى ترسل كل عام الى القسطنطينية خصما على ارسدة الخزنة ، فقد اضيف ثمن هذه السلعة المشتراة الى مصروفات الميرى فى مقابل ٧٠٥ر٣٥٠ مدينى . وفى عام ١٢٠٠ من الهجرة ، عندما لاحظ القيطان باشا الذى استحوذ على السلطة المطلقة فى مصر ، ان هذا المبلغ غير كاف ، وان الباشوات كانوا قد ادخلوا عادة ان يستكملوا ثمن هذه السلعة خصما من الخزنة ، فقد اعاد من جديد النظام الذى كان متبعها قبل السلطان مصطفى . اى انه امر بان يخصم ثمن مشتاقه الكتان التى قد يطلبها السلطان من الخزنة اى من الاموال التى ترسل اليه . ولم يدع متبقيا على عائق المال الميرى سوى الـ ٢٨ر٠٠٠ مدينى التى خصصها السلطان للروزنامجى والافندى المحتسب كخصم (تنزيل) يتم لحسابهم من المبالغ التى كانوا يستخدمونها فى القيام بمشتريات من نفس النوع .

ثانياً — مصروفات الجيش

رواتب :

البيكوات ٦٦٦ر٢٤٨
الفرق الظاهرة او الاوجاقات ٢٦ر٢٥٨ر٠٢٦
حاميات القلاع والطوابى ٢٧١٩ر٤٨٧
حاميات قلاع الواحات بالقرب من اسوان ١١٣ر٧٣٠
اجمالى الرواتب ٢٩ر٧٥٧ر٤٩١

المؤن :

البارود ١٠٩ر٧٤٦
الخشب كوقود لافران الخبز ٤ر٤٢٠

الاضساء ر.٠٠٠
اجمالي نفقات المؤن ١١٥١٦٦

وبذا يبلغ اجمالي مجروفات الجيش ٢٩٨٧٢٦٥٧

| د | س |
|-------------|---------------------------|
| وهي تعادل ١ | ١٢ ٠٦٦٨٨٠ ر. جنيتها نوريا |
| وبالفرنكات | ٣١ ٠٥٣٧٠٩ ر. فرنكا |

وكانت اعتمادات الجيش توزع بطريقة يبلغ معها راتب كل جندي في العام الواحد $\frac{1}{4}$ ١٨٢ مديني ، في حين كانت رواتب الضباط تتناسب مع رتبهم ، فكانوا يحصلون على ضعف أو ثلاثة أمثال هذا المبلغ بأقساط قيمة الواحد منها $\frac{1}{2}$ ١٨٢ مديني تسحق الدفع بتفويضات على الخزينة العامة تسمى أوراق الجامكية (أي أوراق مرتبات) . وكان كل واحد من البكوات يحصل على ١٦٦٦ مديني من هذه الاقساط بحيث تبلغ المعاشات التي كانوا يحصلون عليها في الأصل : ٧٢٩٧٠٨٠ مديني . ويؤكد البعض ان مرتبات (جامكية) الاوجاقات كانت تبلغ ٤٠٠٠٠٠ مديني . وكان البكوات والاوجاقات ينظرون الى هذه الجامكية باعتبارها ملكية خاصة وليست رواتب مستحقة لوظائفهم ، وحين قام هؤلاء ببيع أو بالتنازل عن الجزء الاكبر منها فقد انتهى بها الامر أن تحولت الى سندات مستحقة لكل الحائزين لها في حين أصبح من بين ملاكها أطفال ونساء . وان المرء ليجهل لماذا كانت الحكومة والباشا يتسامحون في مثل هذه المبيعات ، وان كان لا يخامرنا شك في أن المثال الذي قدمه كل من سليم وسليمان حينما خصصا أوراق مرتبات (اوجامكية) للصالح المساجد و المنشآت الخيرية ، قد برر فيما يبدو للآخرين أن يسلكوا سلوكا مشابها . ومهما يكن الأمر فان أوراق الجامكية الخاصة بالبكوات والاوجاقات ، والتي كانت لا تزال تباع وقت مجيء الفرنسيين لم تكن تتجاوز المبالغ التي بينها . ومن جهة أخرى فأننا لم نفصل عن هذه رواتب حاميات القلاع والطوابي إلا لأن السلطان قد خصص مبلغا معيناً ينفق خصيصاً في هذا الغرض . وتشكل هذه الحاميات جزءاً من اوجاق المتفرقة ، لكن هذا الاوجاق لم يكن هو الذي يكون حاميات قلاع الواحات ، وكان القائد يجند لهذه الخدمة اترাকা وبربرا ومغاربة ، كان يدفع رواتبهم من المبالغ الناتجة عن أوراق الجامكية التي كانت تعطى له .

وتوضح ضالة المبالغ المخصصة لنفقات المؤن والتموين أن السلطان كان قد وضع الجزء الأكبر من المصروفات المطلوبة على عاتق حكام المواقع .
ويمكن لنا أن نحدد كذلك أن الكثير من المصروفات المماثلة قد أبطلت بعد زوال المؤسسات أو الأنظمة التي أوجبتها .

ثالثا - مصروفات متنوعة

| المقياس : | |
|------------------------------------------------------------------------------------------|-----------|
| للصيانة | ٩٧٦ مدينى |
| للسننات | ٤٣٩ |
| لشيخ المقياس | ١٠٧٤ ر |
| اجمالي نفقات المقياس | ٢٤٨٩ ر |
| مجرى العيون والآبار التى اقيمت عليها سواقي فى مصر العتيقة : | |
| أجور العمال المسخدمين فى الآبار بما فى ذلك مدينى | |
| تؤخذ خصما من الخزينة | ٤٤٣٦ ر |
| تبين للتبران المستخدمة فى الآبار بالاضافة الى مصروفات صيانتها | ٦٨١٢٠ ر |
| اجمالي مصروفات الآبار | ١١٢٥٥٦ ر |
| جسور لقرع بحيرة تنيس والنسواره | ٣٦٦٢٣ ر |
| ازالة الطين المتراكم تحت القناطر مشاعل مقامة على شواطئ القرع لمنع تحويل مجراها | ٧٩٨ ر ٨٦٠ |
| محطة ابدال مقامة فى العريش لبريد السلطان (*) | ٧٨٠٠ ر |
| قفاطين يوزعها الباشا على من يتولون المناصب | ٧٤٢٠٠٠ ر |
| صيانة الحمام النركى الموجود أسفل القلعة (حمام الخاصة) | ٩٦٦٧ ر |
| جرار للمياه يستخدمها الديوان | ١٥٠ |

(*) حيث يتم ابدال الخيول أو الدواب المستخدمة فى نقل البريد .
(المترجم)

| | | |
|-------|-----------|---------------------------------------------|
| ٢٢٨٢ | . . . | تغليف (تجليد) سجل الميرى العام |
| ٢١٦٦٠ | | للسقاين بالسويس |
| | | لكاشف ولاية البحيرة مقابل صيانة التربة |
| ١٦٠٠٠ | | التي تنقل مياه النيل الى صهاريج الاسكندرية |
| ١١٠٠٠ | | سبيل حسن باشا بقلعة القاهرة |
| ٣١٠٠ | | بئر يوسف افندى بالقلعة خصما على نفقة الخزنة |
| ٥٠٠٠ | | سبيل ابراهيم الكخيا |

مشتريات للباب العالى :

| | | |
|--------|-----------|--------------------------|
| | | شربات يدفع من ثمنه ٧١١٢٤ |
| ١٠٦٦٩٠ | | مدينى خصما على الخزنة |
| ٧٠٢٩٦٩ | | ارز وعدس خصما على الخزنة |
| ٨٠٩٦٥٩ | | |

الاجمالى العام ٢٦٥٣٥٨٥ مدينى

| | | | |
|----------------------|----|-------|---------------|
| | د | س | |
| ويعادل هذا المبلغ ١٠ | ١٧ | ٩٤٧٧٠ | جنيها توريا . |
| وبالفرنكات | ٩٠ | ٩٣٦٠٠ | فرنكا . |

ومن المعروف ان مقياس النيل كان يقام داخل سور يسهل اتصاله بالنيل ، اقيم عند الطرف الجنوبى لجزيرة الروضة . وكانت حراسة وصيانة هذه المنشأة امتيازا وراثيا لشيخ من نسل ذلك الشيخ الذى سبق ان وكله بذلك السلطان سليم . ويقوم هذا الشيخ ، عندما تنخفض مياه النيل ، بازالة الطمى الذى يتراكم على سفلى المنشأة . اما المر الداخلى الذى يسيطر على حاشيته فكانت تحميه فيما مضى ستائر ظل دفع الاعتماد المخصص لتجديدها مستمرا حتى عندما زالت هذه الستائر .

وبمجرد ان يبدأ النيل فى الارتفاع (١) ، يأخذ الشيخ فى الاعلان عن المقياس الذى بلغه ارتفاع المياه يوميا عن طريق منادين يجوبون الشوارع ، ويقفون بكل البيوت . وكان السكان يجدون سعادتهم فى تقديم الخبز والنقود الى هؤلاء المنادين .

(١) عند نحو بداية انقلاب الصيف .

وكان هؤلاء يتجمعون عند ظهيرة كل يوم فى مسجد يقع الى القرب من مصر العتيقة لكى يعلن لهم شيخ المقياس مقدار الفيض الذى بلغه النيل منذ العشيية (١) .

اما الخليج فكان يفتح الى الشمال من مصر العتيقة على فرع النيل الصغير الذى تصنعه جزيرة الروضة ، وهو يعبر القاهرة ويمضى ليروى ولايتى القليوبية والشرقية (٢) . وكان البك مكلفا بأن يصنع فى داخل هذا الخليج جسرا يمتد لمسافة خمسين قدما لكى يمنع مياه النهر من ان تتوغل فيه وبذلك تصبح مياهه اعلى مما كان ينبغى ، كما كان مكلفا بالعمل على ازالة الطين المترسب فى المساحة القائمة بين هذا الجسر وبين مجرى النيل ، فى مقابل حصوله على الـ ١١٠٤٢ ر. ١١ مدينى المرصودة لهذا الغرض . ويتم قطع سدة الخليج فى الخامس عشر او الثلاثين من اغسطس ، ويصبح الموعد اكثر اقترابا من التاريخ الاخير عندما تكون هناك خشية من حدوث فيضان مدمر . وفى عشيية هذا اليوم يرحل امين البحرين (٣) من بولاق فى قارب تزينه البيارق والاعلام ، ومجهز بأربعة مدافع تطلق نيرانا مستمرة ، يمضى ليأخذ مكانه عند فتحة الترعة ، وما أن يحل الليل حتى تطلق الالعب النارية على ضفافه ، وفى هذه الليلة تكف الشرطة عن ممارسة قساوانها المعهودة ، فلا تعتقل أو تضايق أحدا ، ويبدى الناس وهم يتدفقون فى الاحياء المجاورة فرحة طاغية بعيد يضمن لهم ما يعود عليهم به النهر ، صانع حياتهم ، من فوائد ومباهج ، وتنتشر الفرحة والبهجة على سطح المياه مع ما يسبح فوقها من قوارب عديدة تغطيتها ، بل أن النسوة انفسهن ،

(١) اليكم مقياس فيضانات النيل أثناء مدة اقامة الفرنسيين بمصر ابتداء من أقصى انخفاض له :

العام السابع (من قيام الجمهورية الفرنسية — ١٧٩٨) ٢٢ قدما و٦ بوضات — جيد .

العام الثامن ٢١ قدما وبوستان — متوسط .

العام التاسع ٢٤ قدما و٨ بوضات — جيد جدا .

وطبقا لما يتوله المسيو لوبير فان النيل لا يهبط مطلقا لأدنى من ٥ اقدام .

(٢) تستخدم هذه الترعة فى ملء أسبلة المدينة ، كما أنها تحول الى برك صالحة للملاحة الميادين المسماة الازيكية وبركة الفيل الخ ، حيث يحلوا للمواطنين ان يتنزهوا بالقوارب .

(٣) أى ملتزم الرسوم التى تحمل هذا الاسم .

وهن اللانى ببتس طيله العام قابعات خلف أسوار حريم ، يشساركن فى هذه البهجة العامة ، فيندفمن منفصلات عن الرجال فى زوارق ينيح لهن الغناء والموسيقى النى تعزف فيها لحظة من السعادة . وعند نهاية النهار يقلل الوالى من سمك السد ، ويوجه كير من الشيوخ الى المقياس ليضوا الليل فى تلاوة القرآن واقامة الصلوات كى ببارك الله فيضان النيل ، وينجه البكوات وكل الموظفين الى شاطيء الخليج ، وهناك يعسكرون مع كل بيونهم ، وعند انبلاج نهار اليوم النالى ينخذ الباشا مكانه ، تحيط به حاشيته ، فى سراق مقام على شاطيء مدخل الخليج . حيث يلحق به القاضى وكل اصحاب المناصب ، ويعلمن شيخ المقياس فى حضرة ممثل السلطان ، يحيط به الديوان المهيب ، أن ارتفاع النل قد بلغ الـ ١٥ ذراعا المطلوبة (٢٥ قدما) (١) ، ويحرر القاضى حجة تشهد فى الوقت نفسه ان المياه قد بلغت الارتفاع اللازم لفتح سدة الخليج ولجباية المال الدر ، ثم يوقع هذه الحجة بعد أن يسجل أن الباشا وكبار ضباط الولاية قد شهدوا تحريرها ، وينم الاسراع بقطع السد ، وسعاون عمل النهر عمل العمال فبختفى السد ، ويتهادى اول ما يتهادى قارب والى بحر السنبقة فوق المياه النى تندفع مدومة فى الخليج ، فاذا ما حدث أن انقلاب قاربه بفعل اندفاع المباء فان القهقهات الصاخبة نعلو من جمهور الناظرين ، ويملا كل سكان القاهرة البيوت المجاورة للخليج أو ينتشرون على شاطئيه ، وبهرع الى هناك الجميع ، رجالا ونساء واطفالا ، مع اندفاع المباء التى تستحوذ على مشاعرهم ، وينسب الناس جميعا الى هذا المجرى ، وقد اصح صاخبا ، الكثير من المعجزات ، فتلقى به النسوة خصلات من شعرهن أو بقطع من مزق ملابسهن وهن يأملن فى الحمل والانجاب أو أية مطالب نافعة ينظرن تحقيقها من وراء هذه القرابين . ويلقى الباشا ومعبته بقطع من الذهب والفضة وبحفونات من المدينى الى العمال الذين ساهموا فى تطع السدة ويراقبون حركة المباء ، ويحصل هؤلاء ، من عدد كبير من النظارة على هبات

(١) لم يكن الفيضان الفعلى يبلغ فى ذلك الوقت وفقا لما يقوله المسيو لوبير سوى ١٢ ذراعا (٢٠ قدما) ، ولم يكن هذا الفيضان ليصبح كاقيا لرى المساحة العظمى من الأرض لو أنه قد ظل عند هذه النقطة ، فلقد كان الفيضان فى العام الثامن من الجمهورية (١٨٠٠) ضعيفا برغم بلوغه ٢١ قدما وبوصتين .

سمائلة ، يتسابقون للحصول عليها مع من يزاحمونهم من الجمهور ، وكان هؤلاء يختارون على التعاقب من بين الاثراك واليهود ، وينتهي الحفل بتوزيع القفاطين التى يخلعها الباشا على ولاة القاهرة ومصر العتيقة وبولاق ، وكذلك على كبار ضباط الاوجاقات الذين يحضرون الحفل(١) .

ونادرا ما تكون البيانات المعلنة والتى تسبق دخول المياه الى الخليج مطابقة للحقيقة ، وان كانت تلك التى تعلن بعد ذلك هى التى توضح بدقة اجمالى الفيضان والحالة اليومية لارتفاع مياه النهر ، ويتوقف اعلان هذه البيانات بدءا من اوائل اكتوبر ، وهو المدى المعتاد الذى يتوقف عنده تزايد المياه(٢) .

وتصل مياه النيل الى سفح قلعة القاهرة عن طريق مجرى يأخذ مياهه من جنب فم الخليج ، بفعل ثلاثة آبار تعمل عليها سواق ترفع المياه الى المستوى اللازم لبلوغها هذا المجرى ، اما الآبار (او الاسبلة) التى تنتهى اليها فتؤمن استهلاك السكان وحاميات القلعة . وهناك افندى موكل بصيانة الحبال والدواب وتقديم الاجور الى العمال الملحقين بهذه المنشأة ، اما امين الشون (شونة) فيوفر النبن اللازم لطعام الثيران . وفى عهد السلطان مصطفى ، زيدت الاموال المخصصة لهذا الضرب من ضروب الانفاق ، على نفقة الخزينة ، بمبلغ ٣٠٠٠ ر. مدينى ، ضمنها فى المبالغ الموضحة .

(١) عندما يتم تنظيف فم الخليج ، يترك فى الوسط عمود من الطين يسمى العروسة ، اى الفتاة المقبلة على الزواج ، ويشعر الناس بالبهجة الغامرة اذا ما حملت المياه بفتة هذه الكتلة من الطين، اما اذا قاومت هذه الكتلة فعل المياه لوقت طويل ، فان الناس يشعرون بالغم والكدر كما لو ان الامر نذير بان الفيض لن يكون سعيدا . وتحمل هذه العادة ذكرى خرافة بشعة عن المصريين الوثنيين حين كانوا يضحون بشابة صغيرة كانوا يقدمونها للنهر على انها زوجة له .

(٢) يشكل العيد الذى يحتفل به الاقباط على شرف الصليب ، والذى يتم فى نفس هذه الفترة على وجه التقريب حفلة حلت فيما يبدو محل خرافة قديمة من خرافات المصريين القدماء ، فيبدأ البطريك ، يتبعه رجال الدين وبقية شعبه ، المسيرة من دير يقع الى جنوب مصر العتيقة ، وبعد ادعيات طويلة ، يذهب البطريك ليلقى فى النيل بصليب صغير من خشب ، ويحذو حذوه كل تابعيه ، ويسر المسلمون كثيرا بهذا العيد ، ولا بد انهم سياسفون كثيرا لو حدث ان توقف .

وتقام فى كل عام سدود لفتحات ترع بحيرة تنيس والنوارة التى تصب مياهها فى السهول الرملية المتاخمة لدمياط ولطابية العزبة حتى لا تتوغل فى مجارى هذه الترع مياه البحر . وكان اغا الطابية او الحصن يحصل على ٣٦٦٢٣ مدينى فى مقابل بناء هذه السدود .

ويجد المرء فى كل انحاء مصر قناطر مبنية بالحجارة مقامة فوق ترع الرى ، ويمكن للطمى الذى يتراكم حول اقواس هذه الترع ان يعوق مجرى المياه . وكان حكام الولايات ملزمين بالعمل على ازالته (او تجريفه) ، وهم يقتسمون الاموال المرصودة لهذا العمل طبقا للتوزيع الآتى :

| | |
|--------------|-------------|
| سيوط | ٧٥٠٠٠ مدينى |
| منفلوط | ١٤١٦٤ |
| بنى سويف | ٣٧٥٠٠ |
| الفيوم | ٢٩١٣٢ |
| الجيظة | ١٢٥٠٠٠ |
| القليوبية | ٤٠٤١٠ |
| الشرقية | ٦٧٦٧٥ |
| البحيرة | ١٢٥٠٠٠ |
| المنصورة | ٧٣٩٨٥ |
| الغربية | ٢٥٠٠٠٠ |
| المنوفية | ٢٢٩٣٢ |
| اجمالى مطابق | ٨٦٠٧٩٨ |

وكان محرما انشاء قنوات او مساق (مسقى) ترفد عن النيل او الترع التى تتفرع عنه أثناء الفيضان ، ويسهر على ذلك ليلا ونهارا حراس يختارون من اوجاق الشراكسة ، ويحصل هؤلاء على المبلغ الموضح لكى يقيموا على الشواطىء مشاعل تسهل عملية الرقابة التى يمارسونها .

ولا تصل مياه النيل الى السويس ، فكل المياه التى تستهلك هناك تغترف من عيون موسى ، وتمضى الى داخل صهريج واسع للمياه حيث تخزن مئونة المياه اللازمة للمدينة طيلة العام . وقد خصص السلطان سليم للسقائين المستخدمين فى نقل هذه المياه ، المبلغ الذى اوضحناه .

وقد قام أحد الباشوات واسمه حسن ببناء خزان مياه عموى (سبيل)

بقلعة القاهرة ، لا يزال حتى اليوم يحمل اسمه ، وينفق للء هذا الخزان كل عام من الأموال التى رصدها لخدمة هذا المرفق .

ويحدث الشئ نفسه لبئر يوسف أفندى ، الذى خصص السلطان مصطفى لصيانته ٣٠٠٠ مدينى ، تؤخذ خصما على نفقة الخزنة .

وقد فرض اسماعيل بك ميرى قدره ٥٠٠٠ مدينى على وكالة الزعفران ببولاق ، وخصصت لصيانة سبيل ابراهيم الكخيا فى القلعة ، وهذا السبيل واسع لحد أن الجيش الفرنسى قد استخدمه لتخزين مؤنه (من المياه) اثناء الحصار .

ويرسل الباب العالى سنويا الى القاهرة شوربة جى (شوربجى) باشى الموكل بصنع صنوف من الشربات للسلطان ، فيشتري المواد اللازمة ، ويصنع بنفسه هذه المشروبات الحلوة ، وكان يعطى له طبقا للوائح سليمان مبلغا قدره ٣٥٦٦ ر ٣٥ مدينى مقابل نفقاته ، وفى عام ١١٧٩ من الهجرة أمر السلطان مصطفى برفع هذه النفقات الى ١٠٦٦٩٠ مدينى (١) ، ويعطيه الباشا بخلاف ذلك مبلغ ١٠٢٠٠ مدينى لينفقها فى شراء مواد عطرية تعطى لهذه المشروبات رائحة مستحبة ومذاقا أفضل . وتتضى العادة كذلك أن يقدم له الباشا هدية تبلغ ٤٠٠ ر ٤ مدينى ، كما شاء السلطان مصطفى أن يخصص مبلغ ٨٧٥٩٧٢ مدينى لمصروفات شراء وارسال السكر الى الباب العالى ، ولم نشر نحن الى ذلك مطلقا لأن القبطان باشا قد حذف هذا المبلغ فى عام ١٢٠٠ من الهجرة من الانفاقات التى تقع على عاتق الميرى ، وأمر بأن يؤخذ هذا المبلغ خصما من الخزنة اذا ما ارسل السلطان فى طلب السكر ، وان كان فى نفس الوقت قد أبقى على تصرف السلطان مصطفى الذى قضى باعتماد مبالغ تؤخذ من أرصدة الخزنة ، وتخصص للاغراض التى نوردها فيما يلى :

٢٠٠٠ ر أردب من الارز من انتاج قرية فارسكور
والقرى المجاورة ٣٢٠٠٠ ر مدينى
١٦٠٠٠ ر أردب من ارز دمياط ١٦٠٠٠ ر

(١) أخذ منها اذن مبلغ ٧١٢٤ ر ٧١ خصما على نفقة الخزنة .
(وصف مصر — م ١٥)

١٥٠٠٠ ر.أردب من عدس القاهرة ١٥٠٠٠
مصرفات شحن الارز والعدس ١٨٢٣٠٦
خصم (أو تنزيل) يتم لصالح الروزنامجى والكتبة ٢٥٦٦٣

اجمالى مطابق للمبلغ الوارد بالجدول ٧٠٢٩٦٩ مدينى

وكان الروزنامجى يشتري هذه السلع الغذائية من ملتزمى الجهات التى ينبغى عليها توفيرها ، ويسدد اثمانها بالأسعار التى اوردناها . وحين أصبح مراد ملتزما لدمياط وعثمان ملتزما لفارسكور ، توقفت هذه التوريدات كما ترقفت توريدات عدس القاهرة ، ومع ذلك فقد ظلت هذه تدخل ضمن انفاقات الميرى لان مراد و ابراهيم طلبا الى الروزنامجى أن يضمها الى الدخول المخصصة لهما .

رابعا : المعاشات والمرتبات

اجرى سليم وسليمان معاشات أو رواتب متنوعه لرجال الديانة الاسلامية والارامل والايام . ولاشخص خاص منفردين ، وحذا حذوهما خلفاؤهما بل ، وكذلك ، الباشوات والبكوات ورجال الاوجاق (العسكر) العاديون ، الذين انتهى بهم الأمر ، حتى يضمنوا وصول هذه الرواتب الى الاغراض المخصصة لها ، الى تكليف الروزنامجى باستلام الأموال التى نزلوا عنها وأن يتصرف فيها طبقا للتوايا التى ابدوها .

واليكم جدولا بالمصرفات التى كانت قائمة عند وصول الجيش الفرنسى الى مصر :

الى المشايخ والعلماء ١٢٩٥٥٣٤ ر.أردب مدينى
للايتام ٢٨٢٤٦٦٢
للارامل ٣٢٨٦٣٤٨

للشيوخ :

عطاء الله السكندرى ٤٠
ابو السعود ٩٨
بهى الدين المجدود ٩٨
محمد الجاكى ٩٨
محمد ابو طرطور ٣٩١
المجموع ٧٢٥

الى عائلة سليمان أفندى ٢٧ر٠٠٠
الى أشخاص متفرقين كمعاشات تسمى رزق
نقدية :

| | |
|---------|--------------------|
| ٣٥٤ر٥٨٠ | في ولاية القليوبية |
| ٦٥٠ر١٤٥ | في ولاية الجيزة |
| ١٠٠٤٧٢٥ | المجموع |
| ٨٤٣٨٩٩٤ | الاجمالي |

| | |
|--------|------------|
| س | د |
| ١٢ | ١٠ |
| ٣٠١٣٩٢ | وتعادل |
| ٢٩٧٦٧١ | وبالفرنكات |
| ٧٧ | فرنكا |

وكانت المعاشات أو الرواتب التي أجريت للمشايخ والعلماء تعطى لهم في شكل أوراق مرتبات . ويبدو أن هذه المعاشات لم تكن تشكل في عهد سليمان مثل هذا الحجم الكبير ، لكن الوازع الديني قد دفع بالملك الى تخصيص ارصدة من نفس النوع اضيفت لتلك العطاءات التي خصصها السلاطين ، وهو الذي بلغ بها الحجم الذي بيناه .

و يمكن أن نقول نفس الشيء فيما يختص برواتب الايتام ، أما معاشات الأراامل التي أصبحت من نصيب نساء الاتراك الذين لا قوا حتفهم عند فتح مصر ، فلم تتناولها أية زيادة ، وان كانت هذه وتلك قد عانت من اهتزاز الثقة في أوراق المرتبات (الجامكية) التي كانت تتشكل منها ، في الوقت نفسه الذي ظلت قيمتها في بنود الانفاق الواقعة على عاتق الميسرى على حالتها نفسها ، ذلك أن البكوات المماليك الذين حصلوا عليها بأبخس الاثمان ، قد انتحلوا لانفسهم حق الحصول على قيمتها من صندوق الروزنامجى .

ويحكى أن السلطان سليم ، بعد أن استعطفت مراحمه جماعة من الشحاذين الشيوخ ، قد خصص لهؤلاء تلك المبالغ الزهيدة الواردة بالجدول ، ثم جاءت ذريتهم ، مستندة الى عادة الزامية معظم العطايا الاختيارية ، لتطالب بها ، ولا يزال هؤلاء يتمتعون بها حتى اليوم .

وكانت الوظائف المتميزة التي شغلها سليمان ، الأفندى السابق

لاوجاق المتفرقة ، قد جعلته مستحقا لراتب قدره ٢٧.٠٠٠ مدينى خصصها له
الباشا خليل ، وظل هذا الراتب يصرف لاحفاده .

اما الرزق (النقديّة) التى فرضها السلطان سليمان على الكثيرين من
ملتزمى الجيزة والقليوبية ، فقد خصصها لأشخاص بعينهم أراد — هو —
أن يكافئهم . وحيث أن هذه الرزق وراثية وقابلة للتحويل ، فانها لا تختلف
عن الملكيات الخاصة الا فى أن الروزنامجى هو الذى كان يحصلها ، ويتصرف
فى عائدها الذى كان يدخل ضمن الميرى المقدر على هاتين الولايتين .

خامسا : الأعمال والمنشآت الخيرية

صيانة المقابر :

| | | | | |
|------|---|---|---|-------------------------|
| ٢٥٠٠ | . | . | . | جورماز الاتابكى |
| ٤٠٠٠ | . | . | . | الشيخ الدمناوى |
| ٣٠٠٠ | . | . | . | زاوية برقوق |
| ٣٠٠٠ | . | . | . | حصرون باشا |
| ٥٣٨ | . | . | . | الشيخ أحمد الطحاوى |
| ٨٠٠ | . | . | . | الشيخ تاج الدين |
| ١٠٠٠ | . | . | . | الشيخ أحمد النجار |
| ٣٠٠ | . | . | . | الشيخ الشهيد |
| ٢٠٠ | . | . | . | الشيخ سعد الدين الجمبوى |
| ٨٠٠ | . | . | . | الشيخ يوسف العباسى |
| ٥٥٠ | . | . | . | سيدى ابراهيم الدسوقى |
| ٢٠٠٠ | . | . | . | عطوان الصيفى |
| ٦٨٣ | . | . | . | الشيخ سويدان |
| ٣٠٥٢ | . | . | . | الشيخ السادات |
| ٣٠٠ | . | . | . | الشيخ أحمد المنير |
| ٣٩١ | . | . | . | الشيخ عمر الانببى |
| ١٩٥ | . | . | . | الشيخ على أبو النور |
| ١٩٥ | . | . | . | زاوية سنقر |
| ٥٠ | . | . | . | الشيخ عبد الله الجبوشى |
| ٢٠٥ | . | . | . | الشيخ سويدان |

- زاوية المشايخ (عدة أضرحة) ٦٨١٢٤ ر
القاضي زين العابدين
(على نفقة الخزنة) . . . ٣٠٠
الشيخ محمد كريم الدين
الخلوتى (على نفقة الخزنة) ٢٠٠٠ ر
- المجموع ٩٩١٨٣ ر
- مساجد ، أديرة ، دراويش ، شحاذون ، عجرة . ١٣١٠٩٣٥٨ ر
الجامع الازهر :
- العلماء ، الشيخ والمدرسون
الاساتذة ٥٧٦٠٣٠ ر
- شموع لقسارى
القرآن والخطيب ١٧٧٧ ر
أرز وعسل يوزعان
سنويا على الفقراء ٢٠٤٨٩ ر
- المجموع ٥٩٨٢٩٦ ر
- عمائم تعطى لمن يعتنقون الاسلام ٥٨٤٤ ر
مياه عذبة توزع على الذاهبين لتشييع الجنائز
للشيخ البكرى مقابل ما ينفقه فى الاحتفال
بمولد النبى ٢٥٣٨ ر
- مولد السيد أحمد البدوى فى طنطا :
- للفقراء { جبن وبصل ١٤٦٨ ر
صدقات ٢١٧٥ ر
للشيخ العشرة ١٥٠ ر
لعائلة الشناوى
(على نفقة الخزنة) ١٠٠٠ ر
- المجموع ٤٧٩٣ ر
- ارساليات الى اورشليم (القدس) :
- مصروفات نقل العدس ١٠٠٠ ر
الصرة أو المعاشات ٣٥٣٢٠ ر
حصر (حصيرة) للمسجد ٩٩٥٧ ر
- المجموع ٤٦٢٧٧ ر

اتارة محراب سيدنا يوسف ٢٨٩٥
معونات لايتام المارستان ٢٥٠
صيانة خلوات الدراويش ، ناظم الدين صفهاني ١٢٠٠٠
للشيخ الذي يتلو القرآن ليلة فتح الخليج . . . ٣٤٢

تيران تستخدم في ادارة سواقى الآبار التى توجد بمساجد :

الامام الشافعى ٣٧١
الشيخ عمر بن الفارض ٤١٥
الفورية ٤١٥
سارية الجبل ١٢٣٠
المجموع ٢٤٣١

قرب مياه تعطي ل :

جامع الشيخ عمر بن الفارض ٤٤
أوجاق الجاويشية ٤٤
أوجاق مستحفظان ٤٤
المجموع ١٣٢

الاجمالي ١٣٩٢٨٩٢٨٣٩ مدينى

د س

تعادل ه ١٦ ٤٧٤٦٨٩٦ جنيها توريا
وبالفرنكات ٥٤ ٢٢٠٩٠ فرنكا

ويولى المسلمون عظيم احترامهم للموتى ، ويتوجهون كل جمعة ، وهو يوم الصلوات (كذا) لزيارة مقابر ذويهم ، أو أضرحة أولئك الذين ماتوا تحيط بهم هالة القداسة ، وقد أدت العناية بمقابر هؤلاء وكذلك المصابيح التى تضىء هذه الأضرحة الى انشاء بنود انفاق وردت بالجدول .

أما الأموال التى رصدها سليمان لصالح المساجد والأضرحة والدراويش والشحاذين والعجزة فهى عبارة عن أوراق مرتبات (جامكية) ، ولقد تزايدت هذه الأوراق وتدهورت قيمتها وقلت الثقة فيها على نفس النصوص التى سبق لنا أن لاحظناه فيما يختص ببقية الرواتب التى أجريت على الشيوخ والايتم السخ ، كذلك فإن نفس الدوافع (التى سبق لنا بيانها)

هى التى أدت الى استمرار سداد قيمتها للبكوات المماليك ، الذين آلت —
هى — اليهم .

والجامع الازهر هو أشهر المدارس التى تدرس بها النظريات الدينية
الاسلامية ، وهى المدرسة الوحيدة بالقاهرة ، ومصر كلها ، التى يحصل
منها الدارسون على شهادة عليا ، أو شهادة العالمية ، وقد اختصه سليمان
— بشكل جزئى — بأوراق مرتبات ، وبرسوم (أو عادات) على نظرون
الطرائة ، وبالإضافة الى ذلك كان الازهر يتمتع بعوائد عدد كبير من القرى ،
ولذلك فان تدهور قيمة أوراق المرتبات لم تحرمه من الاحتفاظ بدخل هائل .
وفى خلال شهرى شعبان ورمضان ، يضاء لخطيب الجامع ، وهو العالم
الذى يتلو ويفسر القرآن ، اثنان من الشمعدانات الضخمة ، يضم كل منهما
خمسا وعشرين شمعة ، وأوصى سليمان بأن يشتري كل ذلك على نفقة
الميرى ، وكان الفقراء والعميان ، المترددون على الجامع ، يحصلون خلال
شهر رمضان ، عقب غروب الشمس على جرايات من الارز والعسل ،
رصدها لهم عيد الرحمن الكخيا .

أما المبالغ المخصصة لشراء العمائم التى تقدم لمن يعتنقون الاسلام ،
فكانت تودع مع خازن الباشا ، الذى كان يستبقيها لحسابه عندما لا تتم مثل
هذه الاعناقات .

ويتسلم وكيل الخراج ، ويتصرف كذلك فى المبلغ المرصود لدفع أجور
السقائين الذين يحملون الماء الذى يوزع فى المقابر على الأشخاص الذاهبين
لتشييع جنازات الموتى والصلاة على أرواحهم .

ويحتفل أهل القاهرة بمولد النبى بكثير من الابهة ، فتضاء المساجد
والبيوت طيلة ثمانية ايام متصلة ، ويحصل الشيخ البكرى ، زعيم سلالة
أبى بكر صهر محمد ، على مبلغ لا يتناسب فى كثير مع الانفاقات التى اعتاد
القيام بها . ويزوره فى هذه الايام المسلمون ، وبخاصة الاولياء منهم ،

ليؤدوا الصلاة معه ، وتكلفه هدايا البن والحلوى النوى يقيمها لضيوفه ، وكذا الأنوار التى تزين مداخل مقره والمناطق المحيطة به أكثر من ١٠٠٠٠٠ مدينى (١) .

ويتسبب أولياء عديدون فى نشأة موالد أو أعياد أقل أهمية ، وأهم هذه الموالد هو المولد الذى يحتفل به فى طنطا على شرف السيد أحمد البدوى . وكان هذا الحفل يقام بالفعل فى زمن السلطان سليم ، الذى أمر بأن توزع هناك صدقات وأطعمة على من يوجد بالمولد من الفقراء ، كما خصص ١٥٠ مدينى لشيخ العشرة لكى يتوجه الى طنطا ويتكفل بالاضاعات المعتادة . وكان سليم يرنو من وراء هذه العطايا المختلفة الى تسهيل سبل التجارة التى يمكن أن تنهض فى سوق تقيمها (تلاقيا) هذه الافواج من الحجاج « الزوار » . وحيث كانت عائلة الشناوى تتميز بالحماسة التى تبديها فى زيارة ضريح هذا الشيخ ، وفى الاسهام فى نفقات هذا الاحتفال فقد أمن لها معاشا قدره ١٠٠٠ مدينى على نفقة الخزنة .

ويعد الحج الى القدس عملا بالغ الجدارة من جانب المسلمين ، وبخاصة من جانب العرب منهم ، الذين يرون فى هذه الزيارة ، وهم الذين ينسبون أنفسهم الى اسماعيل ، عملا يقصد من ورائه تبجيل ابراهيم واسحاق ويعقوب المدفونين طبقا لمعتقداتهم فى مسجد الرحمن . وكما هو

(١) فى ترميدور من العام السابع ، تاقى القائد العام دعوة من الشيخ البكرى لحضور هذا الحفل ، وقد صحبته الى هناك هيئة اركان حربه ، وكنت بالمنزل فى معيته . وقد لاحظنا أن العبادات كانت تقتصر على ترتيب رتيب لبعض آيات من القرآن ، وتلاوة نسب الشيخ البكرى ، الذى يدل على أنه من أصلاب سلالة أبى بكر ، ويعد ذلك حصلنا على نصيبنا من عطاءات البن والحلوى . كنا نسلك سلوك المسلمين ، وقد تعشينا مع الشيخ ، ومع أولئك الذين شاركوا فى الوليمة التى أولت لنا ، وقدمت الاطباق على صوانى واسعة من النحاس ، وأكنا على طريقة الشرقيين ، لكن النبى حرمانا من نبيذ العشاء (أى لم يقدم لنا بسبب ما تقضى به الديانة الاسلامية) ودارت علينا المياه فشرينا كلنا من نفس البردق . وقد قسم المدعوون الى عدة مجموعات ، وكان يجلس مع الشيخ القائد العام والجنرال برتنيه Berthier (فى مجموعة مستقلة) ، وكانت لكل مجموعة صينية خاصة بها ، وتختلف هذه الطريقة فى تقديم الطعام قليلا مع الاسساليب المعتادة عند المصريين ، إذ تمر المائدة نفسها فى العادة — على التوالى لتنتقل من السادة الى أهل البيت ، وهكذا حتى تصل الى الخدم .

معروف ، فان محمدا نفسه قد قام برحلة الحج هذه ، ولذا فان الورعين من اتباعه يجدون واجبا عليهم ان يحذوا حذوه . وكان مدير هذا المسجد ، يتصل بنائب أو وكيل عنه ، كلف بالقيام بمشغريات العدس اللازمة لاطعام خدم المسجد ومن يلوذ به من الفقراء ، وأخذ سليم على عاتقه سداد نفقات نقل هذه الاطعمة ، كما خصص لنفس المسجد صرة أو معاشا سنويا ، بالاضافة الى اعتماد رصد لشراء الحصر التي تغطي أرضه .

ويقع محراب سيدنا يوسف داخل أرض اورشليم ، وقد بنى على بئر يظن أنها البئر الذي سجن فيه على يد اخوته ليبيعوه بعد ذلك الى تجار اسماعيليين . وقد خصص سليم ، على نفقة ميرى مصر ، ما يكفى لتوفير اضاءة وصيانة لهذا المكان المقدس .

وتدعو ضالة المبلغ المخصص لليتامى المقبولين فى مستشفى المارستان الى الاعتقاد بأن السلطان لم يدر بخلده أن يقدم لهم عوننا حقيقيا بقدر ما شاء أن يقدم لهم بعض صدقة . وكانت لهذه المنشأة دخول تتناسب مع الانفاقات التي تقوم بها .

وحيث تقع مساجد الامام الشافعى والشيخ عمر بن الفارض والغورية قريبا من المقابر التي يدفن فيها الكبار (طبقة الحكام) ، فقد كان يتوجه للصلاة فيها حلق كنسرون . وقد خصص السلطان سليمان اعتمادات لشراء وايواء النيران النى تستخدم فى نزع مياه الابار الموجودة بالقرب من دور العبادة هذه . أما جامع سارية الجبل الموجود بقلعة القاهرة فكان بالمثل يحصل على تسهيلات واعانات . ويجعل الوضوء ، الذى يسبق عادة صلوات المسلمين ، من الاقتراب من بعض الابار أمرا ضروريا ، لكننا نجهل السبب فى اعطاء ثلاث من القرب الى كل من جامع الشيخ عمر بن الفارض ، وأوجائى الجاويشية ومستحفظان ، وهو الأمر الذى قرره السلطان سليم .

سادسا : محمل مكة

كسوة للكعبة فى مكة ، منها ٢٦٤٨٠٧ مدينى على
نفقة الخزانة ٧٩٠٨٠٧

الصرة (رواتب أو معاشات) :

نقدا ، لمكة والمدينة منها ١٤٣١٤٥

مدينى على نفقة الخزانة . ١٥٩٨٥٢٢٠

مصروفات لشراء صناديق وزكائب

| | |
|-----------------------|------------|
| وتبن | ٤٤٨٦ ر |
| مجموع الصرة | ١٥٩٨٥٧٠٦ ر |

لامير الحج :

| | |
|-------------------------------------------|------------|
| للألاى ، اى لذهاب المحمل | ٣٤٩٠٣٣ ر |
| مصاريف مطبخ | ٩١٩٩٢٤ ر |
| | ١٢٦٨٩٥٧ ر |
| اضافى منحه اياه خلفاء سليم منه ١٢٥٨٧٠٧ ر | |
| مدينى على نفقة الخزنة | ٢٠٠٠٠٠٠٠ ر |
| للعربات التى تقل حاملى المدافع | ١٢٠٦٩ ر |
| شعلات للمذكورين | ١٢٧٩ ر |
| لحراس خيمة امير الحج | ٢١٥ ر |
| للسياس (سايس) | ٤٧٠٧ ر |
| لشراء الزيت والكبريت اللازمين لدهن الجمال | ١٤٠٤ ر |

للسردارات :

| | |
|----------------------------------------|----------|
| للسردارات انفسهم | ٣٦٦٨١٤ ر |
| اضافى قرره لهم السلطان | |
| مصطفى على نفقة الخزنة ٥٦٣٧٢٧ ر | |
| | ٩٣٠٥٤١ ر |
| لبغال السردارات | ٤٨٧٩ ر |
| للجين والبصل الذى يقدم لهم ١٦٦٧ ر | |
| المجموع | ٢١٥٤٦ ر |
| تعويضات للجنود الذين يكونون حامية قلعة | |
| المويلح ، على نفقة الخزنة | ١٨٠٤٤٠ ر |
| مصروفات متناثرة تتم عند رحيل المحمل : | |
| لادلاء (مرشدى) القافلة | ١٢٥٦ ر |
| بريد جوال للقافلة | ٥٥٩ ر |
| بريد من راكبى الجمال للقافلة | ٢٧٣ ر |
| المجموع | ٩٥٤٥ ر |

| | |
|--------|-----------------------------------|
| | لشراء مكاييل خشبية لكيل شعير |
| | خيول وجمال أمير الحج ومعيته |
| ٧٩١ | في القافلة |
| ١٣٦٧ر | صدقات توزع خلال السفر |
| | لتطهير الآبار الواقعة على |
| ٢٣٥٦٢ر | الطريق |
| | خيمة لتغطية الحوض الذي |
| ١٣٦٥٩ر | تؤخذ منه المياه |
| | تبن للثيران المستخدمة في |
| | الآبار ، وبخاصة بئرا النخل |
| ١٠٩٢٨ر | والعجورود |
| | التزود بالتبن في بعض القرى |
| ٦٨٨٠ | التي يمر بها الحمل |
| ٥٧١٨٧ر | المجموع |
| ٢٠٠٠ر | جمل للمبلغ في جبل عرفات |

مصروفات تتم أثناء عودة الحمل :

| | |
|---------|-----------------------------------|
| | ترفيهات للمحمل يقدمها |
| ١٩٣٢٧٨ر | أظلم باشى وعقبة باشى |
| ٨٥١٨ر | موسيقى يقدمها أظلم باشى |
| | فطائر وحلويات يقدمها أظلم |
| ١٧١٦٤ر | باشى الى أمير الحج |
| ٢١٨٩٦٠ | المجموع |

ارساليات تصل الى مكة عن غير طريق الحمل :

| | |
|----------|-----------------------------------------|
| | نقود فضية وأرز لشريف مكة منها |
| ١٢٠٠٠ر | ١٢٠٠٠ر |
| ١٧١٠٩١٧ر | مدينى على نفقة الخزنة |
| ٣٦٠٠٠ر | نقود فضية الى الشريفة أورخانة |
| | نقود فضية للشريفين حمزة |
| ١٩٧٠٠٠ر | وحسين بركة |
| ٢٣٣٠٠٠ر | المجموع |

| | |
|------------|---------------------------------------------|
| | نقود فضية الأمير حاكم ينبع خصما على |
| ١٨٠.٠٠٠ | نفقة الخزانة |
| | ودائع لكى الروزنامجى من الارصدة التى |
| | خصصت فى الماضى لتوزيع المراكب التى كانت |
| ١٢٠.٢٢٣ | تنقل الحبوب الى مكة والمدينة |
| ٢٣.٥٨١ | مصروفات نقل الحبوب الى قضاة مكة والمدينة |
| ٥٢.٦٨٣ | حصر وزكائب تعبأ فيها الحبوب |
| | لشراء زيت القناديل لمسجدى |
| ١٠١.٦٩٨ | مكة والمدينة |
| | مصروفات نقل الزيت ومنها |
| | ٨١٥٠ مدينى على نفقة |
| ١٦.٩٠٤ | الخزانة |
| | اثمان الصناديق التى يوضع |
| | بها ومصروفات نقل هذه |
| ١٥.٣٣٤ | الصناديق |
| ١٣٣.٩٣٦ | |
| | ثمن شمعدانات وصناديق لاحتوائها ، منه ٦٠.٦٢٣ |
| ١٢٣.٨١٣ | مدينى على نفقة الخزانة |
| ٨١.٣٨ | حصر من الفيوم مع مصروفات شحنها |
| <hr/> | |
| ٤٢.٠٧١.٦٥٤ | الاجمالى مدينى |
| | د |
| | س |
| ١٥٠.٢٥٥٩ | ١ تعادل |
| ١٤٨٤.٠٠٩ | ٨ وبالفرنكات |

والكسوة هى الاسم الذى يطلق على الطنافس والبسط التى تسلم
 لأمير الحج كى يكسو بها الكعبة ويزين قبر فاطمة بالمدينة ، وكانت هذه
 تصنع فى قلعة القاهرة . وقد رصد السلطان سليمان مبلغ ٥٢٦.٠٠٠
 مدينى لنفقات صنعها ، وارتفع السلطان مصطفى بهذا الرصيد ، لكى يجعله
 كافيا ، الى ٧٩٠.٨٠٧ مدينى وهو المبلغ الذى أوردناه بالجدول . ويدير
 ناظر الكسوة عملية صنع وتطريز الاقمشة ، لكنه لا يحيط سوى الباشا
 علما بكيفية انفاق المبالغ التى حصل عليها لهذا الغرض .

وطبقا للوائح سليمان ، فلم يكن يرسل مبدئيا الى مكة والمدينة ، بمثابة اعتمادات للصرة سوى ١٠٩ر٢٣٠هـ مدينى كانت توزع على مساجد عدة ، وعلى شيوخ وسكان كثيرين فى هاتين المدينتين . ومنذ العام ١١٣٨ من الهجرة ارتفع هذا الاعتماد بشكل هائل فى هيئة أوراق مرتبات (جامكية) ، خصصت ، بموافقة باشنا القاهرة ، للانفاق على مؤسسات مماثلة لتلك التى عنها السلطان سليمان ، وعندما نبين للكثيرين أن مخصصات الصرة كانت تسدد بدقة فى حين أن حصيلة أوراق المرتبات تبدو فى حكم العدم ، فقد التمسوا أن يدخلوا فى عداد أصحاب المعاشات المستفيدين من الصرة ، وأن يحصلوا ، بهذه الصفة ، على عوائد أوراق النقد التى كانت فى حوزتهم . وقد أدى السماح بذلك من جانب الادارة الى اضافة المبالغ الآتية الى رصيد الصرة ، وهى المبالغ التى لا تزال تسدد الى اليوم الى الاشخاص الذين سنشير اليهم :

فى القاهرة :

| | | |
|------------------------------------------|-----------|----------|
| الى أسرة الشيخ الجوهري | | ٥٧٢ر٠٤٤ |
| الى الشيخ البكرى | | ٢٦٠ر٩٠٠ |
| الى الشيخ السادات | | ١٤٨ر٦٣٥ |
| لاوقاف عبد الرحمن الكخيا | | ٢٠٩ر٥٠٣ |
| الى نقيب الاشراف | | ١٦٥ر٢٩١ |
| الى الشيخ محمد المهدي | | ٢٢٥ر٠٦٤ |
| الى السيد احمد المحروقى (تاجر) | | ١٩٦ر١٧٤ |
| الى ابراهيم افندى الروزنامجى | | ٤٠٠ر٠٠٠ |
| الى الشيخ عبد الله الشرقاوى | | ١٩ر٧٨٠ |
| الى يوسف افندى | | ٤٩ر٥٥٤ |
| الى خليل افندى | | ١٣٧ر٥٠٠ |
| الى حسين افندى | | ٧١ر٢٠٠ |
| الى عدد لا حصر له من الاسماء رجالا ونساء | | ٥٤٦٩ر٣٩٩ |

فى مكة والمدينة :

الى كثيرين من الشيوخ والمساجد والسكان،
ويدخل فى هذا المبلغ ١٤٣ر١٤٥ مدينى
خصنها السلطان مصطفى خصما على
الخرزنة ٦٧ر٢٨٢٦

الاجمالى ١١١ر٧٥١ر١٠ مدينى

ونتيجة لذلك فان الصرة الحالية، عندما يضيف
اليها مبلغ ٩ر٢٣٠ر١٠

الذى اعتمده سليمان ، تصل فى مجموعها الى ٢٢٠ر٩٨١ر١٥ مدينى

يرسل منها الى مكة والمدينة ١٧٦ر٥٦ر٨ مدينى ، اما الباقى وتقدره
٤٤ر٩٢٥ر٧ فيعطى لمستحقه فى القاهرة .

وهناك امر يدو وكأنه هو الذى قد سهل عملية ادماج اوراق المرتبات
فى اعتمادات الصرة ، وهو ان السلطان سليمان قد انشأ هذه الاوراق ،
شأنها فى ذلك شأن الرواتب التى اجراها على المساجد والارامل والايتم
بفئة موحدة قدرها ١٨٢ر٥ مدينى ، وعلى نفس النسق الذى يتبع عند دفع
اوراق المرتبات المخصصة للجيش . وقد كان بمقدور الأشخاص والمنشآت
الذين خصصت لهم هذه الاوراق ، او الذين آلت اليهم منذ عهده ، ان بيعوها
او يتصرفوا فيها . وعندما قامت ادارة مراد بك وابراهيم بك ، توقف دفع
المعاشات او الرواتب التى كان يحصل عليها ابناء القاهرة والتى ادخلت ضمن
الصرة . وعندما كان المحمل يخرج من هذه المدينة كان الروزنامجى يتوجه الى
بركة الحج - وهى الملتقى العمومى للمسافرين (الحجاج) - لى يعطى
للخطيب ، ولصراف الصرة الجزء من المعاشات او الرواتب التى تدخل
تحت هذا التحديد والتى ينبغى ان توزع طبقا له . وتعد النقود فى حضرة
كل من الكخيا والباشا وامير الحج ومفوض او مندوب من قبل قاضى القاهرة،
ثم قوضع فى صناديق تسلم مفاتيحها للخطيب والصراف ، وبعد ذلك يعهد
بالصناديق الى امير الحج ليضعها فيما بعد تحت تصرف هذين الموظفين فى

مكة والمدينة لكي ينفقا الاموال التي تضمها هذه الصناديق في الاغراض التي خصصت لها . ولم يكن لشريف مكة أى حق فى أى دخل بالمعنى المفهوم ، اللهم الا اذا كان حائزا على أوراق مرتبات (جامكية) يحصل على مستحقاته طبقا لها .

أما المبلغ المخصص لانفاقات الآلاى ، أى ذهاب المحمل ، فيسلم الى أمير الحج الذى يتصرف فيه حسبما يترأى له ، كما يحصل على ذلك المبلغ الذى خصصه له السلطان سليمان باعتباره مصروفات مطبخ .

وقبل عهد هذا الحاكم كان العربان يحترمون قافلة الحج ، التى كانت تنال ما تحتاجه من الحماية لمواجهة المخاطر المعتادة على يد السردارات الذين كانوا يتقدمونها ، فكان يرأسها مجرد واحد من تجار القاهرة ، يتولى تدبير أمر الانفاقات التى تفرضها الظروف من المبالغ التى بينها ، ولكن حين بات من الضرورى التصدى لسطو البدو ، فقد أدت ضرورة احتواء وقاحتهم واطماعتهم النهمه الى انتقال منصب أمير الحج الى البكوات ، وبدأ الباشا وكبار أبناء القاهرة يدفعون بأنفسهم رواتب المالك والمغاربة الذين يستخدمون فى هذا الغرض . وحيث لم يكن لمنل هذا الاحتياط أن يحول بشكل تام دون أن يسلب المحمل فى العام ١٠٧٨ من الهجرة فقد استوجب الأمر استجداء مراحم السلطان كى يدبر الوسائل الكفيلة باكتراء حرس قوى له مهابته . وقد أمر السلطان أحمد بالحاق زيادة اضافية الى الميرى قدرها ١٦٢٨٩٣ ر١ مدينى تخصص للانفاق على المحمل ، لكن هذا المبلغ كان أقل من أن يواجه متطلبات المحمل ، لذا فقد اشترى امان الطريق ، بعد ذلك بوقت قصير ، مقابل اتاوة قدرها ٢٠٠٠٠ ر٢ مدينى كانت تعطى للعربان الذين يشغلون الصحراوات التى كان على قافلة الحجاج أن تجتازها . وفى العام ١١١٥ من الهجرة ، رصد السلطان محمد اعانة مالية جديدة قدرها ٢٠٠٠٠ ر٢ مدينى . وأضاف السلطان مصطفى فى العام ١١٧٤ الى الاعطيات التى قدمها اسلافه ٣٧٥٠٠٠ ر٣ مدينى ، وحيث سلك هذان السلطانان (محمد ومصطفى) ، كى يحصلوا على الارصدة المطلوبة ، نفس الطريق التى سلكها السلطان أحمد ، فإن مبلغ الـ ١٢٨٩٣ ر٧ مدينى الناتجة عن المنح التى قدموها مجتمعين ، يشكل زيادة فى المال الميرى

وزعت على كل قرى مصر ، وجبيت منها فى الوقت نفسه باعتبارها ضريبة (١) . ومع ذلك فقد ظلت نفقات الحمل تتزايد بصفة دائمة ، ذلك أن الاتاوات المالية التى تدفع الى بعض القبائل العربية لم تكن تعفى أمير الحج من اقتراء حراس يزيد عددهم مرة بعد أخرى بسبب الخيانات التى يرتكبها نفس البدو الذين تم الاتفاق معهم ، وكذلك بسبب اعتداءات لم تكن متوقعة من جانب بدو آخرين لم يحصلوا على نصيبهم (من الاتاوة) من القبيلة ، وبعد خمس سنوات من الاعانة التى رصدها السلطان مصطفى ، حصل باشا القاهرة من نفس السلطان على زيادة قدرها ١٠٧٠٧٠٨٧٢ ردينى ، واطاف السلطان عبد المجيد فى عام ١١٨٧ الى كل ذلك مبلغ ٢٠٠٠٠٠٠ ردينى ، بحيث بلغ اجمالى الزيادات التى ألحقت بنفقات الحمل ٢٠٠٠٠٠٠ ردينى ، أما مبلغ الـ ١٢٠٧٠٨٧٢ ردينى التى تشكل الاعانات الثلاث الأخيرة فكانت تدفع خصما على نفقة الخزنة دون أن تتسبب فى تقرير أية زيادات على المال الميرى . وعلى الرغم من أن المبالغ التى يحصل عليها أمير الحج من مصادر مختلفة أصبحت أعلى بكثير من تلك التى خصصت له فى البداية ، وبرغم أنه كذلك كان يرث كل متعلقات من يموتون من الحجاج أثناء الطريق ، فقد كانت مهمته هذه لا تعود عليه بنفع كبير ، إذ كان يلزمه أن يكترى المماليك والمغاربة الذين يشاركون فى الحرس ، كما كانت هناك الاتاوات التى يقدمها للقبائل العربية بالاضافة الى مصروفات توفير المؤن وتدبير وسائل النقل الواجب توفيرها لكل من الحق بالخدمة العامة بالحمل ، ولم يكن هؤلاء يؤجرون على نفقة خزينة السلطان ، أو كانوا يؤجرون ولكن على نحو غير كامل ، كان كل ذلك بالمزىل يقع على عاتقه هو ، حتى أن وجوه الانفاق هذه كانت تمتص الاعتمادات التى ينفق منها بشكل تام (٢) .

(١) تدخل هذه الزيادة كما سبق لنا القول ضمن بيان الميرى المفروض على كل ولايات مصر .

(٢) تميزا كثير من البكوات بالذود عن قوافل الحج ، وكانت هذه القوافل لا تهاجم عادة الا عند العودة ، إذ أن العربان الذين بقدرهم حج الكعبة لا يريدون أن توجه اليهم تهمة منعه . وبرغم أن حشيشين بك شكس قد رفض باصرار أن يعطيهم الاتاوة المعتادة فإنهم لم يستطيعوا مطلقا أن يسلبوه جملا واحدا ، فكان يعد رجاله عند منافذ الطرق التى كان العربان يختارونها عادة لممارسة انتهاباتهم ، وبقسم معهم الاتاوة المالية

ويحصل شيخ نجارى العربيات فى القاهرة على المبلغ الذى رصده له سليمان مقابل قيامه بصيانة عربات المحمل ، مع قيامه ، بالاضافة لذلك ، بتوفير العمال اللازمين لاداء هذا العمل .

وبحرس خيمة أمير الحج اثناء الليل خمسة مراقبين ، يتصايحون من وقت لآخر ، منادين بعضهم البعض ، كى يترددوا النوم عن جفونهم ، بعبارات : وحد الله ، صل على النبي ، وبخلاف الراتب الذى بجريه لهم أمير الحج يحصل كل واحد منهم على حصته من الـ ٢١٥ مدينى ، وهو الاعتماد المخصص لتدبير هذه الحراسة .

وقد أمر السلطان سليمان أن يتبع المحمل أربعة عشر سردارا يؤخذون من الاوجاقات ومعهم سرايا من فرقهم العسكرية ، ويتولى سبعة من هؤلاء الضباط قيادة فرقة الحرس (حرس المحمل) ، أما الآخرون فيتوجهون الى جدة كى يتولوا قيادة الطابية ، ويلحوا محل زملائهم الذين عملوا هناك طوال العام السابق . ومنذ على بك ، توقف تعيين السردارات الذين عليهم البقاء فى طابية جدة . وكان السلطان سليمان قد رصد لهؤلاء ولوائك ، على حد سواء ، راتبا سنويا قدره ٣٦٦ر٨١٤ مدينى ، تعطى لهم فى شكل أوراق مرتبات غير قابلة للتحويل (بالبيع أو التنازل) ، لأنها تعد من ملحقات مناصبهم وليست ملكيات خاصة ، وقد حال ذلك دون تدهور قيمتها ، كما كان سببا فى أن السردارات السبعة الذين اقتصر على تعيينهم منذ التجديدات التى ادخلها على بك قد حصلوا على اجمالى هذا المبلغ ، وكان هؤلاء مثقلين بكثير من النفقات ، لحد أصبحت معه هذه المهمة عبئا عليهم ، برغم أن السلطان

التي يطلبها اولئك اذا ما قاوموا المعتدين ، وقد نجحت هذه الوسيلة ، وانتهى الامر بانتفاء كافة الاخطار ، لكن العربان لم يستمروا على هذه الحال السيئة مع خلفائه ، بل انهم لم يصلوا فقط الى تأكيد حصولهم على الاتاوة مرة أخرى ، بل لقد استعادوا متأخراتهم ، أى ما كان كمشكس بك قد رفض أن يسدده لهم ، وفى عام ١٢٠٠ من الهجرة نهب بشكل تام المحمل الذى كان يقوده محمد بك المبدول ، وبعد ذلك بسنوات ست تعرض المحمل مرة ثانية لنفس الكارثة ، وان كان صحيحا ما يؤكد البعض من أن مراد وابراهيم قد ظاهرا العربان على ارتكاب عملية السطو هذه ، كى يتخذا منها ذريعة لابعاد عثمان بك طوبال ، قائد المحمل فى هذه السنة ، عن المناصب التى كان يشغلها .

قد رصد لهم على نفقة الخزنة اعتمادا اضافيا قدره ٥٦٣٧٢٧ مدينى . ومع ذلك ، فنادرا ما كانت ترفض هذه المناصب . فقد كان من الضرورى شغلها حتى يمكن الترقى الى وظائف أعلى .

وكان السردارات الذين يختارون من أوجاقات جاموليان ، وتفكجيان وعزبان ، ومتفرقة ، يحصلون على ٨٧٩ ر { مدينى مقابل شراء البغال اللاتى يمتطونها خلال رحلتهم ، ويصرفون خلاف ذلك اعتمادا قدره ١٦٦٧ ر مدينى مقتصمين اياه مع السردارات الثلاثة الاخرين وذلك للتزود بالمؤن من بصل وجبن .

وكان أوجاق المتفرقة يوفر الحماية التى تشغل قلعة المويالح الواقعة فى الصحراء ، فى ثلث الطريق بين مكة والقاهرة . ويحصل الاغا ، قائد هذه الحماية ، من الروزنامجى على مبلغ ١٨٠ ر { مدينى ، سبق ان رصدها السلطان مصطفى خصما على نفقة الخزنة ، وذلك قبل رحيل المحمل بشهرين أو ثلاثة أشهر ، حيث كان يرحل فى ذلك الوقت المبكر ، كى يحل محل الحماية التى كانت تعمل هناك خلال السنة السابقة . ويوزع هذا المبلغ على الجنود كتعويض ، لكنه لم يكن ليحول دون حصولهم على رواتبهم المعتادة .

وعند عودة المحمل الى القاهرة ، يرسل أمير الحج عند وصوله الى طابيتى العقبة ونخل مشاة يبلغون الباشا والبكوات بوصوله . وفى الأحوال الأخرى ، كان يبعث بطلباته ورسائله عن طريق أربعة اشخاص من راكبى الجمال . ويحصل هؤلاء وأولئك من الروزنامجى على المبالغ المبينة بالجدول .

وعاى بعد مسيرة سبعة أيام من القاهرة ، يجد الناس فى قلعة نخل ، وكذلك فى قلعة العجروود ، وفى بعض أماكن أخرى آبارا تستخدم لسقاية المحمل وتجديد مئنته من المياه ، وقد رصد السلطان سليمان اعتمادات مالية لتطهير هذه الآبار وكذلك لتطهير أحواضها التى تستقبل المياه التى تنزح منها . كما حرص على رصد أموال لشراء التبن الذى تتغذى عليه الثيران المستخدمة فى نزع المياه . ويسبق المحمل ، السقاعون العاملون فى خدمة أمير الحج ، لاء الأحواض ، ولإقامة خيمة يقومون فى حمايتها بتوزيع المياه على الحجاج .

أما المبلغ (بضم الميم وبكسر اللام مشددة) فيعلن للمؤمنين أوقات

الصلاة ، ويكرر ما يلفظ به الامام . ويقوم بنفس هذا العمل فوق جبل عرفات ، وطبقا لترتيب استننه سليمان ، كان لابد أن يتم تدبير الجمل الذى يركبه هذا الرجل ، بصفة عاجلة ، مقابل ٢٠٠٠ مدينى ، يتم التصرف فيها على يد الشخص الذى يقوم بجباية رسم الخردة ، فحيث كان لهذا الاخير حق التفتيش على أسواق دواب الجمل ، فقد كان يستطيع ، بسهولة اكبر مما يستطيع بها أى شخص آخر ، أن يقوم بهذه الخدمة .

ويعين الاظلم باثنى (※) ، وهو الموظف الذى عليه أن يسير امام ركب المحمل ومعه المرطبات للامير وللحجاج ، من قبل الباشا وبترشيح من البكوات ، ويصل هذا الموظف الى منطقة اظلم عادة قبل وصول المحمل الى هذا المأوى أو المبيت بيومين ، وفيما مضى كان المحمل يصل الى طابية العقبة موظف آخر ومعه مؤن أخرى ، وعندما ألغى على بك اعتماد هذا الأخير ، وجمع منصبى وراتبى هذين المبعوثين ، لم يعد الحجاج يجدون المرطبات التى حرص سليمان على توفيرها لهم الا فى اظلم . ويتولى الاظلم باثنى شراء ونقل المأكولات التى يجلبها مقابل المبالغ الآتية :

على نفقة الميرى :

باعتباره يشغل وظيفة اظلم باثنى . ١٣٤٣٥٨

باعتباره يشغل وظيفة عقبة باثنى . ٥٨٩٢٠

١٩٣٢٧٨

على نفقة مال الجهات الذى يشكل جزءا من الكشوفية القديمة :

من حاكم ولاية الجيزة . ٩٤٠٠٠

من حاكم ولاية البحيرة . ٣٠٠٠٠٠

من حاكم ولاية الغربية . ٢٠٠٠٠٠

المجموع ٥٩٤٠٠٠

وعندما أراد محمد بك أن يجعل الاظلم باثنى فى وضع يكون معه قادرا على الوفاء بالنفقات التى تقع على عاتقه والتى أصبحت بمرور الوقت أكثر تكلفة ، فقد كلف حكام الولايات المشار إليها فيما بعد أن تدفع له

(※) اظلم أو أظلم باثنى ، نسبة الى قلعة الأظلم التى تقع الى جنوب العقبة . (المترجم)

المبالغ الآتية ، كمصاف الى ضريبة
اسلامية :

على نفقة مال الجهات :

من حاكم ولاية الشرقية ٢٥٠.٠٠٠

من حاكم ولاية القليوبية ٢٠٦.٥٥٠

من حاكم ولاية المنصورة ٣٠٠.٠٠٠

من حاكم ولاية الغربية ٤٠٠.٠٠٠

من حاكم ولاية المنوفية ٥٢٥.٠٠٠

المجموع ١٦٨١.٥٥٠

اجمالي ما يدفع على نفقة مال الجهات : ٢٢٧٥.٥٥٠

وفى الأزمنة الاخيرة ، اعطى أمير الحج الى الاظم باشى
من حصيلة الاعتمادات غير الاعتبادية التى كانت ترصد

له على التوالى مقابل مصروفات المحل ، مبلغ ٧٥٠.٠٠٠

الاجمالي العام لما يحصل عليه اظم باشى . ٣٢١٨.٨٢٨

وقد اخذ اظم باشى على عاتقه ان يقدم كافة انواع المعونات او
المساعدات التى كان يرغب أهل الحجاج فى ارسالها اليهم . وكان يحمى
موكبه حرس بتكون من ستين مموكا ، ومن ثلاث قطع من المدفعية ، ويصحب
فى موكبه فرقة موسيقية يحملها اثنا عشر جملا ، وتشتمل على عدة طبول
او صناديق من أحجام مختلفة ، وبوقين أو نفيرين ، ودفين ، ومزمارين ،
وتطلق هذه الفرقة انغاما كثيرة عندما يصل المحل الى الأزم او الى العقبة ،
وقد رصد اعتمادا قدره ١٧٦٤ر١٧ مدينى لشراء وتقديم الحلوى الى أمير
الحج . والاطم باشى هو على الدوام كاشف مملوك ، له حظوة لدى واحد
من البكوات ذوى النفوذ . وفى الأزمنة الاخيرة ، كان يحصل عقب رجوعه
من رحلته ، على حكم ولاية الشرقية ، باعتبار ذلك حقا قانونيا له .

ولم يكن المحل المتجه الى مكة والمدينة هو كل ما كانت ترسله الى
هاتين المدينين اريحية السلاطين الخيرة ، فالنقود والحبوب والزيوت
والشمعدانات والحصر التى تفرش فى دور العبادة او تخصص لاستخدام
شريف مكة وعدد من السكان ، كان كل ذلك يصل الى هناك فى ارساليات
متباعدة :

أما المعاش المخصص لشريف مكة فكان يبلغ فيما مضى ٣٤٠.٠٠٠ مدينى
ويقدر الارز الذى كان يرسل له عينا بـ ١٧٠.٩١٧ مدينى
وعندما أضاف الى ذلك السلطان مصطفى على
نفقة الخزينة مبلغ
١٢٠٠.٠٠٠
فقد بلغ اجمالى المعاش المخصص له
١٧١٠.٩١٧

أما المعاشات التى كانت من حق الشريفة أورخانة والشريفين حمزة
وحسين بركة فقد احتفظت بنفس قيمتها المبدئية ، ومع ذلك ، فبدلا من أن
يرسل لهؤلاء مبلغ ١٦٩.٠٠٠ مدينى نقدا و ٢٨.٠٠٠ مدينى عينا فى شكل
أرز ، كما كان يحدث من قبل ، بات يعطى لهم ١٩٧.٠٠٠ مدينى فى شكل
مسكوكات (قطع نقدية) .

ويمر الحمل بينبع ، وهى مدينة وثغر تقع على البحر الأحمر فى
منتصف المسافة بين مكة والقاهرة . وقد حصل حاكمها ، وهو دوما من
أقارب شريف مكة ، من السلطان مصطفى على راتب سنوى قدره ١٨٠.٠٠٠
مدينى ، على نفقة الخزنة ، دون أن يكون ملزما بأية انفاقات لخدمة
الحمل .

أما الحبوب التى ترسل الى مكة والمدينة فكانت توفرها المخازن
العمومية ، وطبقا للجدول الذى سبق أن قدمناه عن استخدامات المينرى
العينى (أى الذى يسدد فى شكل حبوب ومواد غذائية) فقد كانت الحبوب
المرسلة الى هناك تبلغ ٦٤.٠٥٣ أردبا من الشعير تعادل عند تحويلها الى
قمح ٤٢.٧٠٢ أردبا ، وكان أفندى المتفرقة يحصل على ٧٦٢.٣٦٩ مدينى
مقابل نقلها من القاهرة الى السويس ، أما قبطان بك ، حاكم هذه المدينة ،
فيحصل على ٩٧٥.٠٠٠ مدينى كى يرسلها الى جدة بالاضافة الى راتب
قدره ١٠٠.٠٠٠ مدينى ، وكانت تقوم بنقلها الى الميناء الاخير خمسة عشر
صندلا يلتزم الباب العالى بتجديدها عندما لا تعود صالحة للعمل ، وتقع
نفقات صيانة هذه العمائر وكذلك أجور بحارتها على عاتق حاكم السويس ،
وقد سبق لنا القول بأن هذا الضابط لم يكن خاضعا لاوامر حكومة القاهرة ،
كذلك فانه لم يكن يحيط بتحركاته علما الا للسلطان ، وحين بذل على بك
محاولاته لنيل الاستقلال لاذ القبطان بك بالفرار ، وبدلا من ان يقوم على
(بك) بارسال حبوب الى السويس ، كتب الى شريف مكة كى يستعى

لتسليمها بالقاهرة ، وحين أقر القبطان باشا ذلك الترتيب الذى أعفى الإدارة المصرية من نقل هذه الحبوب الى السويس ثم الى جدة ، ظل شريف مكة يعمل على تسليمها على نفقته ، وهكذا انخفضت المصروفات التى تتصل بهذا الأمر الى مبلغ الـ ١٢٠٢٢٥ مدينى التى أوردناها بالجدول باعتبارها خصما أو تنازلا تم لحساب الروزنامجى مقابل الأجور التى كان يدفعها فيما مضى الى قائد السويس وأفندى المتفرقة . أما مبالغ الـ ٧٦٢٣٦٩ والـ ٩٧٥٠٠٠ والـ ١٠٠٠٠٠ التى كانا يحصلان عليها فقد بقيت فى الخزنة مما زاد من حجمها بنفس هذا القدر ، منذ أن توقف استخدامها .

أما قاضيا مكة والمدينة فقد كانا ملزمين باستجلاب الحبوب المرصودة لهما من القاهرة ، ويحصلان فى مقابل مصروفات نقلها على مبلغ الـ ٢٣٥٨١ مدينى (التى وردت بالجدول) .

وحيث قد زادت أسعار الزيت منذ عهد السلطان سليمان ، فى حين لم تزد الأموال المرصودة (لشرائها) فان الكمية التى ترسل منه اليوم هى أدنى بكثير مما كان يشتريه من قبل المبلغ المرصود لذلك ، وفيما مضى كان يمنح كمصروفات لشحن هذه المادة من القاهرة الى السويس مبلغ ٨٧٥٤ مدينى . ثم خصص السلطان مصطفى لذلك اعتمادا اضافيا قدره ٨١٥٠ مدينى على نفقة الخزنة .

ويبلغ عدد الشمعدانات المخصصة لمسجد المدينة اثنين ، ولا بد أن يزن كل واحد منهما نحو ٥٠٠ رطل ، وكانا يوضعان بجوار قبر النبى ، ولم تكن نفقات صنعهما وشحنهما لتتجاوز فيما مضى ٦٣١٩٠ مدينى ، وان كان هذا الضرب من الانفاق قد ارتفع الى الـ ١٢٣٨١٣ مدينى الواردة بالجدول ، وذلك عندما خصص السلطان مصطفى لهذا الغرض اعتمادا اضافيا قدره ٦٠٦٢٣ مدينى على نفقة الخزنة .

أما الحصر ، فكان يقوم بتوفيرها كاشف ولاية الفيوم ، فى حدود المبلغ المرصود لها ، والذى كانت تخصص منه نفقات النقل ، وتخصص هذه الحصر لتغطية أرض المساجد الكائنة بمكة والمدينة .

الفصل الثانى

الانفاقات التى تقع على عاتق اصحاب المناصب

سبق لنا القول بأن رواتب اصحاب المناصب تتكون من ضرائب غير مباشرة يمارسون جبايتها ، ومن الامتياز الذى منح لهم فى شكل قطعة من الارض . واذا كان هذا النظام الادارى يقلص من جهة حصيلة العوائد التى خص بها السلطان نفسه ، فانه من جهة اخرى قد اعفاه من تحمل بعض الانفاقات العامة .

وسنوضح تلك الانفاقات التى كان على الباشا والبكوات ان يسهموا بها ، لكننا لن نشير على الاطلاق الى بقية الانفاقات التى كانت تقع على عاتق الموظفين الأدنى ، بسبب ضآلة أهميتها .

أولا — الانفاقات التى تقع على عاتق الباشا :

يقتضى الأمر منا ، بسبب ذلك التفويض الذى حصل عليه الباشا والبكوات ، باحداث تغيير فى الدخول وفى الانفاقات التى تتم لحساب السلطان ، شريطة أن يعوضوا من مالهم الخاص أى تخفيض فى الضرائب أو مستحقات يريدون أن يرفعوها عن كاهل أحد الممولين ، وأن يضمنوا للخرينة ، فى حالة زيادة أو خلق انفاق جديد ، المال اللازم لتسديدها — يقتضى منا كل ذلك أن نورد هنا — وفى داخل هذا الاطار — الحصص التى كان يسهم بها الباشا فى تسديد الميرى المقرر على الفرق العسكرية أو على الافراد ، على النحو الآتى :

| | | |
|-----------------------------------------------|----------|-------|
| عن الأوقاف الأهلية الثمانية الخاضعة للميرى | ١٧٨ر١٢٠ | مدينى |
| عن الكخياوات الثلاثة لأوجاقات جاموليان | | |
| وتفكجيان وشراكسة | ٦ر٠٠٠ | |
| عن أمين الاحتساب | ١٧٤ر٥١٩ | |
| عن الولاة الثلاثة للقاهرة ومصر العتيقة وبولاق | ٤٦ر٣٩٢ | |
| عن أوجاق الانكشارية كجزء من الميرى المقرر | | |
| على جمرك الاسكندرية | ١٣٣١ر٢٤٩ | |
| عن أوجاق العزبان عن الرسوم المسماة بحرين | ١٦٠ر٠٠٠ | |

الإجمالى ١٨٣٨ر٣٣٨

ولم يبين السلطان سليمان مطلقا ، بشكل رسمى مدى وحجم ذلك العدد الكبير من الانفاقات التى وضع على عاتق الباشا مهمة الوفاء بها ، فيما عدا الميرى المقرر على منصبه وكذا الميرى المفروض على العوائد والدخول التى اجراها عليه ، ولكن العادة ، وهى هنا تقوم مقام الرغبة الصريحة ، قد حددت الرواتب او المعاشات التى كان عليه ان يعطيها لكل من يعملون فى قصره ، وللروزنامجى ، وللبقية الافندية بالاضافة الى ما عليه ان يقدمه من هدايا وخلعات وقناطين كان يتلقاها رؤساء الفرق العسكرية او الرؤساء الذين يلتحقون بخدمة الحكومة او بالادارة والتى تقدم اليهم فى احتفالات عامة تقام احتفالا بتوايتم هذه المناصب .

ثانيا - الانفاقات التى تقع على عاتق البكوات او الكشاف

حكام الولايات :

تقررت الانفاقات التى يقوم باعبائها البكوات او الكشاف حكام الولايات ، طبقا للوائح السلطان وحكومة القاهرة ، مستقلة عن الميرى المفروض على مناصبهم ، وتدفع هذه الانفاقات عن ذلك الجزء من عوائد الارض ، والمسمى كشوفية ، وهو ما كان هؤلاء الحكام يجبونه من الملتزمين .

ويوضح الجدول الاتى ، حجم وموضوعات هذه الانفاقات .

| الإجمالي | الرسوم التي ينبغي على الحكام أن يدفعوها للباشا | رواتب الموظفين وغيرهم من التابعين للحكام ونفقات أخرى تقع على عاتقهم | الى الشوربجي والضباط وجنود الفرق المنتشرين في الولايات | الى أظلم باشي الضابط الذي يسير في مقدمة الحمل | |
|------------|------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------|-----------------------------------------------|-----------------------|
| مديني | مديني | مديني | مديني | مديني | |
| ٨٨٧,٣٦٢ | ٢٢٧,٤٢٥ | ٦٥٩,٩٣٧ | — | — | حاكم ولايات قنا وإسنا |
| ٦٢٠,٢٤١ | ٢٠٠,٠٠٠ | ٤٢٠,٢٤١ | — | — | وجرجا وسيوط |
| ٨٥٣,٣٩٦ | — | ٨٥٣,٣٩٦ | — | — | منفلوط |
| ١,٨٩١,٥٩١ | ١٦٧,٠٨٥ | ١,١٩٧,١٩٠ | ٥٢٧,٣١٦ | — | المنية |
| ٥٤٤,٧٢٥ | ٥٠٠,٠٠٠ | ٤٤,٧٢٥ | — | — | بنى سويف |
| — | — | — | — | — | الفيوم |
| ٩٦٥,٩٩٦ | ٢٥,٠٠٠ | ٨٤٦,٩٩٦ | — | ٩٤,٠٠٠ | ليست هناك أية انفاقات |
| ١,٠٦٣,٢٧١ | — | ٦١٣,٢١٧ | ٢٤٣,٥٠٤ | ٢٠٦,٥٥٠ | مقررة على ولاية اطيح |
| ٢,٠٥٤,٠٦٨ | ٣٥,٤٨٥ | ١,١٦٠,٠٣٣ | ٦٠٨,٥٥٠ | ٢٥٠,٠٠٠ | كم الجيزة |
| ٢,٢٠٦,٧٠٢ | ٢٤٧,٢٣٨ | ١,١٠٧,٥١٨ | ٥٥١,٩٤٦ | ٣٠٠,٠٠٠ | القليوبية |
| ٢,٥٢٢,٠٤٨ | ١٥٢,٤٢٧ | ١,٣٩٩,٨٤٣ | ٦٦٩,٧٧٨ | ٣٠٠,٠٠٠ | الشرقية |
| ٤,١٤٠,٣٣٢ | ٦٥٩,٩١٥ | ١,٩٨٠,٦٧٤ | ٨٩٩,٧٤٣ | ٦٠٠,٠٠٠ | البحيرة |
| ٢,٥٨٥,٧٨٦ | ٢٠٧,٦٤٠ | ٩٥٧,٦٧٠ | ٨٩٥,٤٧٦ | ٥٢٥,٠٠٠ | المنصورة |
| ٢٠,٣٣٥,٥١٨ | ٢,٤٢٢,٢١٥ | ١١,٢٤١,٤٤٠ | ٤,٣٩٦,٣١٣ | ٢,٢٧٥,٥٥٠ | الغربية |
| ٧٢٦,٢٦٨ | ١٠ | ويعادل الاجمالي العام | | | الاجمالي |
| ٧١٧,٣٠١ | ٢٢ | وبالفرنكات | | | |

وكنا عند حديثنا عن اظلم باشى قد عرفنا بوجوه انفاق الاعتمادات التي كان يحصل عليها من البكوات باسم : اسلامية من عوائد مال الجهات (١) .

ويشتمل العمود الثاني (في الجدول السابق) على الأجر أو الرواتب التي كان على اصحاب المناصب أن يسددوها للتشوريجي ، ولفرسان اوجاقات تفكجيان وجاموليان وشراكسة وبصفة عامة الى كل رجال الاوجاقلو العاملين في دوائرهم ، لكن هذا الضرب من الانفاق لم يكن ليبقى اى نفع للبكوات اذ يبلغ حجمه نفس عائد الضريبة التي انشأها سليمان لتوفير هذه الاعتمادات (٢) .

أما العمود الثالث فيتكون من الانفاقات التي ادت الى نشأة رسوم الكلفة .

وتوضع البيانات التالية وجوه انفاقها :

رواتب متنوعة تدفع الى موظفين وغيرهم من التابعين لاصحاب المناصب .

صيانة الجسور والترع السلطانية .

عادات قاضى الولاية .

عادات دجانجى باشى .

عادات الجيبجى باشى .

عادات مفتش الموازين .

البهائم التي تذبح لتوزيع لحومها على الفقراء اثناء بعض الاعياد .

عادات معتادة لبعض المشايخ ولاضرحه الاولياء .

عادات للمساجد .

اتاوات تدفع للعربان .

أجر العامل المكلف بعمل القهوة للفرقة .

عادات للافا على الحبوب .

صيانة الابار العامة .

(١) انظر ص ٢٢٩ .

(٢) انظر في جدول الكشوفية ص ٥٩ خديم العسكر .
وهنا ، كما في كل أقسام هذا المؤلف ، تبدو الأتوال التي تتكرر في معظم الاحيان ، عن تفكك أو تحلل الأوجاقات متعارضة مع ذلك الحرص

الولاية التي يلتزم باقامتها الحاكم للشوربية عند مغادرتهم للولاية
اكراميات للمذكورين .

وعندما كان البكوات او الكشاف يبدون فى تملك زمام الولايات التي آل
اليهم حكمها ، كان الباشا ورجال قصره يجبون منهم رسم تنصيب يتضمن
المبالغ التي تكون العمود الرابع .

ومع ذلك فلا ينبغي أن نضم هذه الانفاقات الى تلك المصروفات الناتجة
من استخدام الميرى والتي تنفق فى وجوه انفاق مماثلة . وقد سبق أن
لاحظنا أن مبلغ الـ ١٩٣٢٧٨ مدينى التي تفرض على الميرى لتشكل
اعتمادا يمنح لاطم باشى ، كانت تسدد مستقلة عن الـ ٢٢٧٥٥٥ مدينى
التي يحصل عليها هذا الضابط مباشرة من حكام الولايات . ونلاحظ نفس
الشيء فيما يختص بخدمة العسكر التي يدفعها هؤلاء الحكام للجنود المنتشرين
فى الولايات ، فهي تتطابق فى غرضها مع تذاكر الجاويشية التي كان هذا
الاجاق يحصل عليها من الروزنامجى .

وكان البكوات يحرصون على دعم مماليتهم وذلك بأن يوزعوا عليهم
مناصب الدولة او قرى مصر (١) . وكانت دخولهم ، بوصفهم ملتزمين ، توفر
لهم الوسائل التي تكفل لهم دفع رواتب لاولئك الذين ليست لهم مناصب
او الذين لا يجرى لهم راتب من أى نوع ، مع العناية بأموالهم .

الواضح على بقاء الانفاقات التي انشئت لصالحها ، وحيث لم تصل روح
الاستقلال التي تميز بها البكوات مطلقا الى تخريب أو قلب فعلى لقوانين
السلطان ، وحيث احتفظت الاجاقات لنفسها بوجود شكلى عن طريق
عدد ضئيل من الاتراك يشغلون فيها بعض الرتب قليلة الاهمية أو التي نزع
عنها اختصاصاتها القديمة . فقد ظل هؤلاء الضباط ينظرون لانفسهم باعتبارهم
خلفاء للاوجاقلو القدماء ، وفى نفس الوقت فان المالك الذين اغتصبوا —
ربما — كل الوظائف العليا التي كان رجال الاجاقلو يشغلونها ، قد أبقوا على
هذا النظام العسكرى بأن كانوا يخلعون على أنفسهم نفس الالقاب التي كان
يتصف بها رجال الفرق العسكرية .

(١) عندما وصل الجيش الفرنسى الى مصر ، كان البكوات ومماليتهم
ملتزمين لاكثر من ثلثى القرى ، وكانوا ، بالإضافة الى ذلك ، وكما سبق لنا
أن لاحظنا ، يتمتعون بأكثر قدر من الرسوم غير المباشرة .

ويتم بيان هذه المصروفات ، التي كان يتم انفاقها على جماعة كانت تكون في الأزمنة الأخيرة الوضع العسكري لمصر ، تلك الانفاقات التي كان على اصحاب المناصب ان يوفوا بها .

الفصل الثالث

موجز بالانفاقات التي تقع على عاتق السلطان

بيننا من قبل تلك الانفاقات التي كان يقع على السلطان عبء تدبيرها من الميرى الذي يستبقه لنفسه ، ولما كانت تلك الانفاقات التي ذكرناها في الفصل السابق مستقلة عن تلك التي نشير اليها ، برغم اتصالها بأعمال الصالح العام . ولانها لم تكن لتدخل مطلقا مثل الاخريات في الحساب العام ، ولان السلطان لم يكن يأخذ بها علما الا ليتأكد من أنها قد أنفقت ، فاننا لن نتناولها في بقية هذا المؤلف .

واليكم موجزا للجداول التي قدمناها عند حديثنا عن الانفاقات التي يقع عبئها على عاتق السلطان .

| بالقرنكات | بالجنيه التورى | بالمدينى | رواتب مخصصة لموظفين متفرقين |
|-----------|----------------|----------------|-----------------------------|
| س ف | ل س د | | |
| ١٠٣,٦٧٧ | ١٤ ١٠٤,٩٧٣ | ٢ ٢,٩٣٩,٢٤٧ | |
| ١,٠٥٣,٧٠٩ | ٣١ ١,٠٦٦,٨٨٠ | ١٢ ٢٩,٨٧٢,٦٥٧ | مصروفات الجيش |
| ٩٣,٦٠٠ | ٩٠ ٩٤,٧٧٠ | ١٧ ٢,٦٥٣,٥٨٥ | مختلفة |
| ٢٩٧,٦٧١ | ٧٧ ٣٠١,٣٩٢ | ١٢ ٨,٤٣٨,٩٩٤ | معاشات |
| ٤٩٠,٠٢٣ | ٥٤ ٤٩٦,١٤٧ | ١٦ ١٣,٨٩٢,١٣٩ | أعمال ومؤسسات خيرية |
| ١,٤٨٤,٠٠٩ | ٨ ١,٥٠٢,٥٥٩ | ١ ٤٢,٠٧١,٦٥٤ | محل مكة |
| ٣,٥٢٢,٦٩٠ | ٧٤ ٣,٥٦٦,٧٢٤ | ٢ ٩ ٩٩,٨٦٨,٢٧٦ | الاجمالى |

ولقد سبق لنا ان عرضنا عند تقديمنا موجزا بدخول السلطان لوظائف
الأفندية الموكلين بأمور الجباية ، ولذا فان من المناسب ان نبين هنا اختصاصات
اولئك الذين يديرون عمليات الانفاق .

يختص أفندی المقابلة بسجلات رواتب الموظفين ومصروفات الجيش ،
والانفاقات المتنوعة والمعاشات ، والأعمال والمؤسسات الخيرية التي رصد
لها السلطان اعتمادات نقدية ، ويلتزم هذا الأفندی بأن يدون في سجلاته
التغيرات التي تطرا على أولئك الذين يفيدون منها . ويمسك أفندی الكسوة
بسجل يوضح كل النفقات التي تنتمي لنفس هذا النوع . وهو يحتفظ
بسجل المعاشات التي تكون الصرة ومصروفات الحمل . وهناك أفندی ثالث
يختص بكل النفقات التي تنجم عن أوراق المرتبات (الجامكية) ، فينظم
عمليات صرفها مع أفندية الأوجاقات ، وبشكل عام مع كل من يمكنه الحصول
على أوراق مالية من هذا النوع . أما أفندی المحاسبة فيمسك بحساب كل
ما يرسل الى الباب العالي نقدا او في شكل مواد غذائية ، وكذلك بحساب
اية مصروفات تتم على نفقة الخزنة . وينصرف نشاط أفندی اليومية الى
حصيلة أوقاف الحرمين ، التي تصب حصيلتها كما سبق لنا القول بين يدي
الروزنامجى . ولم يكن هؤلاء الأفندية يسددون أى شىء بأنفسهم ، وانما كانوا
يسحبون المخالصات وغيرها من المستندات من الاطراف المستفيدة ، ليبدلوها
بحوالاات قابلة للدفع من صندوق الروزنامجى . ولم يكن الصراف الموكل
بالدفع يسدد قيمة الحوالاات التي سلمها هؤلاء الأفندية ، الا بعد ان يؤشر
عابها بختمه باش حلفا المصروفات وذلك بعد ان بطابقتها على بيانات السجل
العام الذى يمسكه لكل الانفاقات التي تقع على عاتق الخزينة ، وبعد ان
يتأكد من بنود ودوافع الانفاق . ويقدم الأفندية حسابات سنوية بحصيلة
أوراق او مستندات الانفاق التي حصلوا عليها من المستفيدين منها . ويتسلم
الروزنامجى هذه المستندات ، فهو المركز الوحيد الذى تتجمع لديه كل
التحصيلاات وكل الانفاقات . وكل الأفندية والحلفا هم مرعوسون للروزنامجى
وان لم يكن بمقدوره ان يغير من النظام الذى يحدد اختصاصات وظائفهم ،
ويخضع له كذلك أفندية الفرق العسكرية برغم أنهم يعينون بمعرفة اوجاقاتهم ،

وهو يحاسبهم على الأموال التي أودعت لديهم ، كما كان يسلمهم كل عام الاعتمادات التي رصدت لكل أوجاق ، ليتموما بتوزيعها طبقا لتعليماته .

وحيث يمتلك هؤلاء الأفندية ، سواء منهم من يعمل بالتحصيل أو من يوكل بشئون الانفاق ، وظائفهم ، وحيث كان لهم حق بيعها أو توريثها ، فلم يكن بالمستطاع انزاع هذه الوظائف عنهم بشكل تعسفى ، ولم يكن الروزنامجى يتفحصهم الا لى يتأكد من أن الكفاءة اللازمة لممارسة عملهم متوفرة لديهم ، ومع ذلك فقد كان هؤلاء يرغبون على بيع وظائفهم حين لا يجد الروزنامجى لديهم المعرفة الكافية ، أو عندما يخل هؤلاء بواجباتهم عند ممارستهم لوظائفهم . ويحصل الروزنامجى ، باعتباراه ابنا للديوان ، على بشورة هذا الديوان بالنسبة لكل ما يتصل باختصاصاته . ووظيفته غير قابلة للنقل (أو أنه هو غير قابل للعزل) ، وكان محرما عليه ، وعلى كل مرعوسيه كذلك ، تقديم أقل أو اوهى معلومة الى أى مخلوق ، كائنا من كان ، عن موارد ومصروفات وادارة مصر الا بعد حصوله على اذن محدد وصريح من السلطان أو من الباشا . وهذه الأسرار التي اتبعت باخلاص وأمانة ، هى التي أضفت الكثير من الاعتبار والاهمية على هؤلاء الأفندية . وكانوا — هم — غيورين على ذلك لدرجة أنهم استخدموها فى مسك دفاترهم حروفا غير معروفة (*) . ويتباهى الشرقيون بعلم هؤلاء الأفندية ورقتهم ودمائتهم ، وتيسر لهم هذه الميزات مداخل سهالة لدى الكبار . وكان هؤلاء يجربون ، بخلاف العسائيا التي يحصلون عليها من الخزنة ، رسما بسيطا على من يقدر عليه إن يتعامل معهم من الأشخاص . وقد جعلتهم هذه الميزات المختلفة يحصلون على ثروات ضخمة ، وكانت الغالية العظمى من الأفندية ممالك ، وكان لهم خلفاء ، هم أولاد لهم بالتبنى ، شابههم فى نفس بدايتهم ، وبدلا من أن يجعلوا منهم جنودا على غرار ما يفعل البكوات والكشاف كانوا يلقتونهم أصول مهنتهم كى يجعلوهم أكفاء فى شغل وظائفهم هم لكنا تجهل لماذا لم تكن وظائف كبار الأفندية

(*) وهى ما يسمى بخط القرمة . (المترجم)

العاملين فى شئون الانفساقات والمصرفات خاضعة لدفع الميرى ، مثلها فى ذلك مثل وظائف الامنية العاملين فى حقل الجباية والتحصيل . وكان هناك ، فوق ذلك كله ، افندية يديرون المدارس ، ينسخون او يضعون الكتب ، وكان من النادر ان يهجر هؤلاء او اولئك مهنتهم كى ينخرطوا فى سلك مختلف .

الباب الثالث

محصلة موارد وإنفاق السلطان

الخزنة أى الأموال التى ترسل اليه فى القسطنطينية

لمسنا من قبل أن الموارد التى تجبى لحساب السلطان ، والنفقات التى تقع على عاتقه تبلغ ما يلى :

| | | | |
|--------------------------------|-----------|-----------|-------|
| الموارد | | ١١٦٦٥١٧٢٧ | مدينى |
| الانفقات | | ٩٩٨٦٨٢٧٦ | |
| المحصلة (ما كان يبقى للخزنة) | | ١٦٧٨٣٤٥١ | مدينى |

تعاذل بالجزيهات التورية :

| | | |
|---|----|---------|
| د | س | |
| ١ | ٢ | ٤١٦٦١٣٣ |
| ٩ | ٢ | ٣٥٦٦٧٢٤ |
| ٤ | ١٩ | ٥٩٩٤٠٨ |

وبالفرنكات :

| | |
|----|---------|
| س | |
| ٤٧ | ٤١١٤٦٩٩ |
| ٧٤ | ٣٥٢٢٦٩٠ |
| ٧٣ | ٥٩٢٠٠٨ |

وكانت لائحة السلطان سليمان قد وصلت بهذا الفائض الى ٣٠٨٨٣٨٧٦ مدينى
وحيث حصل هذا الفائض فى عهد خلفائه
على زيادة قدرها ١٩١٧٧٤٩
وعلى نقص قدره ١٦٠١٨١٧٤
فقد تلص هذا الفائض (الخزنة) الى . . . ١٦٧٨٥٤٥١

وهذا المبلغ هو الذى يطلق عليه اسم خزنة ، وهو نصيب السلطان الذى خص به نفسه من الضريبة ، وظل يرسل اليه بانتظام حتى عهد على بك الذى تجاسر على رفض ارساله اليه . ثم عاد محمد (أبو الذهب) خليفته الى الالتزام بدفعه ، بل لقد بادر بارسال الضريبة المستحقة عن السنوات الاربع التى رفض على بك ارسالها طوالها . وقد واصل ارسالها مراد و ابراهيم ، ومع ذلك ، فلما كان من سلطة الباشا أن يخصم من هذه الضريبة الاموال اللازمة للانفاقات الملحة وغير المتوقعة ، والتى يقرر أنها تقع على عاتق السلطان ، فقد أساء هذان البكوان استخدام هيمنتهم فى ابتزاز الفرمانات التى تخول هذه الانفاقات الخرافية والتى كانا يخصان نفسيهما بقيمتها .

وقد شاء القبطان باشا حسن أن يزيد من حجم الخزنة بمقدار ٦٨٠.٠٠٠ ر. مدينى وزعها على النحو التالى :

(١) ادى توقف دفع مصروفات نقل الحبوب من القاهرة الى جدة ، وهى المصروفات التى أنشأها سليمان ، منذ اللحظة التى أقر فيها القبطان باشا هذا الاجراء الذى اتخذه على بك فى هذا الخصوص الى زيادة حجم الخزنة بنفس قيمة هذه الانفاقات التى توقف دفعها على النحو التالى :

762369
975000
1000000
مدينى 1837369 ر. مدينى
وهناك بالاضافة لذلك راتب سبق أن تناولناه وقدره 80380

كان سليمان قد خصه للبك قائد جدة ، توقف دفعه بالمثل وبقي فى الخزينة ، عندما أرسلت حكومة مصر هذا البك الى جرجا بدلا من أن تقلده منصب القيادة ، وحصلت من السلطان على قرار بأن الباشا الذى يرسله الى هذه المدينة ، سيتخذ مقرا له فى جدة . (وبذلك نجد لدينا من حصيلة هذين الوفيرين المبلغ المطابق للزيادة الواردة بالجدول السابق وهو (*)) :
1917749 ر. مدينى

(٢) من المناسب أن نجمع فى داخل هذا المنظور الاعتمادات الاضافية الناجمة عن استخدامات هذا المبلغ والتى منحت على نفقة الخزنة بعهد سليمان :

على يد السلطان مصطفى :

(*) ما بين القوسين هو زيادة فى الايضاح من جانب المترجم .
(وصف مصر - م ١٧)

لزيادة حجم الميرى :

| | | |
|-----------------------|-----------|------------------|
| على جمركا الاسكندرية | | ٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠ مدينى |
| على البوصير والسنامكى | | ٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠ |

اعتماد اضافى لراتب الباشا خاص بتموينات

| | | |
|-------------------------------------|-----------|--------------|
| الحبـوب | | ٤٣٢٠٠٠ مدينى |
| موارد أوجاق المتفرقة من قرية سرنباى | | ٤٨٤ |
| لجرى عيون مصر العتيقة | | ٤٠٠٠٠ |
| لبئر يوسف أفندى | | ٣١٠٠٠ |
| للشربات (المشروبات الحلوة) | | ٧١١٢٤ |
| للعدس والارز | | ٧٠٢٩٦٩ |
| لصيانة مقبرة القاضى زين العابدين | | ٣٠٠ |
| لصيانة مقبرة الشيخ محمد كريم الدين | | ٢٠٠٠٠ |

على يد القبطان باشا حسن :

| | | |
|---------------------|-----------|-------|
| معاش لعائلة الشناوى | | ١٠٠٠٠ |
|---------------------|-----------|-------|

على يد السلاطان مصطفى :

| | | |
|--------------------|-----------|--------|
| الكسوة | | ٢٦٤٨٠٧ |
| اعتماد اضافى للصرة | | ١٤٥١٤٣ |

لامير الحج :

| | | |
|---------------------------|-----------|----------|
| على يد السلطان مصطفى | | ٢٥٨٧١٠٧ |
| على يد السلطان عبد الحميد | | ٥٠٠٠٠٠٠ |
| على يد السلطان سليم | | ٥٠٠٠٠٠٠ |
| المجموع | | ١٢٥٨٧١٠٧ |

على يد السلطان مصطفى :

| | | |
|---------------------|-----------|---------|
| للسردارات | | ٥٦٣٧٢٧ |
| لحامية قلعة المويلح | | ١٨٠٠٤٤٠ |
| لشريف مكة | | ١٢٠٠٠٠٠ |
| للامير حاكم ينبع | | ١٨٠٠٠٠٠ |
| لنقل الزيت | | ٨١٥٠ |
| شمعدانات | | ٦٠٠٦٢٣ |

مبلغ مطابق ١٦٠١٨١٧٤

وكما قلنا فان القبطان باشا قد استبعد من نفقات الميرى مبلغ الـ ٧٠٥٣٥٠ مدينى الذى كان يستخدم فيما مضى فى مشتريات مشاققة الكتان ومبلغ الـ ٨٧٥٩٧٢ المخصص لشراء سكر الذى يرسل الى القسطنطينية، وأمر بخصم هذه المبالغ من الخزنة اذا ما طلبها السلطان .

على قرية المطرية ٢٠٠ر٠٠٠
على محلات الجزارة بالقاهرة ٢٠٠ر٠٠٠
المبلغ المطابق ٦٨٠٠ر٠٠٠ مدينى

وفى عام ١٢٠٥ من الهجرة ، عندما أعقب موت اسماعيل بك عودة عهد البكويين مراد و ابراهيم ، حصل هذان الاميران من السلطان على خفض (فى قيمة الخزنة) يعادل مبلغ الـ ٦٨٠٠ر٠٠٠ مما عاد بالخزنة الى حجمها السابق ، وان كان هذا الخفض لم يمنعهما من اتيان كل ضروب الخيانة (وفساد الذمة) التى كانا يتهمان بها اثناء ادارتهما الاولى ، فأدخلا ضمن الاموال المرسله للسلطان كل السندات والأوراق والمخالصات التى تبين الانفاقات ، صحيحة كانت أم زائفة ، والتى يريان أنه ينبغى ان تتحملها الخزنة . ولم تعد الضريبة السنوية التى يستحقان لها بالوصول الى الباب العالى تتجاوز مبلغ ٧٥٠٠ر٠٠٠ مدينى .

ويقدم الجدول الآتى مثالا على الادعاءات التى كانا يتذرعان بها عادة لانقاص الخزنة :

كانت الخزنة التى ينبغى ارسالها للسلطان تبلغ ١٦٧٨٣ر٤٥١ مدينى
وكانا يخصمان منها :

لشراء مشاققة الكتان (١) ١٠٠٠ر٠٠٠

لشراء السكر (١) ١٠٠٠ر٠٠٠

لتوزيع استحكامات

القاهرة (٢) ٣٠٠٠ر٠٠٠

لنفس الغرض فى مناطق

أخرى (٢) فى مصر ١٥٠٠ر٠٠٠

انفاقات متفرقة بأمر شيخ

البلد (٣) ٢٧٨٣ر٤٥١

(١) تختلف قيمة هذه الانفاقات تبعا لحجم طلبات حكومة القسطنطينية .

(٢) وقد ثبت أن البكويين لم ينفقا شيئا على هذه الاستعدادات .

(٣) كان شيخ البلد عادة يأمر بهذه الانفاقات لمنفعته الخاصة ، وقد

أصبحت هذه الانفاقات مشروعة أو قانونية شأنها فى ذلك شأن الانفاقات

السابقة وذلك بعد أن تم ابتزاز فرمانات من السلطان تخول هذه

المصروفات .

مجموع ما يخصم ٩٢٨٣٤٥١ ر
وبذلك لم تعد الخزنة تبلغ سوى ٧٥٠٠٠٠٠ ر مدينى

د س
تعداد ١٠ ٢ ٢٦٧٨٥٧ جنيها توريا
وبالفرنكات ٢٦ ٢٦٤٥٥٠ فرنكا

وكان سليمان قد قرر أن واحدا من بين الأربعة والعشرين بك ، يحمل لقب أمير الخزنة ، سوف يحمل كل عام خراج مصر الى الساطان ، وأن يعمل تحت امرته ، لتأمين هذا الموكب ، سردار وسربة يتكون افرادها من الاوجاقات العسكرية السبعة كلها . فما أن كانت تتم جباية الضريبة ، حتى يتوجه الروزنامجى الى الباشا ومعه قيمة الخزنة ، وفى اليوم الذى يتقرر تسليم الخزنة فيه ، يجتمع بالقلعة ، كل من رؤساء الاوجاقات والبكوات والقاضى وكل أعضاء الحكومة : ويراجع عدد المسكوكات النقدية وتفحص على يد الصراف كاتب الخزنة ، والذى ينبغى أن يكون يهوديا حتى يشغل هذه الوظيفة . وبعد أن يوقع الباشا والروزنامجى البيان المفصل بحساب وقيمة الخزنة ومستنداتها تودع الخزنة فى صناديق مغطاة بالجلد ، ويعهد بها الباشا الى أمير الخزنة الذى يعطى ايصالا باستلامه لها . وأثناء تحميل الصناديق على الجمال المخصصة لانتقالها ، يخضع الباشا على الأمير عباءة سوداء فاخرة ، ويفطى الروزنامجى بعباءة أخرى أقل فخامة ، لكنها من نفس اللون ، ثم يوزع قفاطين على السردارات قادة الحرس . ويحضر البكوات ورجال الاوجاقات رحيل أمير الخزنة ، ويحيطون به فى موكب مهيب عند اجتيازه القاهرة وحتى العدلية ، وهو مكان يقع بين العقبة وبركة الحج . ويعلن عن هذا الحفل منذ العشية عن طريق ألعاب نارية تتم فى العدلية ، بفعل طلقات مدفعية تظل تتكرر حتى لحظة الرحيل . ويتخذ أمير الخزنة طريقه الى القسطنطينية مرورا بدمشق . وكان السلطان سليمان هو الذى حدد بنفسه تفصيلات هذه الرحلة ، كما حدد المبالغ التى ينبغى أن تتحملها الخزنة لصروفات النقل ، وشراء الصناديق والحقائب والجلود والسجاجيد التى تستخدم لغطائها . وقد خصص :

لنقل الخزنة ٥٠٠٠٠ مدينى

للجلود ٩٧٥٧

للسجاجيد ١٣٤٠ ر.هـ

للمسناديق ١١٤٢٣ ر.هـ

ولم تكن تبسط السجاجيد الا حين يدخل الأمير المناطق الآهلة كى يضمن
بعض الإبهة على موكب يتجه الى مقر سلطان .

وقد كف الكخياوان ابراهيم ورضوان عن ارسال هذه الخزنة مع هذه
الرسميات الاحتفالية التى اوردنا تفاصيلها . وحذا خلفاؤهما حذوهما . وقبل
مجيء الفريسيين الى مصر لم يكن الباب يحصل على شىء ، الا اذا اوفد -
هو - الى القاهرة أغا موكل بصفة خاصة بالحصول على الاتاوة (الخراج)
المقررة ، بل ان مثل هذه الارساليات لم تعد تتم فى العادة الا مرة واحدة
كل ثلاث سنوات ، وفى كل مرة ، كان يتم تحصيل قيمة الخراجات التى تراكمت
فى هذه المدة ، ولم يكن يصحب قدوم أو رحيل الاغا أى ضجيج ، اذ كان
الباشا يسلم اليه ببساطة شديدة ، وفى حضرة القاضى المسكوكات
ومستندات المخالصة التى تكون الخزنة ، وكان على الاغا نفسه ان يتخذ
الوسائل التى تناسبه لتأمين عودته الى القسطنطينية ، وهكذا لم يعد ثمة
ما يسوغ تلك المبالغ التى سبق ان اعتمدها سليمان لنقل الخزنة كما ان ذلك
لم يؤد الى أى خفض فى ال - ١٦٧٨٣ ر.هـ ١٦٧٨٣ ر.هـ (وهى قيمة الخزنة)
التى بينها ، ذلك ان المبالغ المشار اليها لا تدخل فى أى جدول من جداولنا .

الكتاب الثالث

دراسات قصيرة

(١)

معامل التفريخ

روزبيره روييه

« العنوان الأصلي للدراسة هو : دراسة موجزة حول عملية
افراخ الكتاكيت في مصر باللجوء الى استعمال الافران او
المواقد ، تأليف السيدين روزبيره روييه مهندس المناجم وروييه
الصيدلي » .

« وكان البيض يوضع فوق القش في قبو كانت حرارته
تظل مستمرة عن طريق نار معتدلة ، حتى اللحظة التي
تفرخ فيها الكناكيت ، وطيلة هذا الوقت يظل ثمة عامل
مهمته تقليب البيض ، ليلا ونهارا » .

بلين

التاريخ الطبيعى ، الكتاب العاشر ، الفصل ٥٥

— ١. —

نبذة تاريخية عن طريقة التفريخ الاصطناعية

لعل قليلين من الأتسخاص فقط هم الذين لم يسمعوا بعد عن فن
استفراخ الالسوف من الكناكيت في وقت معا ، دون اللجوء الى طريقة
الحضانة الطبيعى وذلك بابدال حراره الدجاجات بحرارة مشابهة على نحو
تقريبى يتم الحصول عليها بشكل اصطناعى فى أنواع من الأفران أو
المكامير ، فهذه واحده من اكر الممارسات الفريدة التي وجدناها لدى الناس
فى العصور القديمة ، ولقد كانت هذه بالمثل فنا هاما عند قدماء المصريين ،
كما لا تزال حتى اليوم عند محدثيهم هى الاسلوب الأوحده الذى يستخدمونه
لتوفير الكناكيت . وبالإضافة الى الاليسيرات التي قد يقدمها الطقس لانجاح
طريقة الحضانة الاصطناعية فان من الأرجح أن يكون الذى وجه بحوث
المصريين نحو هذه العملية هو ضالة نجاحهم فيما يبذلونه لحمل الطيور
المنزلية عندهم على حضانة بيضها ونستنتج من ذلك أيضا تلك الاسباب
التي دفعت المصريين قبل غيرهم الى التفكير فيها حين نتذكر كم كانت معاهد
الكهان القدامى تعنى بدراسة كل ما له بعض علاقة بضرورات الحياة ، وكم
كانوا يعلقون من أهمية على توفير المأكولات التي وجدوها أكثر ملاءمة
للصحة . ومع ذلك فلا بد أن نلاحظ أن هذه الوسيلة لم تكن فى ممارستها
قاصرة على مصر بشكل تام ، فقد كان الصينيون ، الذين يحلو للبعض القول
بأنهم قد تعلموا على يد مستعمرة من المصريين ، يمارسونها بالفعل منذ زمان
لا يمكن لنا تحديد بدايته ، وان كانت أفرانهم وطرقهم بالغة الاختلاف .

ولقد اكتشف الرومان كذلك فكرة الحضانة الاصطناعية ، ومع ذلك
فثمة شك كبير فى أنهم استطاعوا أن يمارسوا ذلك على نطاق واسع

فبشكل مطلق . ويخبرنا بلين Pline ان نسوة رومانيات كن يتحلين فى بعض الاحيان بصبر يدفعهن الى محاولة افراخ بيضة ما بحملها على الدوام بين النهدين ، وأنهن قد كن يستطعن ان يحدسن من ذلك نوع جنس الأجنة اللانى كن — هن — حبيبات بها ، وفضلا عن ذلك ، فانه يصف بايجازه المهود ، اسلوب أو طريقة الافران دون ان يفصح عن البلد الذى كانت تمارس فيه ، وانه لامر شاذ فى الحقيقة أن يكون من الممكن لكاتب كهذا ، شديد المعرفة فضلا عن ذلك بمعادات مصر ، أن يجهل أصل ومنشأ هذه الطريقة .

ويشير ديودور الصقلى ، الذى كان دائم التجوال فى هذه المنطقة ، فى عهد أواخر البطلمة ، الى طريقة الحضانة الاصطناعية ، كما لو كانت فنا يمارس منذ زمان طويل ، ويمكن المرء ، بالطريقة التى يتحدث بها عنها ديودور ، أن يحكم بأن المصريين ، فى ذلك الوقت ، كانوا يحيطون هذه الممارسة بكثير من الغموض ، ومع ذلك فان النص الوارد عند ديودور لم يفهم على الاطلاق (الفهم الصحيح) من قبل مترجميه ، اذ يجعله الاب تيراسون Terrasson يقول (١) : « وبدلا من تركهم البيض فى حضانة الطيور نفسها التى باضته ، فان لديهم الصبر على أن يجعلوه يفتقس بتدفئته فى أيديهم » . ويشكل هذا التفسير (لنص ديودور) معنى لا يمكن أن يتصف بالمعتولية على الاطلاق ، بل انه لم يرد قط بالنص (المشار اليه) (٢) ، فالتعبير الذى استخدمه ديودور لا يعنى مطلقا أنهم كانوا يدفئون البيض فى أيديهم وانما يقدم معنى مماثلا لتعبير بالغ الدقة استخدمه بلين عن نفس الشيء . ويبدو ان المقصود تبعا لفقرات وردت عند ديودور ومؤلفين آخرين ، لم يكن هو ، فى الأزمنة الاخيرة ، بيض الدجاج بصفة خاصة مطلقا وانما هو بيض الأوز الذى كان يمر بهذه الوسائل ، ولقد كان لحم هذه الطيور واحدا من اللحوم التى كان يفضلها الكهنة خلال الأزمنة التى لا ينتشر بها مرض وبائى ، وهذا هو السبب فى أن القوم كانوا يجدون كثيرا فى مضاعفة أعدادها . وتأتى المبانى الاثرية لتتطابق مع هذه الشهادات حيث نرى هذه الطيور مرسومة فى الوف الاماكن ، وبصفة خاصة فى تلك الرسوم البارزة التى تمثل الاضحيات المقدمة الى الالهة .

(١) الكتاب الاول ، ص ١٦٠ .

ومع ذلك ، فهل يكون علينا - اذا ما تقبلنا فكرة قدم الحضارة
الاصطناعية- ان نصدق أن الوسائل التي نجدها هناك اليوم هي نفسها
تلك الوسائل التي كانت تتبع في الماضي ؟

ان سؤالاً كهذا جدير بالاهتمام من نواحي عدة ، ويظل يحتاج على الدوام
الى اجابة تحسسه .

« يقال إن الكهنة ، وقد تشبثوا بعناد أكبر مما ينبغى بالملاحظات
القديمة المتجمعة حول الطريقة التي تنتهي بانفراخ بيض النعام والتماسيح
والذي يودع في الرمال ، لم يكتفوا انفسهم حتى عناء القيام بأية بحوث
لاحقة » (١) ويعتقد المرء أنهم قد اكتفوا بتخيل طريقة مماثلة . ولقد استقر
بصفة عامة بين أولئك الذين درسوا عادات مصر القديمة ، ان هؤلاء
الكهنة ، بدلا من استخدام الافران التي تدفئها النيران ، كانوا يحيطون البيض
ببراز الحيوانات والذي كانت حرارته الطبيعية تكفي لانفراخه ، ومع ذلك ،
فلسوف تكون هذه الواقعة بافتراض صحتها ، بالغة الغرابة لان أبخرة هذه
الفضلات الحيوانية قاتلة لأجنة البيضات ، كما ان الحضارة التي تتم على
هذا النحو ، وفضلا عن كونها اختراعا بالغ البساطة ، تتضمن اتخاذاً
احتياطات ليس من الطبيعي تخيلها للوهلة الأولى . واننا لنعرف بالقدر
الكافي ، كيف ساءت مثل هذه الفكرة الشاذة ريومور *Reaumur* الى
الوف المحاولات ، حين أصر بعناد على تحقيق رغبته في تفريخ اكتاكيت في
روث الماشية على غرار ما كان يفعل الكهنة المصريون . ولقد خصص هذا
الفيزيائي الحاذق واليقظ مجلداً بأكمله لوصف التجارب غير المثمرة التي قام
بها في البداية ، كما انه لم يحرز بعض نجاح الا بعد ان توصل بشكل حاسم
الى الحيلولة دون حدوث أى اتصال بين البيض وبين الأبخرة التي تتصاعد
من هذه الفضلات الحيوانية .

ومع أن المسيو دي بو *dePauw* قد كشف بكثير من التجرد والنزاهة
عن وجود أفكار خاطئة كثيرة حول عادات مصر القديمة ، فانه — برغم ذلك —
قد تبني هذا الرأي نفسه ، وآراؤه في ذلك تستحق التمهيص ، وللسوف

(١) *M. dePauw, Recherches Philosophiques sur les Egyptiens,*

t. Ier, Pag. 204.

نعرف عن طريق ذلك الى أى حد تشبث بفكرته حول هذا الموضوع . يقول هذا الباحث : « لا بد أن تعترينا الدهشة حقا لأن كهنة مصر . . وهم الذين كانوا يعرفون معلومات ومعارف واسعة بالقدر الكافى عن امور لا حصر لها ، قد كانت تنقصهم النظرة الناظبة فى نقطة رئيسية : ذلك أنهم لم يكتشفوا طريقة الافران ، بل لقد كانوا يرتابون فى امكانية انشائها ، وهذا أمر تسهل البرهنة عليه . فأرسطو — ولعله أقدم مؤلف تناول طريقة تفريخ البيض فى مصر — يذكر أن الثوم لم يكونوا يستخدمون سوى الحرارة المنبعثة من الفضلات الحيوانية . أما أنتيجون الذى عاش بعد أرسطو بقرون طويلة فيذكر الشئ نفسه ، كذلك فعل بلين الذى وضع مؤلفه بعد أنتيجون ، كما ترجم ما ذكره أرسطو كلمة بكلمة ، وأخيرا فان الامبراطور ارديان الذى جاس فى كل أنحاء مصر ووقف باهتمام على غرائبها قد عبر عن مشاعره فى رسالة منه وجهها الى سرفيان Servien يتحدث فيها عن المصريين « أنهم يفرخون كتاكيتهم بطريقة أخل من أن أقصها عليك » .

« وتبرهن كل هذه الشهادات مجتمعة أن طريقة الافران كانت مجهولة فى هذه البلاد حتى عام ١٣٣ من الميلاد ، وربما لما بعد ذلك بوقت طويل ، ذلك اننى أجهل متى وكيف أمكن الناس هناك أن يتوصلوا اليها » .

ان شهادة ارديان هذه ، هى كما رأينا بالفحة الدلالة ، وان كانت الشهادات الباقية تبدو أكثر موضوعية ، ولكننا عندما نفحص فقرة من بلين أهملها المسيو دى بو سوف نرى أن هذا المؤلف يقسول على وجه الدقة عكس ما أسسناه هنا على مسئوليته (انظر التاريخ الطبيعى ، الكتاب العاشر ، الفصل ٥٥) : « وكان البيض يوضع فوق القش فى قبو كانت حرارته تظل مستمرة عن طريق نار معتدلة حتى اللحظة التى تفرخ فيها الكتاكيت ، وطيلة هذا الوقت يظل ثمة عامل مهمته تقليب البيض ليلا ونهارا » . هذا ما قاله بلين بالحرف ، ومنها جاء التصدير الذى بدأت به هذه الدراسة . وهذا هو أفضل تعريف يمكن لنا أن نقدمه ، فى مثل هذه الكلمات القليلة ، عن الاسلوب الذى لا يزال متبعا حتى اليوم ، أما التعبير igne modico أى نار معتدلة فلا يترك أى لبس ، كما أن الاشارة الى عامل يعمل ليل نهار فى تقليب البيض انما ترسم بدقة ملمح العمل المتبع فى طريقة الافران ، وكذلك ، فعانى الرغم من أن بلين لم يوضح مطلقا المصدر الذى استقى منه معلوماته ، فان من المستحيل الاعتقاد بأننا بصدد وصف شئ آخر

غير ما كان يجرى فى مصر ، حيث كان المصريون من بين كل الشعوب التى عرفها الرومان ، وباعتراف المسيو دى بو نفسه ، هم الوحيدون الذين كانوا يقومون بعملية التفريخ الاصطناعية .

وفى نفس الوقت ، فان أرسطو(١) ، مع اختلافات كبيرة ، لم يعبر عن الامر بطريقة تماثل فى دقتها طريقة بلين ، ولست واحدا ممن يقتنعون بأن هذا الفيلسوف قد صدق حقيقة ، شأنه فى هذا شأن منتحلبه ، ان الأسلوب (المتبع) كان هو العمل على افراخ البيض بفعل الحرارة التى تنبعث بشكل طبيعى من الفضلات الحيوانية ، وسوف يسهل علينا ان نتبين سبب ازدرائه للامر اذا ما وقفنا على تفاصيل العملية ، حيث لا يقتصر الأمر على وضع البيض داخل المكورة على طبقة من القش أو روث الماشية ، بل ان الوقود المستخدم للاحتفاظ بدرجة الحرارة التى لا بد من توفيرها لن يكون هو نفسه الا من هذه الفضلات نفسها ، أى انه مصنوع من روث الحيوانات مختلطا بقليل من القش المهروس . وحيث ان مصر بلد عار من الغابات ، فقد استخدم الناس فيها ، فى كل العصور ، هذا الوقود الذى يعطى حرارة بائغة الاعتدال ويسهل التدرج بها ، فضلا عن انه يتناسب تماما مع العملية التى نحن بصددتها . ولذا ، فباننا ان نتردد مطلقا ، باعتبار ذلك واقعة مستمرة ودائمة ، فى النظر الى طريقة الحضانة الاصطناعية التى تمارس اليوم على أنها هى نفس ما كانت تستخدمه مصر منذ عصورها القديمة . وقد أخبرنا شيوخ القاهرة ، وكذلك اكثر ابنائها تبخرا فى العلم ، وهم فى هذا يتفقون مع المؤلفين العرب فى مختلف العصور ، بأن هذه الوسيلة لم يتوقف قط استخدامها سواء فى مصر العليا أو فى مصر السفلى ، فاذا كانت احدى المخطوطات التى ترجع الى زمن الخلفاء تقصر استخدامها على قرية برما(٢) Behermes فى الدلتا فان الامر يعود الى ازدراء يسهل تفسيره .

Historia animalium, lib vi cap 2.

(١)

(٢) Behermes هى اليوم برنبال (كذا) وتقع بالقرب من فوه . ونقرأ فى احدى المخطوطات العربية وصلت الينا عن طريق الشيخ ابراهيم قارىء الجامع الكبير (الأزهر) بالقاهرة ان ابناء هذه القرية قد ورثوا عن الملحدون (المصريين القدماء) هذا العلم وهم ، مثلهم ، يعرفون طريقة افراخ بيض الدجاج وبيض كثير من الطيور الأخرى .

ولا يزال البرماويون حتى اليوم مشهورين بإدارة معامل التفريخ، ويستدعون لهذا العمل في ولايات عديدة (من مصر) (١) ، ومع ذلك فمن الأرجح أن كانت هذه الحرفة وراثية عندهم ، فقد كانت الأفران على الدوام كثيرة الانتشار في كل مكان من البلاد ، وان كان عدم الدقة الذي اتسم به المؤلفون العرب حول مثل هذا النوع من الوقائع يبلغ قدرا لا يمكن للمرء معه سوى أن يرتاب في أنهم قد خلطوا بين هذين الأمرين .

— ٢ —

وصف معامل التفريخ

تحمل كل واحدة من المنشآت المخصصة لأفراخ الكتاكيت اسم معمل الفروج . وتتكون هذه من عدد من الأفران يتراوح بين أربعة أفران وثلاثين فرنا . لكن هذه الأفران تصطف على الدوام في صفين متوازيين ، ويفصل بين الصفين دهليز ضيق . وهذا المعمل ، وهو مبنى من القرميد أو من الطوب النييء المجفف في الشمس ، محكم الاغلاق بشكل دائم ، أما نوافذه فمعبارة عن عدد كبير من الفتحات الدائرية الصغيرة ثقبت في تبة الدهليز ، أما الباب ، فمناذة تسبقها عدة حجرات صغيرة جد متلاصقة . هذا هو الوضع العام لهذه المعامل . وليس ثمة ما هو أبسط من تصميم بناء هذه المعامل ، إذ يتكون الواحد منها من عدد من الخلايا الصغيرة ، يصل ارتفاع الخلية منها لثلاثة أمتار (٩ — ١٠ أقدام) ويبلغ طولها نفس الشيء تقريبا ، في حين يبلغ عرضها المترين ونصف المتر . وتنقسم الخلايا الى طابقتين إذ يقطعها عند منتصف ارتفاعها ، وأحيانا عند ثلث هذا الارتفاع ، لوح خشبي يكسوه الآجر ، ويخترقه عند منتصفه (في كل خلية) ثقب يكفى اتساعه

(١) في الصعيد ، حيث يوجد عدد من معامل التفريخ أقل منه في مصر السفلى ، يحتكر اقباط ببلاو إدارة هذه المعامل ، ومنذ ثلاثين أو أربعين عاما كانت هذه الثرية التي تقع على بعد بضعة فراسخ الى شمال منفوط ، وهي اليوم تكاد تكون خربة ، كانت ما تزال ضيعة هائلة تضم عددا كبيرا من المعامل ، ومنذ ذلك الوقت تفرق « معلمو » المعامل في مختلف أنحاء مصر العليا واستقروا في مدن جرجا وفرشوط وبهجورة واسنا وفي كل البلدان تقريبا ، أما حصيلة ما رصدته من أرض الواقع فهو أنه ليس من المحتمل أن يكون مسيحيو ببلاو قد تعلموا أساليبهم من أبناء برما .

لتمكين رجل من أن يمر من طابق الى الطابق الاخر . ولكل واحدة من هذه الحجرات (أو الخلايا) الصغيرة بابها المطل على الدهليز ، يكاد يماثل فى حجمه نفس أطوال النقب المعمول فى اللوح الخشبي ، ويستخدم كذلك استخدامها مشابها . وهناك فتحات أخرى فى الحواجز أو الفواصل الجانبية تؤدي لحدوث اتصال بين كل الأفران الواقعة على الجانب نفسه من جانبى الدهليز ، وأخيرا ، يخترق القبة التى تغطى كل فرن ، فتحة ضيقة تساعد على تصريف الدخان . وحيث تخصص الحجرات السفلية لوضع البيض ، فان النار توضع فوق أرض الحجرات العلوية ، والتى أحدثت فيها ، بقصد استقبال هذه النار ، حفرتان قليلتا العمق ، وأن كان عدد هذه الحفر يبلغ الأربعة فى بعض الأحيان ، تقع بالقرب من الجدران الفاصلة أو الحاجزة . وتحيط بنقب أو فتحة اللوح الخشبي حافة ناتئة يبلغ طول نتوئها بوصتين ، ويحمى هذا النتوء البيض من سقوط رماد المواد الملتهبة عليه (١) .

وتستخدم إحدى الحجرات الواقعة عند مدخل المعمل مقرا لسكنى العامل الرئيسى (المعلم) ومساعده ، وهذان لا يبتعدان أبداً عن المعمل طيلة الوقت الذى تستغرقه عملية التفريخ ، وتستخدم حجرة أخرى لاشعال الوقود الذى يراعى الا يحمل الى الأفران الا بعد أن يكون قد احترق نصف احتراق كى لا يمكن هذا الوقود أن ينتج أبخرة ضارة ، ويتكون هذا الوقود المسمى « جلة » (*) من بعرات الجمال والقش المهروس ، معجونة على هيئة أقراص ، ويعطى هذا الوقود كما سبق لنا أن أشرنا ، حرارة بالغة اللطف ، تسهل زيادة درجتها عند الحاجة .

سير عملية التفريخ

توافق الفترة التى تفتح فيها المعامل فى مصر العليا أبوابها الأيام الأولى من شهر فبراير ، لكنها دوما تبدأ بعد ذلك بفترة فى مصر السفلى اذ الطقس

(١) انظر اللوحة الأولى ، الأشكال ١١ ، ١٢ ، ١٣ من مجموعة الفنون والحرف ، الدولة الحديثة ، المجلد الثانى ، وكذا اللوحة الثانية ، الأشكال ١ ، ٢ ، ٣ .

(*) هذا اللفظ هو نفسه ما ورد بالنص الفرنسى (الترجم)

(وصف مصر — م)

هناك أقل حرارة . وحيث تبلغ مدة الحضانة واحدا وعشرين يوما فإن الكتاكيت لا تفرخ الا عند نحو بداية شهر مارس . وقد دلت التجربة على ان الحرارة ، فى هذه الفترة وحدها ، تكون مناسبة بالقدر الكافى للكتاكيت الوليدة وبذا تظل حية دون رعاية خاصة ، غير أن حرارة الصيف المتزايدة ضارة بالبيض . وعلى هذا فلا تتم فى العادة سوى ثلاث عمليات تفريخ متتالية ، أو أربع على الأكثر فى بعض المعامل .

وقد وصف عديد من الرحالة المحدثين طرق هذه الحضانة الاصطناعية وان كان الغالبية منهم قد ناقضوا بعضهم بعضا ، ذلك أنهم اعتبروا قواعد ثابتة كل ممارسة أو خطوة وقفوا عليها ولو كانت خاصة بالمعمل الذى زاروه دون أن يقفوا على العلاقة التى قد تربط ايا من هذه الممارسات بظروف معينة هى على الدوام عرضة للاختلاف والتنوع .

ويستخدم كل معمل (فى الحضنة الواحدة) لتفريخ ٣ — ٤ آلاف بيضة . وعند بداية هذه العملية تخلف طريقة توزيع البيض بعض الشيء ، فبدلا من توزيعها على كل الأفران دون تفرقة ، نترك خالية تماما فى بعض الأحيان أفران بعينها ، ومن نافلة القول أن نضيف أنهم يجنبون بكل دقة كل البيضات التى لم تكن قد اخصبت أو تلك التى لحق بها التلف ، وهذه تضر كثيرا بعملية التفريخ . أما البيضات التى توضع فى الأفران فتكون قد فحصت بعناية من قبل على يد العامل (المختص) ، ثم تم تسجيلها بمعرفة الكاتب الموكل بآدارة المنشأة ، التى تلتزم بأن ترد عند نهاية العملية الى كل شخص عددا من الكتاكيت يتناسب مع عدد البيض الذى كان هذا الشخص قد سلمه للمعمل .

ويصف هذا البيض فى كل فرن على شكل طبقات عدة بعضها فوق الاخر ، وترقد آخرتهن على حصيرة أو على مشاقة الكتان أو القش الجاف . ذلك أن الأبخرة التى قد تنبعث من زباله رطبة قد تضر كثيرا بنجاح العملية .

ولا توقد النار فى البداية الا فى نحو ثلث عدد الأفران ، تختار على مسافات شبه متساوية ، وبعد ذلك بأربعة أيام أو خمسة توقد فى بعض الأفران المتبقية ، وبعد عدة أيام أخرى توقد الأفران الباقية مع مراعاة انه بمجرد أن توقد النار فى أفران جديدة تترك نار الأفران التى أوقدت فى

البداية لتخبو . وسنشرح فيما بعد دوافع هذا الاجراء . وتتجدد النيران ثلاث مرات وفى بعض الاحيان اربع مرات فى اليوم الواحد ، وتزداد النار قليلا فى الليل ، ويدخل العامل المختص الى الحجرات السفلية مرتين او ثلاث مرات فى اليوم لتقليب البيض ولتغيير أماكنه ، ولابعاده ، كل بدوره ، عن المناطق الأشد حرارة . وهذا هو عمله الرئيسى .

وبدءا من اليوم التامن يفحص البيض جميعه على ضوء مصباح ، وتسبب تلك البيضات التى لم تخصب ، وجدير بالذكر أنه عند ترتيب البيض ، كان قد ترك فراغ فى وسط الحجرة ليستقر فيه العامل عند نزوله من الأرضية الخشبية للحجرة العلوية .

وقد تبينا وجود الكثير من الاختلافات بالنسبة للكثير من خطوات هذه العملية ، وبعض هذه الاختلافات محض تحكمية وقد يكون من الاملال أن نتوقف عندها ، وبعضها الاخر يعود الى التوقيت الذى تتم فيه هذه العملية والى التباين فى درجات الحرارة وأحيانا الى المقر الخاص بالمعمل والى عدد الأفران التى يتكون منها بصفة خاصة . ويكفى أن نقدم الأشياء بشكل نستطيع معه أن نحكم على تأثير هذه الظروف المختلفة ، مع تضر اهتمامنا على الظروف الأساسية اللازمة لانجاح عملية التفريخ :

الظرف الأول : نأكد عن طريق ملاحظات تمت باستخدام الترمومتر أن الحرارة المعتادة للحجرات التى يوضع بها البيض هى ، مع اختلافات طفيفة ، ٥٣٢ حسب ترمومتر ريومور Réaumur . وهذه على وجه التحديد هى درجة حرارة الحضانة الطبيعية ، ولا تتراوح الاختلافات الا فيما بين ٥٣١ ، ٥٣٣ ، وان كانت هذه الاختلافات تكون أكبر بكثير فى الدهليز وفى الحجرات العلوية ، فتظل دوما ادى من ٥٣٢ فى المكان الأول وأعلى بكثير من ذلك فى المكان الثانى ، على الأقل ، طيلة الوقت الذى تكون النيران فيه لا تزال موقدة ، وكذا لبضعة أيام فقط بعد أن تخبو .

ولا يعرف المصريون الترمومتر . ويستبدل به العامل حساسية يجعلها التعود الشديد بالغة الفعالية ، ولهذا السبب فليس من الممكن أن يحل محل مديرى المعامل الذين لا يتخذون لأنفسهم قط من معاونين سوى اولادهم أو أقاربهم ، غيرهم من المصريين فى هذا الضرب من ضروب الصناعة ، ولهذا بقى سرا فى أيدي أعداد معينة من الأسر ، ولا بد من ممارسة

طويلة حتى يكون بالمستطاع ادارة معمل ، ولكن او استخدم البرومستر
نستصبح هذه العضلة الرئبسية فى حكم العدم .

الظرف الثانى : وثمة شرط نان ينظر اليه باعتباره شرطا هاما ، وهو
ترك النار تخبو قبل انتهاء العملية بوقت قصير ، اما لخشبية الاعاملين على
الكتاكيت من انبعاث بعض الروائح من الوقود ، وبخاصة ثانى اكسيد
الكربون الذى يملأ الحجرات السفلية ، واما لانه ليس لدى هؤلاء من هدف
سرى بسط البيض ، الذى بوزع جزء منه بالحجرات المطلوبة لفترة اطول .
وينتج عن ذلك ان من الضرورى تدفئة مبنى الافران بالقدر الكافى فى الجزء
الأول من عملية التفريخ حتى تستطيع جدرانها الجانبية وحدها ان تحفظ
البيض طيلة الجزء الباقى من الوقت فى درجة حرارة ٣٢ .

ولكى يتم توافق هذا الشرط مع الشرط السابق يترك العامل فى
بعض الاحيان افرانا بعينها فارغة حتى يستطيع تدفئتها حسب رغبته عند
بدء عملية التفريخ ، وهو الأمر نفسه الذى يقتضى منه عدم اشعال كل
الافران فى وقت معا ولتوزيع الافران التى بوقدها بطريقة متناسقة ، ولتقليل
عددها اكثر فأكثر وكذا لتخفيف كثافة وتقصير مدة النار فى الافران التى
بوقدها فى النهاية كى تظل الحرارة على وجه التقريب متساوية فى الافران
جميعها عقب اطفاء النار فجأة . فاذا ما اطفئت النار فانهم لا يسارعون
مطلقا بنقل البيض الى الحجرات العلوية وانما ينتظرون لعدة ايام . ويحدد
بعض الرحالة هذه الفترة بأربعة ايام ، ويحددها آخرون بستة ، ويحددها
فريق ثالث منهم بثمانية ، والحقيقة ان ليس ثمة شىء عام فى ذلك اللهم
سوى انتظار برود هذه الحجرات ، وبخاصة ارضيتها الخشبية وعلى نحو
كاف ، وبعد ذلك تقفل الفتحات الخارجية للافران اتفالا غير كامل فى
البداية ، بل يتم ذلك شيئا فشيئا كلما بردت كتلة المبنى ، وكلما يكون من
الضرورى تركيز الحرارة هناك بدرجة اكبر للحصول على درجة ٣٢ .

وفى بعض الاحيان لا يكتمل عدد البيض الذى يمكن لعمل ان بحويها
الا مرتين او ثلاث مرات فى العام ، عندئذ تتم عدة خطوات متميزة تتخذ
فى وقت معا ، وتستمر الأمور على هذا النحو حتى نهاية الفصل مما يدخل
على الأساليب المتبعة تعديلات طفيفة .

وما ان يفتح معمل ما حتى يحمل اليه كل سكان المناطق المجاورة كل

ما لديهم من بيض فى ذلك الوقت ، وبعد انتهاء عملية التفريخ ، يرد اليهم نحو خمسين كتكوتا فى مقابل كل ١٠٠ بيضة (قدموها) ، ويؤول الباقى (من الكتاكيت) الى صاحب المعمل (١) وعادة ما يقدر عدد البيض غير المخصب بـ ١/٥ العدد الاجمالى ، وفى بعض الأحيان لا يبلغ العدد الفعلى سوى السدس ، ونادرا ما يتجاوز الثلث الا اذا كان الأمر يعود الى خطأ من جانب العامل ، ولذلك فانه ملزم عادة باعادة عدد من الكتاكيت يغالل ثلثى عدد البيض الذى تسلمه على الأثل .

وليس من النادر أن يفرخ بعض البيض بدءا من اليوم العشرين أى أبكر يوما عن مدة الحضانة الطبيعية ، وخلال أربع وعشرين ساعة نجد أمامنا ما يربو على ٦٠ ألف كتكوت فى منشأة واحد . ولقى لها ، كمنذاع؟ قليل من الدقيق المختلط بخبز مفتت .

وتورد بعض المؤلفات أنه بسبب هذه الكميات الهائلة التى تقدمها هذه المعامل ، فقد كان الناس يلجئون لبيعها فى صاع أو ربع وهو ما يعنى ١/٤ مكيال بعينه . وقد ذكر هذا الاسلوب الشاذ أشخاص كثيرون ، وأكدوا لى أنهم رأوا ذلك بأعينهم ، ويوجد بكل مكيال على الدوام عدد من الكتاكيت الميتة ، وهذه الطريقة ، وان كانت تتفق مع نكاسل المصريين وتراخيهم ، حيث هى تعفيهم من تحديد أسعار مختلفة للكتاكيت (تبعا لاعمارها) ذلك أن البيع بالكيل سيجعل عددالكتاكيت التى تناولت طعاما أقل من تلك التى لم تطعم بعد فى المكيال الواحد ، الا ان الشىء الذى يمكننى ، فى هذا الصدد ، أن أقدمه كأمر مؤكد هو أن هذه الطريقة ليست هى الشائعة على الاطلاق ، ففى كل المنشآت التى زرتها كانوا يعدون الكتاكيت ولا يكيلونها

(١) لا تدفع أجور أصحاب المعامل على الدوام عينيا ، ففى ديروط الشريف ، وهى قرية تقع عند فتحة بحر يوسف . قمت بزيارة واحدة من هذه المنشآت حيث علمت أن الفلاحين يدفعون مدينى واحدا عن كل ٢٠-٣٠ بيضة تبعا للظروف . وعلى الرغم من أن هذا المكسب أدنى بكثير من المكسب الناتج عن الحصول على ١/٣ البيض فانه مع ذلك بالغ الضخامة ، فهذه الأنواع من المصانع هى بالتأكيد أكثر من كل مثيلاتها ربعا فى مصر . وعندما أذكر هذه الملاحظة التى أدين بها للمسيو جومار فلا بد لى أن أوضح أن هذا الاسلوب فى دفع الاجر لا يمكن أن يتناسب الا مع المنشآت كبيرة الحجم ، إذ هو فى معمل لايشتمل الا على ٨-١٠ أفران سوف يعطى عائدا أدنى من المصروفات الجارية .

البتة ، وتباع مائة الكتكوت أفرخت حديثا بـ ٨٠ مدينى شى المتوسط (اى
ادنى قليلا من ٣ فرنكات من عملتنا) .

ويقدر عدد معامل التفريخ فى مصر بمائتين ، ويصل به الاب سىكار
الى ست وثمانين ونلاثمائة (٣٨٦) طبقا لما أخبره به الاغا أو شيخ بلد برما ،
لكن هذا الرقم مبالغ فيه كثيرا ، وقد قدر ريومور الكمية السنوية للكتكايت
التي تفرخها معامل مصر بأكثر من ٩٢ مليوناً . وهناك أخطاء كبيرة فى هذا
التقدير ، إذ لا ينبغى أن نحصى فى المتوسط سنوى ١٠ أفران فى كل معمل ،
ولا يمكن أن يبلغ عدد مرات الافراخ للفرن الواحد أكثر من أربع مرات كل
عام ، مما ينتج ٤٠ x ٣٠٠٠ بيضة لكل معمل اى ١٢٠ ألفا ، وبافتراض
أن المائتى معمل تعمل جميعا بكل كفاءتها فان الرقم الاجمالى لا يمكن أن يبلغ
سوى ٢٤ مليوناً من الكتكايت .

ملاحظة :

خصت الملاحظات العامة المذكورة آنفا بصفة خاصة لتفهم
عقلية واساليب المصريين ، أما فى الملاحظات التي ستعقب هذا
الهامش فسنجد تفاصيل عملية استمدت من عمالية مراقبة تمت
فى معامل القاهرة ، من شأنها أن توضح بعض صعوبات
الممارسة . وقد تركنا بعض التكرار على حاله اما لان الأشياء
نفسها قد عولجت فى ظل علاقات مختلفة ، واما لأنها لازمة لتفهم
التفاصيل الأخرى .

وصف خاص لعدد من معامل التفريخ

تابعناها فى القاهرة ، وللأساليب المتبعة هناك

يطلق المصريون اسم معمل الكتكايت أو معمل الفروج على المحل الذى
يضم الأفران والحجرات الخاصة التي يتم فيها تفريخ البيض . والمبنى
الرئيسى (١) عبارة عن مربع يتفاوت طول ضلعه ، يقطعه من الداخل بكل

(١) تقوم هذه المباني بصفة شبيه دائمة داخل مساكن متداعية، ويتكىء
ظهرها عادة الى اكوام من الرمال والانتقاض ، مما حمل بعض الرحالة على
القول بأنها مدفونة .

طوله دهليز يفضل صفين من الحجرات الصغيرة ، يراوح عددها من ٢ الى ١٢ فى كل جانب ، وتتكون كل حجرة من طابق مزدوج (طابقتين) ، ويبلغ طول الحجرة السفلية التى يمكن أن نسميها المفرخ (بفتح الميم وسكون الفاء وفتح الراء) ، لأنها تضم البيض خلال فترة الحضانة ، نحو نمانية أقدام بعرض يبلغ ستة أقدام . وليس لها سوى باب صغير يطل على الدهليز . أما الحجرة العلوية ، التى سأسميها القرن والتى يضعون فيها النار ، فلها على وجه التقريب المساحة نفسها التى للحجرة التى تحتها ، ولها كذلك باب يطل على دهليز ، وفوق ذلك فأننا نلاحظ وجود فتحة فى قبتها تغلق وتفتح حسب الحاجة ، ولها كذلك نافذتان جانبيتان مفتوحتان على الدوام ، وتتصلان بالافران المجاورة ، وفى النهاية فان فى أرضيتها الخشبية فتحة كبيرة نحوا ما ، وهى دائرية الشكل ، صنعت من حولها حفرة واسعة توضع فيها الجمرات المتقدة التى تنتشر حرارتها من خلال هذه الفتحة العلوية الى الحجرة السفلية .

وقبل أن نصل الى داخل المعمل نجد ثلاث أو أربع حجرات خاصة ، تستخدم أولاهن مقرا لسكنى الأشخاص الموكلين بخدمة الأفران ، وفى الثانية تتحول أقراص « الجلة » وأصناف الوقود الأخرى التى لا بد لها أن تستخدم فى تدفئة الأفران ، الى جمرات ملتهبة ، أما الثالثة فمخصصة لاستقبال الكتاكيت بعد افراخها بعدة ساعات .

ولا تعمل معامل الكتاكيت فى مصر الا لمدة شهرين أو ثلاثة اشهر من العام ، وتفتح هذه المعامل فى الصعيد عادة عند نحو نهاية شهر يناير ، أما فى القاهرة فلا يبدأ العمل بها الا فى الأيام الاولى من شهر مارس .

وفى هذه الفترة يدخل صاحب كل واحدة من هذه المنشآت فى خدمته اثنين أو ثلاثة من هؤلاء الرجال الملمين جيدا بكيفية الاشراف على عملية الفقس . وفى حين ينشغل بعض هؤلاء العمال باعداد المبنى الذى سيمارسون فيه عملهم ، يتسلم آخرون البيض الذى يجلبه الفاس لهم من القسرى المجاورة ، ويسجلون كميات البيض المتسلمة وكذلك أسماء من أو دعوهم اياها ، مقرين بذلك ضرورة أن يردوا عددا محددًا من الكتاكيت (١) .

(١) ويبلغ ذلك عادة ثلثى عدد البيض المودع ، أما الباقى فيؤول الى أصحاب المعامل .

وعندما يتم جمع عدد مناسب من البيض لبدء تفريخ « الرقدة » الأولى يتم العمل على النحو التالى : لا تستخدم مطلقا كل المفارخ للرقدة الواحدة نفسها وانما يستخدم نصف عددها فقط ، فاذا كان المبنى يضم ستة مفارخ فى كل جانب ، فلا يوضع البيض فى بداية العملية الا فى المفرخ الأول ، فالثالث ، فالخامس ، فالسابع فالتاسع ثم الحادى عشر ، ويوضع البيض فوق طبقة من الرماد والقش المهروس (التبن) ، ويوضع ما يصل الى ثلاث طبقات من البيض كل منها فوق الأخرى ، ويمكن كل واحد من المفارخ ان يضم من اربعة الى خمسة آلاف بيضة عندما تمتلئ هذه بشكل تام . وبعد ذلك يسجل على كل واحد من المفارخ اليوم الذى بدأت نيه عملية التفريخ ثم تجلب الى حفرات الافران الستة الواقعة الى أعلى الجمرات المتقدة والناتجة عن احتراق مواد وقود مختلفة تحولت الى جمرات لهذا الغرض ، فى واحدة من الجمرات سبق أن تحدثنا عنها . وبعد لحظات تقفل فتحات القباب ثم ابواب الأفران والمفارخ ، وتترك هذه الجمرات على هذا النحو تتآكل ببطء ، وتتجدد هذه العملية مرتين فى النهار ومثلهما بالليل ، ويتكرر ذلك كله طيلة عشرة أيام متعاقبة ، وفى كل مرة يراعى ان تفتح للحظة ، فتحات القباب وابواب المفارخ اما لتجديد الهواء فى داخل المبنى واما لتقليل اثر الحرارة الأولى والتي قد تسبب فى ايداء البيض . اما فى الفترات التى تتخلل عمليات التدفئة فيمر العمال بالبيض الموجود بالمفارخ ويقلبونه ، وينقلون الى الطبقة الثانية أو الثالثة البيض الذى كان مصفوحا بالطبقة الأولى . وهكذا يقتصر العمل خلال الأيام العشرة الأولى على تجديد النار من اربع الى خمس مرات كل اربع وعشرين ساعة وعلى المرور بالبيض وتقليبه مرة فى اليوم أو مرتين .

وفى اليوم الحادى عشر يتضاعف العمل ، فتعد رقدة ثانية من البيض الذى تم جمعه ، ويوضع هذا البيض ، مع اتخاذ الاحتياطات التى سبق بيانها بالنسبة للفقس السابقة ، فى المفارخ الستة الأخرى والواقعة بين مفارخ الفقس الأولى ولا بد أن يتم هذا العمل فى أقل من ثلاث ساعات . وحين تصبح الفقس الثانية جاهزة بالقدر الكافى ، تجلب على الفور الجمرات المتقدة لتوضع فى حفرات الأفران العلوية ، ويستمر اشعال النار لمدة عشرة أيام متتالية بالطريقة نفسها التى اتبعت مع الفقس الأولى ، على أن نحرص فى كل مرة على فتح منافذ القباب وابواب المفارخ لفترة ، وخلال

هذه الفترة يبذل للبيض من العناية نفس ما يبذل من قبل لبيض الرقدة الأولى .

وبدءا من اللحظة النى توضع فيها النيران فى أفران الفقسنة الثانية ، يتوقف العمال عن وضع النار فى أفران الرقدة الأولى ، اذ يحصل ببيض هذه على القدر الكافى من الدفاء ، من الحرارة المنبعثة من الأفران المجاورة ، وان كانوا لا يتوقفون من أجل هذا عن الاهتمام ببيض هذه الرقدة اذ هو يتطلب قدرا أكبر من العناية كلما اقتربت لحظة خروج الكتاكيت . وينقل جزء من هذا البيض على الأرضية الخشبية للأفران بعد مضى يوم من خمود النار ، وحيث تكون بيضات هذه الفقسنة أقل تكوما فان تغليبها يتم بشكل أكثر يسرا ، ويتم المرور عليها عدة مرات فى اليوم الواحد لاستبعاد ما يعتقد أنه قد تلف من بينها .

وفى اليوم العشرين نبدأ فعلا فى العثور على عدة كتاكيت ، وفى اليوم الحادى والعشرين يكون قد أفرخ من البيض عدد كبير للغاية ، ويقوم العمال فى بعض الأحيان بتسهيل عملية خروج الكتاكيت التى لم تستطع أن تحطم قشر بيضها بشكل تام ، ويظل يحتفظ ببقية البيض الذى يمكنه ان يعطى كتاكيت متأخرة وذلك لمدة يوم أو يومين . وتوضع الكتاكيت الهزيلة أو الضعيفة فى الدهايز الذى يفصل بين المزارخ ، وتحمل الكتاكيت الأخرى الى الحجرة المخصصة لاستقبالها حيث لا تبقى الا لنحو يوم واحد ، وهى تحمل الى هناك ليتم اعطاؤها لأولئك الذين جلبوا البيض (الى المعمل) او لبيعها .

وبمجرد انتهاء الفقسنة الأولى ، ينشغل العمال بالتحضير للفقسنة الثالثة . وعندئذ يوضع البيض فى المزارخ الستة التى أصبحت فارغة ، ويتكرر بالنسبة لهذه الفقسنة الثالثة ما سبق حدوثه بالنسبة للفقسنتين الأولى والثانية خلال أيام العمل العشرة الأول . أما خلال الأيام العشرة الثانية فيتم كذلك بالنسبة للفقسنة الثانية ما سبق ان تم تنفيذه للفقسنة التى خرجت كتاكيتها من المزارخ ، وهكذا دواليك .

وتستمر هذه العملية لكل الفقسنت التى تتعاقب بين عشرة أيام لعشرة أيام أخرى مع اتباع نفس تفاصيل العمل التى انتهينا من بيانها طيلة ثلاثة

اشهر. وهو الوقت المعتاد لاتمام عمليات التفريخ ، وهكذا نرى كل ١٠ الى ١٢ يوما ، فى كل واحدة من هذه المنشآت العاملة ، ظهور فقسة تتكون من عدة الوف من الكتاكيت . اما كمية ما يتلف من البيض خلال عملية الفقس فضئيلة الاهمية ، وقلما تصل كمية التالف لابتعد من السدس . ولم يحدث قط أن تلفت فقسة بأكملها .

وهذا النوع من المنشآت كثير للغاية فى مصر ، اذ توجد واحدة منها فى كل ١٢-١٥ قرية ، وغالبا ما يوجد أكثر من منشأة واحدة فى المدينة نفسها ، ويحصى الأب سىكار ما يقرب من أربعمئة منشأة تفرخ كل واحدة منها ، طبقا لما يذكره ، مائتين وأربعين ألف كتكوت ، مما ينتج نحو ١٠٠ مليون كتكوت هى مجموع ما تفرخه هذه المنشآت فى مصر كل عام ، فى عصره . ويمكن لنا باستخدام منطقنا أن نقلص هذا الرقم الى أقل من الثلث . ولا يزال يوجد هناك نحو مائتى معمل فروج تعمل فى كافة أنحاء مصر ، يفرخ كل منها بشكل تقريبي نحو ١٤٠ ألف كتكوت . وبالإضافة الى ذلك ، فهناك فى بعض القرى النائية ، وبشكل خاص عند القبائل العربية ، يتم تفريخ بعض البيض ، برغم أن هذه الوسيلة الاخيرة ، كما ينبغى أن نلاحظها ، ليست مضمونة ، كما انها غير مجزية فى مصر (١) . ولا يرجع النجاح

(١) يعتقد البعض أنهم قد عثروا على منشأ فكرة التفريخ الاصطناعى فى نموذج بيض النعام وبيض التمساح ، الذى يترك فى الصحراء وعلى ضفاف النيل ، وأن حرارة الرمل وحدها هى التى تؤدى بها لأن تفرخ ، ومع ذلك فاذا ما استرعينا النظر الى أن حضانة الدجاج (البيضة) نادرا ما تنجح فى مصر ، وأن هذه الدجاجات ، عند حلول الفصل الحار الذى تبدأ فيه حضانة البيض ، سرعان ما تهجر بيضها لتنهك من جديد فى ممارسة الحب ، فان المرء سيجد نفسه مدفوعا إلى الاعتقاد بأن كهنة مصر القديمة ، وقد كانت لديهم المعرفة الكافية بكافة ضروب الصناعة والفنون ، قد استطاعوا العثور على سبل علاج هذا العيب فى أساليب تكاثر (هذه الدواجن) ، وأنهم قد لجئوا الى الحضانة الاصطناعية لتفريخ بيض الدجاج بوفرة ، وللحصول على كمية كبيرة من الكتاكيت كانوا يجدون فيها طعاما لذيذا ومريحا ، وحين أراد هؤلاء الكهان أنفسهم بعد ذلك أن يفيدوا من هذا الكشف ، كى يثبتوا أن كل شىء يزدهر فى أيديهم ، جعلوا من ذلك علما غامضا ، ولم يتناقضوه من جبل لآخر الا باعتباره سرا لا يزال حتى اليوم غير معروف بشكل جيد فى مصر ، الا لبعض الأفراد .

المستمر لعمليات التفريخ هذه الى اعتدال طقس مصر ، كما يزعم ذلك هؤلاء الذين ينتقصون من أساليب المصريين ، اذ يساهم فى ذلك ، هذا الحذق الخاص بأولئك الذن يدبرون أمور هذه الفقسات ، فقد جعلتهم الخبرة الطويلة يدركون بمجرد دخولهم الى الافران ما ان كان يلزم تجديد النار او الانتظار للحظات أخرى ، كما أنهم يعرفون بالمثل كيف يحصلون على الحرارة التى تناسب مختلف مراحل هذه الحضانة الاصطناعية ، فهم ينتجون ، باتباع أساليب خاصة بهم ، فى نفس الوقت ، وبنفس الوسائل ، درجات متباينة من الحرارة فى مناطق متعددة من المبنى الذى توجد به المفارخ والافران .

وخلال مدة الفقسات كنت أجد بشكل دائم فى معامل الفروج العديدة بالقاهرة درجة حرارة تكاد تكون على الدوام متساوية ، لا تتفاوت قط لاكثر من درجتين برغم تباينها فى كل نوع من الحجرات ، فعلى سبيل المثال ، بلغت الحرارة خلال الايام العشرة الأولى من الحضانة ، وطبقا لترمومتر ريومور من ٣٢ الى ٥٣٣ فوق الصفر ، وبلغت خلال الايام العشرة الاخيرة ما بين ٢٨ ، ٢٩ ، ٥٢٩ ١/٢ ، كما بلغت فى الافران لحظة وضع النار نحو ٣٧ ، ٣٨ ، ٥٣٩ وانخفضت بعد اربع ساعات الى ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٣٣ ١/٢ . انظر الجدولين التاليين .

جدول بدرجات الحرارة كلها لوحظت في معامل الكناكيت بمصر
 ١ — طبقا لتجربة أجريتها في القاهرة في معمل
 يقع بحى سستى زينب
 ترمومتر ريوهور — درجات فوق الصفر

| التاريخ | درجة الحرارة في الخارج | درجة الحرارة في المجرات الأمامية | درجة الحرارة في الدهان | درجة الحرارة في المفارخ | | درجة الحرارة في الأفران | | |
|-------------|------------------------|----------------------------------|------------------------|---------------------------|----------------------------|-------------------------|---------------------|-------------------------------------------------|
| | | | | خلال الأيام العشرة الأولى | خلال الأيام العشرة الثانية | لحظة وضع النار | بعد ذلك بأربع ساعات | في الأيام العشرة الثانية بعد أن يتوقف وضع النار |
| ٢٥ جرمينال* | ١٩ | ٢١ | ٢٦ | ٣٣ | ٢٩ $\frac{1}{4}$ | ٣٦ | ٣٤ | ٣٠ |
| ٢٦ | ٢١ $\frac{1}{4}$ | ٢٢ | ٢٦ | ٣٣ | ٣٠ | ٣٧ | ٣٤ $\frac{1}{4}$ | ٣٢ $\frac{1}{4}$ |
| ٢٧ | ٢٠ | ٢١ $\frac{1}{4}$ | ٢٥ $\frac{1}{4}$ | ٣٢ $\frac{1}{4}$ | ٣٠ | ٣٦ $\frac{1}{4}$ | ٣٤ | ٣٢ |
| ٢٨ | ١٩ $\frac{1}{4}$ | ٢١ | ٢٥ $\frac{1}{4}$ | ٣٢ | ٢٩ | ٣٧ $\frac{1}{4}$ | ٣٣ $\frac{1}{4}$ | ٣٢ |
| ٢٩ | ٢٢ | ٢٢ | ٢٦ | ٣٣ | ٣٠ | ٣٨ | ٣٣ | ٣١ $\frac{1}{4}$ |
| ٣٠ | ٢٥ | ٢٣ | ٢٥ | ٣١ $\frac{1}{4}$ | ٢٩ $\frac{1}{4}$ | ٣٧ | ٣٢ | ٣١ |
| ١ فلوريال* | ٢١ $\frac{1}{4}$ | ٢٢ | ٢٦ $\frac{1}{4}$ | ٣٢ $\frac{1}{4}$ | ٢٩ | ٣٦ $\frac{1}{4}$ | ٣٤ | ٣٢ |
| ٢ | ٢٣ | ٢٣ $\frac{1}{4}$ | ٢٦ | ٣٣ | ٢٩ | ٣٧ $\frac{1}{4}$ | ٣٤ | ٣٢ $\frac{1}{4}$ |
| ٣ | ٢٥ | ٢٣ | ٢٥ | ٣٣ | ٢٩ $\frac{1}{4}$ | ٣٧ | ٣٢ $\frac{1}{4}$ | ٣٢ |
| ٤ | ٢٢ $\frac{1}{4}$ | ٢٢ | ٢٥ $\frac{1}{4}$ | ٣٢ | ٣٠ | ٣٦ | ٣٣ | ٣١ $\frac{1}{4}$ |

(*) من العام الثامن .

ملاحظات : بينما يتبقى بيض في الأفران في خلال الأيام العشرة الأخيرة من الحضانة ، يواصل العمال دوما وضع النار في الأفران المجاورة ، برغم عدم وجود بيض في المفارخ السفلية .

٢ — طبقا لتجربة أجريت في القاهرة
في معمل فروج يقع في حي باب النصر

| التاريخ | درجة الحرارة في الخارج | درجة الحرارة في الحجرات الامامية | درجة الحرارة في الدهليز | درجة الحرارة في المفارخ | | درجة الحرارة في الافران |
|---------|------------------------|----------------------------------|-------------------------|-------------------------------------|--------------------------------------|-------------------------|
| | | | | خلال الايام العشرة الاولى من الحضنة | خلال الايام العشرة الاخيرة من الحضنة | |
| ٦ | ٢٢ | ٢٣ | ٢٦ | ٣٢ $\frac{1}{3}$ | ٣٠ | ٣٠ |
| ٧ | ٢٥ | ٢٤ | ٢٧ | ٣٣ | ٢٩ $\frac{1}{3}$ | ٣١ |
| ٨ | ٢٣ | ٢٤ $\frac{1}{3}$ | ٢٥ $\frac{1}{3}$ | ٣٢ | ٢٩ | ٣١ |
| ٩ | ١٩ | ٢٠ | ٢٥ $\frac{1}{3}$ | ٣٢ | ٣٠ | ٣١ |
| ١٠ | ٢٠ $\frac{1}{3}$ | ٢٢ | ٢٧ | ٣٣ $\frac{1}{3}$ | ٢٩ | ٣٠ |
| ١١ | ٢٣ | ٢٤ | ٢٦ | ٣٢ | ٢٩ | ٣١ |
| ١٢ | ٢٥ | ٢٤ | ٢٥ $\frac{1}{3}$ | ٣٢ | ٢٨ $\frac{1}{3}$ | ٣٠ |
| ١٣ | ٢٦ | ٢٤ $\frac{1}{3}$ | ٢٥ | ٣١ $\frac{1}{3}$ | ٢٩ | ٣٠ |
| ١٤ | ٢٦ $\frac{1}{3}$ | ٢٥ | ٢٦ | ٣٢ | ٣٠ | ٣١ |
| ١٥ | ٢٦ | ٢٤ | ٢٥ $\frac{1}{3}$ | ٣١ | ٢٩ | ٣١ $\frac{1}{3}$ |

(*) من شهر بريريال من العام التاسع (١٨٠١) .

ولا يبرع المصريون فقط فى فن تفريخ البيض، بل انهم يعرفون كذلك كيف يربون الكتاكيت دونما حاجة لوجود الدجاج، وان كانت مثل هذه الرعاية ليست من اختصاص أولئك الذين يدبرون أمور الحضانة الاصطناعية، بل يعهد بها لبعض النسوة فى بيوت الخاصة، وان كانت الواحدة منهن لا تربي من هذه الكتاكيت، فى المرة الواحدة، عددا يتجاوز ٣٠٠ أو ٤٠٠ كتكوت، بل ان العدد فى معظم الأحيان يقل عن ذلك بكثير، ولا يحدث أن تذهب هؤلاء النسوة للحصول على كمية جديدة من الكتاكيت من المعامل الا بعد مرور خمسة وعشرين يوما، وهو الوقت الذى يمكن الكتاكيت فيه أن تتخطى حاجتها لتلك الرعاية الأولية.

وخلال النهار، تترك هذه الكتاكيت فوق أرض جافة، معرضة للشمس وتغطيتها الانقاض أو الحصى، ويقدم اليها كغذاء القمح والارز والذرة البيضاء المجروشة والماء باعتباره المشروب الأوحده، وحين يقترب الليل تستعاد هذه الكتاكيت الى داخل البيت حيث تبقى حبيسة داخل أحد الأفران المصنوعة من الطين، حتى تصبح فى منأى عن برودة الليل، وحتى تكون فى مأمن من مطاردة الحيوانات المختلفة التى قد تدهسها، وتحتاج الكتاكيت الى هذه الضروب من الرعاية الخاصة لمدة تقترب من الشهر، وبعد هذا الوقت تترك لتجرى وسط الدجاج.

وعلى الرغم مما أبداه الكثير من الرحالة من رأى مناقض، فان لحم الدجاج والفراريج التى ربيت بهذه الطريقة، غض وشهى. ويلذ للمصريين اكله، ولا يفضلون عليه أبدا لحوم الفراريج التى جاءت عن طريق حضانة الامهات. وفى حقيقة الأمر، فان من النادر أن تكون الفراريج سمينه (١). والدجاجات هناك صغيرة الحجم، كما أن بيضها أقل حجما من بيض معظم دجاجات أوربا وان كان ذلك يعود الى اختلاف فى سلالة الدجاج فى مصر، بأكثر مما يعود الى الأساليب المستخدمة فى استفراخها.

وحين نتفحص كل المكاسب التى يجنيها المصريون من معامل الفروج لديهم فاننا لنأسف لاننا لا نجد هذا الفن مستقرا فى أوربا، وفى فرنسا على

(١) لا تسمن الفراريج أبدا فى مصر، كما لا تخصى على الاطلاق صفار الديوك، وهناك تؤكل كل أنواع الطيور بحالتها الطبيعية (أى دون تسمين).

وجه الخصوص ، حيث يمكن هذا الفن أن يمارس بنفس الدرجة (من البراعة) التي يمارس بها في مصر (١) .

(١) لا يشك الرحالة الذين زاروا معامل الكتاكت ، والذين شاهدوا خروج فقسبات كثيرة ، في امكانية نجاح هذه الطريقة بالمثل في بلادنا . وان كان لم يأخذ أحد منهم على عاتقه مهمة فحص مثل هذه المنشآت وتجميع الأساليب المستخدمة فيها . فكل واحد من هؤلاء الرحالة لم يشاهد هذه المعامل سوى مرة واحدة ، وفي معظم الأحيان في وقت لا تعمل فيه هذه المعامل ، ولهذا فان معظمهم لم يجمع سوى معلومات غير دقيقة ، وغير كافية ، وقد حصلوا عليها كيفما اتفق .

وقد وصف بعض الرحالة أمثال ويسسلنج **Wesling** ونيبود **Niebuhr** ونوردان **Norden** ، على نحو لا بأس به الأفران المستخدمة في تفريخ البيض ، ويورد هؤلاء المؤلفون الثلاثة ، الذين نستطيع أن نلحق بهم تيفنو **Thevenot** والاب سيكار **Sicard** ، وبطريقة تتفق مع الواقع ، الأساليب المستخدمة (في عملية التفريخ) بشكل اجمالي ، ومع ذلك فعند الدخول في تفاصيل ما تتطلبه العناية بالأفران خلال مدة الحضانة ، فقد ارتكبوا عددا من الأخطاء كانت عامة لديهم جميعا ولدى الكثيرين من الرحالة . وقد يكون مسموحا لنا أن ننسب اليوم الى معظم هؤلاء هذا الحظ الضئيل من النجاح الذي صادفته كل المحاولات التي بذلت في أوربا لكي تمكن ممارسة هذا الفن هناك ، وبخاصة ذلك الاحباط الذي لقيه ، في اوقات متفرقة ، أولئك الذين بذلوا أكبر الجهود في محاولة توطينه في فرنسا ، وقد كان ريومور واحدا من أولئك الذين كانوا يقومون أكثر من غيرهم بتجميع أساليب النجاح في هذا الفن . وكانت تجاربه تتصف بالدأب حتى أن المنهاج الذي وضعه في مؤلفه كان منهاجا علميا (انظر فن تفريخ البيض ، تأليف ريومور) . ومع ذلك فان الذين أطلعوه على تجارب المصريين وعلمهم قد تعمدوا أن يتركوه جاهلا للكثير من التفاصيل التي كان من المستطاع أن تكون ذات نفع لبحوثه وأن تضمن له الوصول الى نتائج أكثر تقدما .

ولكى نقف جيدا على هذا الفن كان الأمر يقتضى ليس فقط أن نتفحص هيكل أو تصميم المبنى الرئيسي وتوزيع المفارخ والأفران ، وإنما كذلك التأكد من الفصل الذي لا بد أن تبدأ فيه عملية التفريخ ، وأن نشاهد العمل اليومي لأولئك الذين أوكلت اليهم إدارة الأفران . وأن تعرف بمعونة الترمومتر درجة الحرارة التي يحرصون على استمرارها أثناء الحضانة ، كما كان الأمر يتطلب منا أن نتتبع في اوقات مختلفة ، وداخل معامل مختلفة ، عملية حضانة ثانية وثالثة . وعن طريق هذه الخطة للمتابعة والملاحظة توصلت الى تجميع مادونته عن معامل الفروج في مصر .

ولسوف يكون سهلا على الدوام ، مع بذل بعض ضروب العناية ،
تفريخ البيض بواسطة الحضانة الاصطناعية ، كما أن تربية الكتاكيت تلقى
الكثير أو القليل من الصعوبات تبعا لحالة الطقس ولطبيعة الفصل (الذى
تدم فيه) من فصول العام . ومع ذلك ألم تتغلب براعة الأوربيين دوما على
عثبات مشابهة عندما استجلبنا الى اجوائنا نباتات اسننساها وحيوانات
ربيناها ، كانت غريبة عليها ؟

ولسوف يكون من الضرورى بالنسبة لنا ، كى نتوصل الى تفريخ
البيض عن طريق الحضانة الاصطناعية ، والى تربية الكتاكيت دون حاجة
الى معونة من الدجاجات ، أن نتمثل ذلك الأسلوب البسيط والعملى الذى
ادى المصريين ، وقد يتحتم علينا بصفة خاصة أن نعدل عن هذه المنشآت
الضخام التى نحلم بأن نفرخ فيها ، وأن نربى فى الوقت نفسه الوفا عدة من
الكتاكيت .

روييه

(٢)

صناعة ملح النوشادر

كولليه ديكيوتيل

العنوان الأصلي للدراسة : وصف طريقة صنع ملح النوشادر .

(وصف مصر - م ١٩)

نبذة تاريخية

لن نأخذ على عاتقنا هنا أن نبحث فيما ان كانت المادة التي نطلق عليها الآن اسم ملح النوشادر قد عرفت من قبل قدماء المصريين ، وان كنا نعتقد ان علينا أن نسترعى الانتباه الى انها تختلف كثيرا عن تلك التي أطلق عليها كل من بلين Pline وديوسكوريد **Dioscoride** الاسم نفسه (١) . ان هذا التماثل في التسمية لم يكن قط قائما فيما مضى ، كما أنه لم يتم الا بسبب اصرار بحائثة القرون الأخيرة على تطبيق ما قاله بلين عن ملح قيرينيا (**) **La Cyrenaique** على ملح النوشادر الحديث . وتخيرنا مؤلفاتهم نفسها ان الملح الأخير كان يحمل اسم ملح أرمنيا **Sal Armeniacos** . وهذه التسمية التي لا بد ان نرجع اليها أصل كلمة **armoniac** ، ومنها **ammoniac** (اى ملح النشادر) ، والتي كانت لا تزال تطلق على هذه المادة في بعض مؤلفات القرن الماضي تقابلنا مرة أخرى في فارس حيث تستخدم كلمتا نوشادر وملح أرمنيا دون تفرقة للإشارة الى ما نسميه نحن **ammoniac** (٢) ، وبلا جدال ، فقد أطلقت هذه التسمية على هذه المادة لأن هذا الملح كان يشكل جزءا من تجارة الأرمن ، مما دفع البعض على الاعتقاد بأنه يأتي من بلادهم ، كما افترض آخرون — لوقت طويل — أنه يصنع في البندقية ، لان البنادق كانوا يجلبونه الى الشرق ، بعد ان يكونوا قد اشترؤا — ربما — من الأرمن .

(١) كان ملح منجم ، ولعله كان ذامكسر ليفى كما يمكننا ان نستنتج من نصوص وردت عند هذين المؤلفين ، انظر بلين ، الكتاب ٣١ ، الفصل السابع ، المجلد العاشر ، ص ٣٥٤ وما بعدها ، طبعة باريس ١٧٧٨ ، في ١٢ مجلدا ، وكذلك ديو سكوريد ، الكتاب الخامس ، الفصل ١١٧ ، ص ٣٢٦ ، طبعة ١٥٢٩ .

(٢) اذا رجعنا الى قاموس اللغة الفارسية سنجد ان ما يطلق عليه الايطاليون اسم **Sale armeniac** وبالفرنسية **Sel ammoniac** هو نفسه ما يسمى بالفارسية نوشادر أو ملح أرمنيا ، اى الملح الأرمنى .
(**) يطلق الاسم اللاتيني حاليا على اقليم برقة بأكمله . . . (المترجم)

وسالط على هذه المادة في مصر اسم نشادر (بفتح النون) ، وهى كلمة قريبة الشبه بكلمة نوشار التي تستخدم في الهند ، طبقا لبعض بحوث نساء المسبو لانجلبه Langles أن يقوم بها عن طيب خاطر استجابة لرجاء منى ، بنفس المفهوم ، حيث من المعروف أن ملح النوشادر يصنع في الهند ، وبنفس الأساليب المتبعة في صنعه في مصر . وهذا التشابه في الاسم ، بالإضافة الى رأى بعض المستشرقين الذين لا يعتقدون أن لكلمة نشادر أصلا عربيا ، يحمل على الظن ، كأمر طبيعى ، بأن فن صناعة هذا الملح قد كان يمارس في الهند من قبل أن تمارسه مصر ، وأنه لم يدخل البلد الأخير الا بعد ان فتحه العرب ، وان كان مثل هذا الزعم يتطلب تمحيصا متأنيا حتى يصبح بالإمكان تبنيه بشكل حاسم .

ويبدو أن العرب هم أول من كتبوا عن ملح النوشادر عند المحدثين ، اذ نجد في مؤلفاتهم بعض اشارات غير واضحة عن صناعته ، تختلط فيما يبدو بأفكار مأخوذة عن بلين ، كما أنها أبعد عن أن تكون كافية للتعريف بحقيقة أصله (١) .

وقد تصور البعض في أوربا ، وان كنا لا نعرف في أية حقبة، أن هذه المادة تنتج عن بول الجمال الذى تتشربه رمال الصحراء، ويبدو أن هذه الفكرة ، التى رآها الآخرون مضحكة ، كانت تهدف الى التوفيق بين ما كتبه بلين وبين ما كان معروفا عندئذ عن وسائل استخلاص الملح ، وذلك أن الكيميائيين من قبل ان يبدأ القرن الأخير بسنوات طوال ، وبدون معرفة تامة بمكونات ملح النوشادر ، وهو الأمر الذى لم يصل فيه دوهاميل Duhamel لرأى قاطع الا فى عام ١٧٣٥ ، كانوا يحضرونه فى معاملهم بأن يقطروا خليطا من الملح البحرى وسنجا الخشب^(٢) . وحتى عام ١٧١٦ كان الناس لا يزالون يجهلون الأصل الحقيقى لذلك الشئ الذى يدخل فى صناعاتنا ، كانوا فقط يعرفون أنه يأتى من الشرق .

(١) انظر ابن سينا فى كتابه عن مبادئ الكيمياء عند جابر بن حيان .

(٢) استبعد ليميرى الأب وهو مبرج Homberg السنجا

Hist. de l'Acad. 1716 ، أما هذه الوسيلة التى ينقلها جانكير Junker عن لانجيوس Langius (انظر ترجمة Demachy المجلد الخامس ، ص ٣٥٦) على اعتبار أن البنادقة قد مارسوها ، فانها هى الوسيلة نفسها — مع اختلافات طفيفة — التى يقدمها جابر بن حيان . انظر المرجع السابق ،

وفى هذه الفترة ، فى ٢٢ ابريل ١٧١٦ ، قرأ جوفروى الاصغر Groffroy L.e Cadet فى اكاديمية العلوم ، دراسة موجزة تهدف للبرهنة على أن هذا الملح يستخلص ولا بد عن طريق التصعيد، وان من المستطاع ،

بالجوء الى العملية نفسها أن نصنعه فى فرنسا عن طريق صنع خليط من الملح البحرى والطين الأصفر وبول الحيوانات أو آية مادة حيوانية اخرى ، وحيث تصدى ليميرى الابن Lemery fils لنقض ما جاء بهذه الدراسة فانها لم تنشر فى المجلد العام (للاكاديمية) ، وأخذ المسيو دى ريومور على عاتقه أن يطلب باسم الاكاديمية معلومات حول هذا الموضوع من قنصل فرنسا بمصر ، وكان ليميرى يعتقد أن ملح النوشادر يستخلص عن طريق التصعيد والتجميد (التكليس) ، كما يحدث فى مناطق عديدة لانتاج موريات الصوداء. وقد بنى هذا الكيمائى طريقته هذه فى التفكير من ملاحظة شكل قوالب ملح النوشادر التى تصل من الشرق ، كما كان شكل هذه القوالب نفسه هو الذى أوحى لجوفروى بأنهم يستخدمون أسلوب التصعيد (فى صناعة ملح النوشادر) .

ومع ذلك فان رسالة من الأب سيكار ، مؤرخة فى الأول من يونية ١٧١٦ ونشرت فى المجلد الثانى من دراسات مبشرى صحبة يسوع فى الشرق

Memoires des missionnaires de la Compagnie de Jesus dans le Levant.

ورسالة اخرى من لومير Lemaire قنصل فرنسا فى القاهرة ، مدونة بتاريخ الرابع والعشرين من يونية ١٧١٩ ردا على أسئلة الاكاديمية قد جاءتا شبه متطابقتين مع كل الاراء التى بشر بها جوفروى ، وعندئذ أصبح لهذا الكيمائى مطلق الحرية فى نشر دراسته فى مجلد (الاكاديمية) لعام ١٧٢٠ ، وارفق بها ، عند نشرها ، الرسالتين اللتين أشرنا لالتو اليهما .

كانت المعلومات التى تضمنتها الرسالتان متطابقة فيما بينها ، وقد أوضحت أن ملح النوشادر يصنع فى مصر وأنه يستخلص عن طريق التصعيد ، من سجاج ينتج أساسا عن طريق احراق براز الحيوانات ، لكن

الرسالتين اختلفتا فى نقطة هامة كانت موضوعا لجدل طويل بين الكيميائيين ، كما كانت بالنسبة للرحالة اللاحقين موضوعا لاستقصاء مدقق . فقد كانت المادة التى يستخلص منها النوشادر طبقتا لمعاومات لومير **Lemaire** هى السناج الخالص وحده ، لكن الأب سيكار يرى أنهم يضيفون الى السناج القليل من الملح البحرى وبول الحيوانات . وقد عنى جوفروى عناية بالغة بأن يسترعى الانتظار الى هذا القول الأخير ، فقد كان يعتقد أن اضافة الملح البحرى أمر لا بد منه لدعم افتراضاته الأولى .

لكن معلومات جديدة جاءت من الأب سيكار نفسه ردا على أسئلة الاكاديمية ونشرت فى عام ١٧٢٩ فى المجلد السابع من دراسات مبشرى صحبة يسوع فى الشرق التى سبقت الاشارة اليها . جاءت لنتطابق تمام التطابق ، فى هذا الخصوص مع المعلومات التى قدمها لومير **Lemaire** . ولم يعد الرحالة الذين كانوا يجوبون مصر ، منذ ذلك الوقت ، والذين يولون اهتماما خاصا بهذه الصناعة ، يقولون أن المصريين يستخدمون (فى صنع النوشادر) الملح أو البول .

واكد جرانجيه **Granger** بطريقتة موضوعية ، وهو الذى أولى اهتماما خاصا للتأكد مما ان كان المصريون يستخدمون هذه المواد ، انهم يقتصرون فى صنع النوشادر على السناج (١) .

ودعم هاسلكست **Hasselquist** الذى قام برحلته بعد جرانجيه والذى قدم فى « دراسات ستوكهلم » (٢) تفاصيل هامة حول هذا الضرب من ضروب الصناعة ، فكرة الاقتصار على استخدام السناج الحيوانى (أى الناتج عن احتراق بقايا حيوانية) ، وان كان قد ألح كثيرا على الكمية الهائلة لموريات الصودا التى تحتوى عليها النباتات المستخدمة طعاما للحيوانات ، والتى يكاد يكون برازها الوقود الوحيد الذى تستخدمه مصر . وهو يشير اليه باعتبارها مصدرا كبيرا لاهمض الموريات اللازم لانتاج ملح النوشادر ، ثم قدم لييل

(١) انظر تقارير هذا الرحالة وهى الدراسة التى أمر بطبعها دوهاميل فى مجلد الاكاديمية للعام ١٧٣٥ ، ص ١٠٧ وما بعدها .
(٢) مجموعة دراسات بالغة الأهمية عن الكيمياء والتاريخ الطبيعى تضم أعمال أكاديمية أوبسال **Upsal** ودراسات أكاديمية ستوكهلم ، الجزء الأول ، ص ٢٢٧ .

Leyel هذا الرأي نفسه ، بعد ذلك ، مع كثير من النطوير ، واذا كان قد امكن جوفروي أن يرتاب فى صحة ذلك ، فقد بات دون جدال أكثر استعدادا لتقبل فكرة امكانية صنع ملح النوشادر فى مصر من السنجا ، وبدون أن يضاف اليه الملح البحرى .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد تحدث رجاله آخرون عن هذه الصناعة ، وان كان الأمر قد تم بطريقة مبالغ فيها لحد لا يجعلنا نشير اليها هنا ، اما اولئك الذين استطاعوا حسب معلوماتنا أن يقدموا افكارا نافعة فهم هؤلاء الذين اشرنا اليهم ، ولكن البيانات والأوصاف التى تركوها لنا قد جاءت ، كلها لسوء الحظ ، غير كاملة ، بل اننا نجدها فى بعض الاحيان تتناقض بعضها مع بعض ، بحيث سيكون من المستحيل علينا عند مقارنة كل ما كتبوه أن نكون فكرة دقيقة عن الأسلوب المتبع فى صنع ملح النوشادر ، ولهذا السبب فقد عزمنا أن نقدم عنه هنا كل التفاصيل ، وبالطريقة التى تابعها كثيرون من رجال الحملة أثناء التنفيذ ، ولقد تحرر الوصف الذى سنشرع فى قراءته طبقا لمعلومات جمعها هؤلاء الرجال ، وبصفة خاصة تبعا لما قدمه لنا من معلومات ، المرحوم المسيو لوروج Lerouge الذى كان قد تابع كل المراحل بكثير من الانتباه والمثابرة ، بل أنه قد شرع بالفعل فى القيام ببعض البحوث لتأسيس نظرية عن تكوين وتركيب ملح النوشادر لكن المنية قد عاجلته فى جائحة عام ١٨٠١ قبل أن يتمكن من اتمامها ، فلم يستطع أحد الاستفادة بمعلومات ذات شأن كبير من التجارب التى أجراها .

وينتج من العرض الذى انتهينا من تقديمه ان الرحالة المتأخرين الذين ذكرناهم قد برهنوا بدرجة كافية على صحة افتراضات لومير المتعلقة باستخدام السنجا دون اختلاطه بأى عنصر آخر ، وقد يكون من التزيد أن ندعم ذلك مرة أخرى بشهادتنا نحن الخاصة ، ولا بد لنا أن نستنتج من هذه الممارسة أن السنجا يحوى ملح النوشادر كاملا وان المصريين لا يفعلون سوى أن يستخلصوه عن طريق التصعيد ، وقد أدت التجارب المختلفة التى أجريت على هذا الموضوع الى نفس النتائج ، وترتبط هذه الخاصية التى للسنجا ، كما لاحظ بحق كل من لومير والأب سيكار ، بطبيعة المواد المحترقة التى أنتجته ، وعلى هذا ، فان علينا أن نبدا بحثنا بدراسة الوقود .

عن مواد الوقود المستخدمة فى مصر

يكاد يقتصر المصريون فى اشغال مواقدهم على روث الماشية ، وقد ارغمتهم على ذلك بلا شك ، ومنذ زمان طويل ، ندره الاخشاب ، والغبية المطلقة لاي وقود معدنى ،بالاضافة الى ان لجوءهم لهذا النوع من الوقود لن تترتب عليه هناك نفس المساوىء التى يمكن ان تنجم عنه فى بلد اقل خصوبة ، اذ قلما يشعر الناس هناك بالحاجة لاستخدام الاسمدة ، وفضلا عن ذلك فان الاسمدة الوحيدة التى قد يستخدمونها هناك ، وهى الأتربة ، بعد غربلتها من الانقاض ، وكذلك زبل الحمام . وفيرة للغاية لحد لا يكون معة ثمة محل للاسف على السماد الذى خان بمتدور الماشية ان تهيئه (لو لم يستعمل وقودا) ، ويلقى روث الماشية هناك كل الاهتمام ، كما يقتصر استخدامه على توفير الوقود .

ولكى يصبح هذا الروث صالحا للاستعمال ، فانه يهرس فى البداية ويعجن لاعطائه قوام عجينة رخوة . فاذا كانت حالة الروث شديدة الصلابة، فانها ترطب بشيء من الماء ، اما اذا كانت بالغة السيولة فيضاف اليها القش المهروس (التبن) . وحيث تتم هذه العملية على الأرض فان هذا الوقود يختلط ببعض الأتربة ، وبعد ذلك تشكل منه كتل (اقراص) تلصق بحائط مبنى باللبن عادة ومعرض لأشعة الشمس . وهناك تلتصق الاقراص وتكتسب شكلا مسطحا آخذة هيئة رغيف يتراوح اتساع سطحه تبعا لكمية مادة الروث المستخدمة فى صنعه ، وحين تجف هذه الاقراص تنتزع لتوضع فى مخزن ، وتحمل هذه السلعة التى يعهد باعدادها الى النسوة والاطفال اسم « الجلة » ، وثمانها بالغ الانخفاض ، اذ تساوى مائة القرص منها ، فى سمك واتساع كف اليد ، ثلاثة مدينى على أكثر تقدير ، أى ١/١٠ الفرنك، ومع ذلك فهى تعد غالية لحد لا تقدر معه على استخدامها كل طبقات السكان ، ولذلك يسعون لتخفيض ثمنها بأن يضيفوا اليها عند اعدادها كمية كبيرة من الأتربة والطين ، وتتشكل من هذا الخليط اقراص فى سمك القبضتين ، يجففونها فى الشمس ، وتحترق هذه على نحو طيب ، على طريقة الخث(*) ، مع تاكليها شيئا فشيئا منتجة حرارة متساوية للغاية ، ويطلق على هذه اسم قرص (اقراص) .

(*) الخث أو التراب (بتشديد وضم التاء) تراب عضوى قابل للاشتعال ، يتكون من التحال البطيء لبعض النباتات الطحلبية .
(المترجم)

وبالإضافة الى هذين النوعين من الوقود ، وهما مكلفان لحد يفوق قدرة بعض المنشآت (أو المصانع) ، يستخدم وقودا كذلك كناسنة الشوارع ، والقش ، والعظام ، والريش ، والبراز من كل نوع ، بعد أن تجففه حرارة الشمس . وهو يوجد فوق اكوام الزبالة والانقاض التي تحيط بالمدن ويفصله الناس عن التراب بواسطة الغربال ، وعن طريق هذه المواد ، بصفة خاصة ، وهي التي تظل محتفظة بقدر كبير من الطين ، كما انها مشبعة بالملح البحرى (١) ، تتم تدفئة الحمامات العمومية .

اما الوقود النباتى الذى لا ينتج عن احتراقه السناج فيقتصر استخدامه على بعض المصانع ، مثل القمائن وأفران الفخار وأفران الزجاج ، حيث لا يحترق سوى قش وسيقان الذرة وغاب البوص ، وكذلك تستخدم «الجلة» فى المخابز .

ولابد لأصناف الوقود الثلاثة الأول التي اشرنا اليها فى البداية أن تنتج بالضرورة الكثير من النوشادر أثناء احتراقها ، اذ هى تحتوى على كمية كبيرة من المادة الحيوانية ، كذلك لابد لهذا العنصر ، لكى يكون ملح النوشادر ، أن يتحد بحمض الموريات ، ولا يستطيع المرء أن يعتقد أن لهذا الحمض من أصل سوى موريات الصودا الموجودة فى المواد التي يتم احراقها . وتحتوى مواد الوقود هذه ، التي التقطت من الشوارع ومن اكوام الانقاض كمية كبيرة منها ، كما أن وجودها داخل براز الماشية فى مصر هو واحدة من الوقائع المموسة بشكل مؤكد ، بينته بجلاء تجارب المسيو لوروج ، الذى وجد بها كذلك السلفات والأملاح المرة وان كان هو— لم يحدد لنا طبيعة هذه الأملاح الأخيرة .

ومن السهل تفسير انبعاث موريات الصودا فى الافران التي تحترق فيها الأقراص (روث الماشية المختلط بالطين) أو زبالة المدن ، فحيث تحتوى هذه الأنواع من الوقود على كثير من الطين المختلط بالملح البحرى (ملح الطعام) ، فان كل الشروط اللازمة لتكوين هذه المادة الأخيرة توجد مجتمعة ، ولكن عندما يقتصر الاستعمال على « الجلة » ، فان كمية

(١) تحتوى اتربة الشوارع على نسبة مئوية كبيرة من حجمها من الملح البحرى .

الطين الموجودة بها تبدو قى حجم لا يكون بمقدورها معه أن تتعامل بطريقة فعالة مع موريات الصودا ، أما هذا العنصر الأخير فلا بد له من أن يتحلل عن طريق الأملاح الأخرى التى يوجد مختلطا بها فى المواد البرازية ، ويمكن للمرء أن يرى كذلك أن موريات طينية تتكون فى أثناء عملية الهضم وأنها تتحلل بعد ذلك بفعل حرارة الاحتراق ، بل ان كمية ضئيلة من موريات النوشادر توجد متكونة بالفعل فى البراز ، لكن تأثير هذين السببين الأخيرين بالغ الضعف بشكل مؤكد ، بالمقارنة بالتأثير الذى يمكن أن يحدثه النسبب الأول الذى اشرنا اليه .

وزيادة على ذلك ، فمهما تكن مدة وسبب تحلل الملح البحرى ، فان ملاحظة من المسيو شبتال **Chaptal** تبعد كل شك فى ان السناج الناتج عن احتراق براز الحيوانات يدين بخاصيته تلك الى وجود هذه المادة الملحية فى طعامها ، لاحتواء هذا الطعام على موريات النوشادر ، فقد أوضح هذا الكيمياءى الشهير فى كيميائه التى طبقها فى مجال الصناعة (الجزء الرابع ، ص ١٣٧) « أنه قد استخلص ملح النوشادر من السناج الناتج عن احتراق روث العجول والخيول البرية التى تعيش فى سهول لاكاماراج ولاكرو (*) الشاسعة ، وعلى حواف العديد من برك ومستنقعات البحر الأبيض المتوسط ، ومع ذلك ، فحيث تفضل هذه الحيوانات النباتات حلوة المذاق على الأعشاب الملحية ، وحيث هى لا تتغذى على الأخيرة الا خلال الشتاء ، فان برازها لا يعطى ملح النشادر الا أثناء هذا الفصل »

وتعطى هذه الواقعة قيمة كبيرة لراى هاسلكيست **Hasselquist**

الذى لم يؤسسها الا على وجود مذاق ملحي فى انواع عديدة من النباتات التى يغذى بها المصريون مواشيهم ، وتتطلب منا ملاحظته تلك ، والتي تبدو متنافرة مع حدوث الفيضانات السنوية لنهر النيل ، ان ندخل فى بعض التفاصيل كى نتبين كيف ان النسبة الغالبة من خضروات مصر لا بد لها فى الواقع ان تحوى من الملح البحرى أكثر مما يمكن ان تحويه الخضروات التى تنمو فى اجوائنا ؛ فحيث ان الأرض فى المناطق المطيرة فى أوربا تغسلها على الدوام مياها

(*) لاكاماراج ، جزيرة تكونها دلتا نهر الرون ، وهى مراعى للخيول والمعجول البرية ، أما لاكرو فسهل رملى قاحل من سهول الرون ، ويفص بالحصى . (المترجم)

الأمطار النقية فانها لاتستطيع أن تحوى من المواد الملحية الا ماتجلبها اليها الأسمدة ، لذلك فلا يمكن أن تكون نسبة هذه الأملاح (بأراضينا) كبيرة ، وعلى العكس من ذلك ما يحدث فى مصر ، التى لاتكاد تسقط عليها مطلقا أمطار السماء ، وحيث أن التربة (المصرية) تنحصر داخل صخرة من الحجر الجيرى ، فانها تحوى فى طياتها الكثير من موريات الصنودا ، وتظل مشبعة بالملح حتى انه يكفى الا يروى حقل ما لعدة سنوات ، ليصبح غير قادر على استنبات المحاصيل المفيدة مالم تغسل مياه النيل تربته — بمعنى كلمة يغسل — قبل زراعته ، أما الاراضى التى تمكث بها مياه النيل لمدة طويلة ، فهى الوحيدة التى قد تكون خالية من الأملاح ، ومع هذا فجزء ضئيل فقط من سطح مصر هو الذى تنطبق عليه هذه الحال ، ذلك ان المساحة الأكبر (من أرض مصر) لاتحصل على حاجتها من الماء الا عن طريق الرى (الصناعى) ، والذى يتم بالنسبة لمعظمها عن طريق مياه الآبار ، التى تحفر فى الأرياف لهذا الغرض ، ولا تعطى هذه الآبار سوى مياه تتفاوت درجة ملوحتها تبعا لمدى بعدها عن النهر الذى تحصل منه على مياهها من خلال مسام الأرض الخضراء ، وحين تنتشر النباتات كميات من هذه المياه فانها تنتشر معها نتيجة لذلك كمية لابأس بها من الملح البحرى . أما النباتات التى تنمو على شواطئ البحر ، او فى المناطق التى لاتغمرها مياه النيل ، فتحوى بالضرورة على كمية أكبر من الملح ، ولا بد أن هاسلكيست قد وجد المذاق الملحى (الذى لاحظته) فى هذه النباتات بصفة خاصة ، اذ اننا نلاحظ ان الخضروات التى تغطى الحقول لها مذاق من نوع خاص .

وبالإضافة الى ذلك ، فلا بد للمرء أن يلاحظ انه ليس من الضرورى أن تحتوى النباتات على الكثير من موريات الصودا حتى يصبح بالامكان تفسير تكون ملح النوشادر ، ذلك ان كمية السناج (الناتج عن الاحتراق) تعد ضئيلة للغاية بالنسبة الى كمية الأطعمة التى تغذت عليها الماشية ، بحيث يكفى أن تحوى هذه الأطعمة نسبة جد ضئيلة من الملح حتى يكون بمقدورها أن تهيب حمض الموريات اللازم لتكوين ملح النوشادر ، وهو الملح الذى تنتجه مصر بوفرة ، حيث يمكن القول بأن هذا الاقليم الفسيح ، ليس سوى معمل واحد (لانتاج هذا الملح) ، تتم العمليات التحضيرية لتكوينه داخل كل البيوت الخاصة .

ونستنتج مما سبق القول كيف يمكن اختلاف طعام الماشية أن يعطى فروقا فى قيمة السناج الناتج عن برازها ، ولهذا السبب دون شك فإن براز بعض الحيوانات يمضى ليعطى سناجا أكثر غنى (بملح النوشادر) ، وهكذا ، وطبقا لمعلومات قام بجمعها المسيو لوروج ، واستقاها من صناع ملح النوشادر ، فلا بد - فى هذا الصدد - أن نضع براز الجاموس فى المقام الأول ، تليه بعرات الخراف والماعز ثم براز الانسان ، وبعد ذلك تأتى بعرات الجمل ، وتأتى فى المقام الأخير بعرات الخيل والحمير ، وأن كان الأرجح الا يكون هذا الترتيب قد تم على أساس أية تجربة موضوعية، كما أنه سيتغير ولا بد تبعا لنوع الأطعمة ، ولهذا فاننا لانورده هنا الا لكى لانكون قد استبعدنا شيئا مما يتصل بالصناعة التى عنينا بها .

عن السناج (١)

تكاد تكون كل مساكن الفلاحين عبارة عن بيوت مبنية من الطين ، قليلة الارتفاع وليس لها من منفذ لتسريب الدخان سوى الباب ، ولذلك ثبت فوق كل الأوجه الداخلية لجدران المساكن ، ومع ذلك ، فحيث أن ملح النوشادر أقل قابلية للتبخر (للتبدد فى الهواء) عن الأجزاء الداكنة ، فإن من الطبيعى أن نجد أن السناج الأقرب (الأدنى) هو أكثرها ثراء (بملح النوشادر) .

ويجمع السناج عادة مرة واحدة كل ثلاث سنوات من مساكن الأفراد، أما فى الأماكن التى توقد فيها النار بشكل اعتيادى ، مثل المخابز والحمامات العمومية ، فتجمع هذه المادة من هناك مرة كل عام، ويجوب رجال يرسلون من قبل ملاك مصانع التصعيد قرى مصر ليشتروا من الفلاحين حق السماح لهم بجمع السناج من مساكنهم، وهم لا يأخذونه مطلقا بالوزن ، ولكنهم يحكمون بنظرة خاطفة مقدار كمية السناج التى يمكنهم أن يستخلصوها ، فإذا كان السناج ذا قيمة ضئيلة ، كما فى مصر العليا، فإنهم يقدمون فى مقابله الصابون والابر وأشياء أخرى مماثلة ، أما فى مصر السفلى (حيث السناج أكثر قيمة) فيدفعون ثمنه نقدا .

(١) الهباب (والكلمة الموضحة هنا وردت بحروفها العربية واللاتينية فى الأصل الفرنسى - المترجم) .

ويستخدم هؤلاء لجمع السنّاج من الثّباب الوطيئة ، أو من فوق الجدران ، مكاشط حديدية صغيرة ، لها أياد طويلة ، يجرفونه بواسطتها لكي يفصلوا الوسف (القشرة) الذي يلتحم به بقوة ، مما يؤدي الى تجريف كثير من الطين ، أما في مصر العليا ، حيث لا يصنع السنّاج لنفسه وسفا ، فيكتفون بازالتة بواسطة مثشّة ويجمعونه في قطعة قماش تبسط فوق الأرض .

وتختلف صنوف السنّاج فيما بينها سواء في اللون أو الوزن أو المذاق ، بقدر ماتختلف في درجة الجودة أي في حجم كمية ملح النوشادر التي يحويها ، فبعض أنواع هذا السنّاج تدخل في عداد ملا يحوي ملح النوشادر البتة رغم صدوره عن مواد حيوانية ، وهذه الأنواع فيما يؤكد البعض سيرة للغاية ، أما أفضل أنواع السنّاج فهو ما يأتي من مصر السفلى وبخاصة من منوف وضواحيها الواقعة على فرع رشيد وكذلك من المنصورة والأماكن المحيطة بها على فرع دمياط . وهذه الأنواع من السنّاج تضرب الى الصهبة كما أنها ثقيلة الوزن وتحتوي على كمية ضئيلة من الطين ، وهي أقرب شبيها بالطين الدخن منها بسنّاج حقيقى ، ومذاقها لاذع للغاية ، ويلمح المرء فيها بسهولة ، وبخاصة في الافتانيت منها خيوطا صغيرة من ملح النوشادر ، وتوفر هذه الأنواع كمية كبيرة من هذا الملح من صنف بالغ الجودة اذا ما أديرت عملية التصعيد على نحو طيب .

عن عملية التصعيد

يتم تصعيد ملح النوشادر في قنينات زجاجية ملطخة بالطين حتى بضع سنتيمترات من فتحتها ، وحيث أن المساحة (من جسم القنينة) التي تركت للملاحظة يبردها الهواء بصفة دائمة فإنها تبطن من الداخل بملح النوشادر ما ان يتم تصاعد الأخير بفعل الحرارة ، من السنّاج الذي يملأ اتساع القنينة ، وسنعرض تباعا لكل تفاصيل هذا العمل في الفقرات التالية :

عن القنينات وكيفية صنعها

تصنع القنينات التي تستخدم (في صناعتنا هذه) من زجاج أسود اللون ، بالغ الرداءة ، وان كان كافيا للاستعمال المخصصة هي من أجله .
ومنذ البداية ، أدى انخفاض ثمن النظرون ، بالاضافة الى وفرته ، الى تفضيل الزجاج على اية مادة أخرى في صنع آنية التصعيد ، وقد حالت هذه الأسباب ، مع ندرة الوقود ، دون أن يحصل فن صناعة الزجاجات على تحسينات كبيرة ، ولهذا فان منتجاته ، حتى تلك المخصصة منها لاستعمالات الحياة العادية ، هي من نوع بالغ الرداءة ، بل ان القنينات المستخدمة في المصانع التي تعيننا هنا ، أدنى من هذه بكثير ، كما أن هشاشة هذه الآنية قد تجرول من نقلها عملية بالغة الصعوبة ان لم نقل مستحيلة ، ولهذا السبب يضطر أصحاب مصانع ملح النوشادر لتصنيعها في مصانعهم الخاصة ، وان كان هذا الأمر لا يتسبب لا في انفاقات كبيرة ولا في حدوث الكثير من المضايقات . وتكفي مساحة مربعة الشكل ، يبلغ طول ضلعها نحو المترين كمكان لاقامة فرن الزجاجات (١) . وتحيط به أربعة جدران رئيسية سمك كل منها ثلاثة ديسمترات ، ويبلغ ارتفاعها نحو المترين ، وتتلاقى عند نهاياتها بقبة تتقل فرن الانصهار واتون التحمية أو الانضاج .

ويشغل فرن الانصهار نحو ثلثي الارتفاع الكلي للمبنى ، أما الثلث الباقي فيضم فرن التحمية أو الانضاج ، ويشتمل الأول على موقد وحوض توضع فيه مباشرة المواد المراد صهرها ، وينفصل الموقد الذي يمتد بطول الفرن كله في اتجاه ، وبطول ثلثه في الاتجاه الآخر ، عن الحوض عن طريق حائط طوله متر ولا يعلو فوق سطح أرض الحوض الا ببضعة سنتيمترات ، في حين يقوم الحوض فوق مصطبة مبنية تعلو فوق سطح أرضية المصنع بنحو ٨ الى ٩ سنتيمترات .

وتغطي فرن الانصهار قبة تستخدم في الوقت نفسه أرضية لفرن التحمية ، وتعكس هذه القبة (أو تشع) الى الحوض لهيب الوقود ، الذي

(١) انظر الأشكال ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من اللوحة الثانية من الفنون والحرف ، وكذلك شرح هذه اللوحة .

يتكون عادة من سيقان الذرة وغاب البوص ، وتدخّل نسبة من اللهب كذلك الى فرن التخمية عن طريق فتحة عملت في منتصف القبة التي انتهينا من الحديث عنها .

أما المادة التي تصنع منها القنينات ، فهي خليط من النطرون مع مسحوق رملي تم اعداده تماما من قبل ، ويحصل عليه من مصانع الزجاج العادية . ويوضع هذا المسحوق الرملي على هيئة طبقات قليلة السمك داخل الحوض ، وتضاف اليها بعد ذلك كمية كبيرة من النطرون ، وذلك للاسراع بانصهارها .

ولكى يتم صنع قنينة ، يقوم العامل بانتزاع المادة اللازمة لهذا الغرض بواسطة عصاه ، وبعد أن يصل بهذه القطعة المنتزعة الى قطر يبلغ نحو ٢٤ الى ٢٧ سم في الوقت الذي يظل هو يحتفظ بها داخل فرن الانصهار ، ينتهي بها الى فرن التخمية أو الانضاج لتظل وسط النيران التي تتوغل الى داخل الفرن الأخير عن طريق الفتحة التي تم احداثها في منتصف القبة السفلية ، وعندما تبلغ القنينة قطرا يبلغ ٤٠ الى ٤٥ سم يضعها العامل فوق الرمل الذي يغطي أرضية فرن أو أتون التخمية ، ثم يبرى العامل رقبة القنينة وبعد ذلك ، وبطريقة خفيفة فوق عصاه ، يفصل القنينة (عن العصا) ، ويحرص العامل دوما على أن يبلغ طول رقبة القنينة من ٤ الى ٥ سم وقطرها من ٤ الى ٧ . وتستغرق هذه العملية بكل مراحلها نحو خمس الى ست دقائق .

وحيث لا يستطيع فرن التخمية أن يضم سوى اثنتين أو ثلاث قنينات ، فإن الواحدة من هذه الآنية لا يمكنها أن تمكث في هذا الفرن لأكثر من ١٠ الى ١٥ دقيقة ، تجر بعدها بواسطة محجن حديدي الى خارج الفرن ، عن طريق فتحة تتسع للحد الكافي عملت في أحد جوانبه ، ولا يتم ابعاد هذه الآنية عن النار الا بشكل تدريجي مع تمريرها فوق حاجز يقع قريبا من النار ، لكنه لا يتلقى الحرارة الا عن طريق الفتحة المطلة على ممر القنينات .

وتمكث كل طريحة أربعاً وعشرين ساعة ، أي ان المادة لكي

تنصهر تستغرق اثنتى عشرة ساعة ، ثم تستغرق عملية نفخها بعد ذلك نفس المدة .

ونائج هذا العمل هو ماينبغى أن نتوقعه من عمل يتم انتساجه بأدوات غير متطورة ، وعلى يد عمال قليلى المهارة ، ويأتى سمك القنينات غير متساو بدرجة كبيرة ، وهى كلها على وجه التقريب مشروخة بسبب تبريدها الذى يتم بشكل شبه فجائى ، وليس من النادر أن نرى قنينات بأكملها تسقط من تلقاء نفسها مفتتة ، بل قد يتم ذلك وهى ماتزال بعد فوق الحاجز ، ويقدر عدد مايتحطم منها بنحو العشر ، سواء اثناء عملية الصنع أو فى اثناء نقلها الى خارج المصنع أو كذلك عند دهكها بالطين ، وتجمع بعناية كل هذه الشقوق . لتضاف الى شقوق القنينات التى تم استعمالها ويلقى الجميع فى فرن الانصهار .

ولا تعود هذه القنينات على الصانع بعد دهكها بالطين بشكل تام الا بـ ١٠ الى ١٥ مدينى أى بنحو ٣٥ أو ٥٠ سنتيها ، اذ تساوى كل ٥ فرنكات ١٤٢ مدينى .

عن تلطيخ القنينات بالطين

لكى يتم استخدام هذه القنينات ، لابد ان تالطخ بطبقة سميكة من الطين ، ويؤخذ هذا الطين من أرض مزروعة ، ويعجن فى حفرة ثم تضاف اليه كمية كبيرة من سيقان الكتان المهروسة بعد تخليصها من الجزء الأكبر من مشاققة الكتان التى تظل عالقة بها والتى تكون بمثابة عائق فى العملية التى نحن بصدددها .

ويتم هذا الطلاء أربع مرات ، ولكى يتم حدوثه ، يؤتى بالقنينة أولا الى حافة الحفرة ، وتوضع بحيث تكون مفتحتها الى أسفل وفوق طبقة من الرماد المحمى ، عملت فى وسطه فجوة تكفى لاستقبال رقبة القنينة ، ويمر العامل فى البداية بقاع القنينة الذى يكون هو الأعلى ، بالاضافة الى انه أقل اجزاء القنينة سمكا ، ليضع فوقه طبقة من الطين يصل سمكها الى نحو ١١ الى ١٢ مم ، ويتم ذلك دون تناسق ، وبعد هذا ترفع القنينة وتوضع فوق الأرض فى نفس الموقع حتى تجف فيه ،

الشمس ، وعندما يصبح الطين جافا بشكل جيد ، تحمل القنينة مرة أخرى لتكون قريبة من حفرة الطين وذلك لطلاء الجزء العلوى ، وتوضع فى هذه الحالة فوق قاعها وبذلك تكون رقبتها الى أعلى ، ويغطى بالطين كل الجزء الذى يبقى مكشوفنا بعد العملية الأولى فيما عدا رأس كرة يبلغ طول قطرها ١٩ الى ٢٠ سم ، بحيث تكون الرقبة هى المركز ، ولا بد أن يظل رأس الكرة هذا عاريا (أى غير ملطخ بالطين) ، وعندما يجف هذا الجزء الجديد من الجلاء الطينى ، تؤخذ القنينة مرة تالفة ثم رابعة لتحصل على طبقة ثانية من الطين ، تثبت بها بالطريقة السابقة نفسها ، وتستغرق كل خطوة نحو دقيقتين الى ثلاث دقائق .

وعندما يتم طلاء القنينات ، فانها تصبح متينة ، ويمكن الاحتفاظ بها فى المخزن لوقت طويل على هيئة اكوام ، تتكون كل كومة منها من ثلاثة صفوف ، واذا ما حدث حادث طفيف ، كأن تثقب أو تتحطم رقبتها ، فان القنينة لاتعد تالفة لهذا السبب ، بل يعالج الأمر بأن توضع على الثقب قطعة من الزجاج تغطى بالطين ، فاذا حدث هذا الثقب فى رأس الكرة (غير المطفى) فيكتفى بلصق شقفة من الزجاج اكبر قليلا من الثقب المشار اليه عندما توضع القنينة فى الفرن ، وحين تتكاثف الأجزاء الأولى من ملح النوشادر ، فسرعان ماتثبت هذه الشقفة على النحو المطلوب .

ملء القنينات

لا يتطلب ملء القنينات اتخاذ أى احتياطات خاصة ، وإنما يكتفى بتنظيف نصف الكرة العلوى بعناية تم ندخل السناج الى القنينة بعد ذلك ، ولا يترك بها من فراغ إلا ما يكفى لتكون لب المالح الذى لا بد أن يملأ القنينة حتى أسفل الرقبة بنحو أربعة سنتيمترات عندما يستخدم السناج الغنى بالمالح ، ولاقل من ذلك قليلا عندما يكون السناج أقل ثراء به ، وفى الحالة الأخيرة يقل كذلك اتساع نصف الكرة الذى لايطلى بالطين .

ويهبز العامل القنينة عند ملئها بحرص وذلك لضغط السناج ، ولكى يتكون له فى جزئه العلوى سطح أفقى مستو .

وبعد أن تملأ القنينات على هذا النحو ، توضع بعد ذلك فى الفرن ، الذى نقدم فيما يلى وصفا له :

(وصف مصر — م ٢٠)

عن فرن التصعيد

يتكون هذا الفرن من أربعة جدران رئيسية يبلغ سمك الواحد منها ستة ديسيمترات ، تترك بينها فراغا مربع الشكل يبلغ طول ضلعه نحو المترين . ويبلغ ارتفاع هذه الجدران نحو ١٣ ديسيمترا فوق أرضية المصنع ، ومع ذلك فحيث أنها تبنى حول حفرة يبلغ عمقها سبعة ديسيمترات فإن ارتفاعها الفعلى يبلغ فى مجمله المترين على وجه التقريب ، وهناك باب يقع عند الواجهة الأمامية ، ويستخدم لادخال الهواء والوقود ولاخراج الرماد .

وفى العادة ، فإن جدارى الجانبين لايحتفظان بكل ستمكهما ، بل هما يرتقان بشكل تدريجى مع ارتفاعهما ، فى حين تظل الواجهات الخارجية على نفس حالها ، فى وضعها الرأسى بطريقة يصبح معها الفرن ، من داخله ، وفى جزئه العلوى ، فى شكل متوازى أضلاع يبلغ طوله (فى اتجاه) من ٢٨ الى ٢٩ سم ، ويبلغ عرضه (فى الاتجاه الآخر) ٢٠ سم .

وتتكىء على الجدارين الجانبين ثلاث تقويسات ترتفع فى شكل عقد كامل ، ويبلغ سمك الواحدة منها نحو ٢٢ سم ، وتبنى موازية للجدران الأمامية والخلفية ، وهى تقسم نصف الفرن الى أربعة مقاطع متساوية تظل فارغة ، ويحمل ظاهر هذه التقويسات جدارا صغيرا ، له السمك نفسه ، ويمتد بشكل أفقى الى نحو أربعة ديسيمترات تحت القبة العليا للجدران الأساسية ، ويشكل الجدران الأمامى والخلفى ، ولهما نفس الارتفاع ، تراجعاً الى داخل الفرن ، وتخصص هذه التقويسات مع جدارى التراجع دعائم للقنينات عند المقاطع الفارغة والتي تحصل عن طريق هذه المقاطع الفارغة نفسها على تأثير حرارة النيران ، أما البروز الذى يتجاوز الأربعة ديسيمترات فى ارتفاع الجدران الرئيسية فوق التقويسات فيشكل سورا يحيط بكل القنينات الموضوعه فوق الفرن (١) .

ويصنع كل هذا المبنى من طوب يلتصق ببعضه البعض بفعل طين عادى ، معجون بالماء ، ومخاط بنسبة تقرب نحو الربع من حجمه ، بالملح البحرى (٢) .

-
- (١) انظر الأشكال ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ من اللوحة الثانية من الفنون والحرف ، مع شرحها .
(٢) تعد إضافة الملح البحرى الى « المونة » ممارسة شائعة فى مصر وهو أمر لم نستطع الوقوف على تقدير فوائده .

ولكل مصنع فى العادة بضعة أفران من هذا النوع ، وهى ببى هى صف واحد أو فى صفيين ، حسبما يسمح بذلك المحل ، وتضم هذه الأفران فواصل مشتركة ، لتتفل المبني كله بعد ذلك سقيفة كبيرة ، تغطيها فى معظم الأحيان سعف النخيل .

صف القنينات فوق الفرن

توضع فوق كل فرن ، بصفة عامة ، أربع وعشرون قنينة ، بحيث يتكون كل صف من ست قنينات ، ونوضع هذه متقاربة مع بعضها البعض تقريبا شديدا ، ولكن دون أن تتلامس ، ويحرص العامل كذلك على ابتعادها عن الجدران ، وعن التقويسات التى تسندها ، وذلك بوضع قطع من الرماد المتماسك فيما بينها .

وبعد أن توضع القنينات ، تملأ الفراغات التى تتركها فيما بينها ، أنصافها العلوية ، بقطع كبيرة من الرماد ، تغطى بقطع أقل حجما ، لينتهى الأمر بوضع طبقة من الرماد الناعم تعلو لتبلغ قاعدة رقبة القنينة ، كذلك يراعى أحداث فتحة يبلغ قطرها نحو الديسيمتر ، فى كل واحدة من الزوايا الأربع للفرن ، تستخدم كمدخنة .

وتستغرق كل هذه العملية ، بدءاً من ملء القنينات ، حتى اشعال النيران ، نهارا بأكمله .

تشغيل النيران

عندما يتم اعداد كل شىء ، على النحو الذى انتهينا من بيانها ، تلقى فى الفرن — وهو لا يضم أسسها ولا مرمدة (مكان لاختزان الرماد) — كمية من الأقراص تكفى لملء مايقرب من نصف سعته ، وبعد ذلك توقد النار فى الجزء المجاور للباب ، ويمتد الاشتعال ببطء ليشمل كل المساحة ، ثم يتوغل تدريجيا حتى يبلغ القاع ، وعندما تشتعل كل الكتلة ، يقفل الباب بشكل يكاد يكون تاما ، ويلاحظ أنه قد بدء فى سده بالطين قبل أن يدخلوا اليه الوقود ، وبهذه الطريقة لاتنتج سوى نار ضعيفة للغاية ، تتوغل فى بطء فى الأنية التى يتم تصعيد (ما بها من سجاج) ، ولا

ينزع هذا السد الطيبي لباب الفرن الا عندما تصبح من الضرورى زيادة النيران ، وحينئذ يضيفون حسب الحاجة وقودا جديدا .

ولا توقد النار فى الفرن الا عند بداية الليل ، وحيث تستغرق عملية التصعيد ستين ساعة فانها لا تبلغ نهايتها ، على هذا النحو ، الا قرب صباح اليوم الثالث ، وعندئذ يتم استخداج لباب الملح فى النهار ، وهذا انسب عما لو اضطروا لفعل ذلك خلال الليل .

ولا تبدأ الحرارة فى الارتفاع قليلا الا قرب نهاية الليلة الأولى ، وفى هذه الفترة تصاعد من القنينات كمية هائلة من الأبخرة الرطبة والقائمة ، مختلطة بكاربونات النوشادر ، ولا يستطيع أى امرىء أن يظل للحظات فوق الفرن الا بشق الأنفس ، وبرغم ذلك نجد عاملا عليه أن يصعد كى يحطم قشرة ملح البارود ، التى تتكون على السطح العلوى للسناج ، وأحيانا قريبا من منشأ رقبة القنينة ، اذ قد تؤدى هذه القشرة ، باغلاقها كل المنافذ على الأبخرة ، الى اغلاق كل المسارب ، مالم يحطمها العامل بمسبار حديدى ، عندما تزيد صلابتها لأكثر مما ينبغى .

وعند نحو منتصف نهار اليوم الأول ، يصبح دخان القنينات أبيض اللون ، كما يقل هذا الدخان بشكل محسوس ، برغم أن النيران تكون قد بلغت عندئذ أقصى درجة تتطلبها العملية ، وهنا يكون السناج قد تخلص من الرطوبة ومن الأجزاء الدهنية التى يحتوى عليها وتكشف أجزاء القنينات التى لم تطل بالطين والتى كان يغطيها الرماد حتى ذلك الوقت . وتؤدى البرودة التى تلامس أنصاف الكرات الى تكون جزء من الملح المتصاعد والى أن يتكثف ، وان كان جزء كبير منه يظل هائما فى الجو على شكل بخار أبيض ، وفى الحقيقة فان لباب الملح لا يبدأ فى التكوين الا بدءا من هذه اللحظة بعد أن تكون قشرة السناج قد تبخرت فى جزء كبير منها بفعل الحرارة بمجرد أن تكون هذه الحرارة قد اخترقت كتلتها .

وفى اليوم التالى ، عند الصباح ، يتحسس رئيس المصنع ما ان الملح قد اكتسب صلابته المطلوبة ، وذلك بأن يطرق فوق أنصاف الكرات بضربات خفيفة ، وفى حالة تماسك الملح تكسر رقاب القنينات ولكن بدون انتزاعها .

وعند مساء اليوم نفسه ، تفحص مرة أخرى حالة لباب الملح ، فإذا وجدته جيد التماسك ، فإنه يكسر القنينات دون أن ينتزع قطع الزجاج كذلك ، فإذا ما صدر عن القنينة صوت يفيد بأنها جوفاء ، ينتظر العامل لبعض الوقت حتى يصدع الزجاج . وعلى الرغم من هذه الاحتياطات ، فكثيرا ما يحدث أن تؤدي الأبخرة التي تتكون في منتصف كتلة السناج الى انحباس مسارب الأبخرة تحت لباب الملح .

وقد لاحظ المسيو لوروج أن رائحة لحمض الكبريتيك تنبعث قوية عندما تكسر القنينات .

وتنهي عملية التصعيد عادة عند نحو صباح اليوم الثالث ، ومع ذلك فإذا لوحظ - بعد أن يتم اخراج عدة لبابات - أنها ليست بالقدر الكافي (من التماسك) فإن العمال يبدأون عملية تسخين أخرى لبضع ساعات ، مع اضافة الوقود .

وعندما يتبين أن العملية قد اكتملت بشكل تام ، يبدأ العمال في انتزاع ملح النوشادر ، ولكي يتم ذلك تحطم القنينة أسفل كتلة الملح المصعدة مباشرة ، وتنتزع أنصاف الكرات بدون مساس بالجزء الباقي ، ثم تلقى كمية من الماء البارد على أجزاء الزجاج التي تبقى ملتصقة بلباب الملح لتتحول الى شظايا ثم تنتزع هذه بسهولة ، ولكي تستبعد المواد السوداء التي تكون بمثابة وساخات عالقة بسطح الملح الأبيض يضطر العمال أحيانا لاستخدام بلطة صغيرة ، معقوفة وحادة ، أما اذا كانت درجة التصاقها قليلة ، فيكتفى بمسحها ، أما اذا كانت تشوب الملح بقع صفراء أو سوداء فإن العامل يزيلها بقليل من الماء أو اللعاب ، واذا حدث أن ظهرت بلباب الملح أجزاء أقل تماسكا ، فأنها تضغط قبل أن تبرد بضربات مطرقة .

ويزن لباب الملح الذي يستخرج من كل قنينة ، في العادة ، اربعة أو خمسة أرطال .

ويعتمد بهاء ملح النوشادر ، كما تبينا نحن ذلك جيدا ، على صنف السناج وطريقة تشغيل النيران ، وهم يصنفون الملح ، تبعا لدرجة بياضه الى ثلاث درجات ، وان كان الفرق بين هذه الدرجات الثلاث ليس قاطعا .

لحد يخول دون وجود تقديرات تعسفية ، وأكثر هذه الدرجات نصاعة ، وهو مايسمونه المكرر ، يستخرج من المواد التي تظل فى وسط القنينات عندما لا يكون التصعيد قد تم بشكل مطلق ، وهو ما يحدث كثيرا . أما المواد التي يطلقون عليها اسم هدارى — أو حدارى — أو تلك التي يسمونها اولاد ، تبعا لما يذكر المسيو لوروج ، فهي كرات بالغلة التماسك تتكون وسط الرواسب السوداء والقابلة للتفتت التي تملأ القنينات ، وهم يحرصون على انتزاعها مباشرة بعد استخراج الملح ، وتصب فوقها على الفور كمية ضئيلة من الماء البارد لايقاف الأبخرة الوفيرة لموريات النوشادر التي تصدر عنها ، ونادرا ماتستخلص هذه المادة نقية ، اذ هم يخلطونها فى العادة بنسبة الثلث مع سناج جديد ، ويعتقد العمال أن هذا الخليط يعطى كمية اكبر من الملح عما لو صعد هذين العنصرين منفصلين . وبإذابة المواد الملحية التي يحويها هذا الهدارى — أو الحدارى؟ — نحصل على سائل به نسبة عالية من الحديد ، ومن الممكن أن يؤدي خلط هذه الكرات بسناج جديد يحتوى على كربونات النوشادر الى تولد كمية اكبر من موريات النوشادر . ومع ذلك فمن غير المحتمل أن تكون هذه الزيادة محسوسة جيدا .

وتشتعل الرواسب القابلة للتفتت بمجرد ملامستها للهواء ، وهى تفقد لونها الاسود بفعل احتراق الكربون ، متخذة اللون الرمادى أو النحاسى الفاتح ، وترمى هذه المواد ولا يحتفظ الا بفئات الزجاج التي يمكن صهرها مرة أخرى ، وترمى معه الأجزاء التي تحملت أقصى درجات الحرارة لأنها تكون قد ذابت والتحمت بالطين .

ويعطى السناج فى المتوسط نحو ١/٨ وزنه من ملح النوشادر ، أما اذا أخذنا فى الاعتبار تلك الكمية الهائلة التي تذهب بددا فى الهواء خلال عملية التصعيد ، وهى كمية كبيرة لحد أنها تظل تملأ أجواء المصنع على الدوام خلال هذه العملية ، بدخان بالغ الكثافة يكفى لتحريك سعف النخيل الذى يشكل السقيفة ، وكذلك لتغطية الملابس برماد وفير من موريات النوشادر ، فليسوف نلمس بوضوح أنهم لا يحصلون الا على نسبة ضئيلة من الملح الذي يحويه السناج بالفعل . وبغسل السناج ، وتصعيد الرواسب التي تنتج عن تبخر هذا النفسول ، حصل المسيو لوروج ، فى تجربة قام

بها — للحقيقة — على نطاق ضيق ، على كمية من الملح تساوى نصف وزن السناج المغسول . ومن المحتمل نتيجة لذلك ، أن يصبح بالإمكان احداث تغييرات مفيدة على الاساليب المتبعة فى مصر .

وتقع أهم مصانع الملح فى المنصورة وبولاق ، وقد تابعنا تفاصيل هذا العمل فى هذا الموقع الأخير .

وينتج مصنع المنصورة سنويا ، وبه ستة أفران ، نحو ٦٠ الى ٧٠ قنطارا ، وقبل الحرب كان يباع كل مائتى رطل — أى كل قنطار — فى مقابل ١٠٠ بوظاقة من ذوات التسعين مدينى .

ويبلغ عدد العمال الذين يحصلون على أجور طويلة العام ستة عمال ، ويستخدم بالاضافة اليهم ، تبعا للحاجة من ١٥ الى ٢٠ عاملا يجوبون القرى لشراء وجمع السناج (*) .

(*) انظر الباب الثانى ، الفصل الثامن ، ص ٢٢٧ ، الزراعة والصناعات والحرف والتجارة من تأليف المسيو جيرار ، وهو المجلد الرابع من الترجمة العربية الكاملة لوصف مصر . (المترجم)

(٣)

صناعة ديدج ايجلود

بوديه ،

((العنوان الأصيل للدراسة هو : دراسة موجزة عن تجهيز
الجلود فى مصر ، تأليف بوديه ، كبير صيادلة جيش مصر ، وعضو
المجمع المصرى ، والحائز على وسام الشرف)) .

من المعروف أن فن تجهيز الجلود يعود إلى عصور ضاربة في القدم، وأن الناس في كل مكان، وحتى من قبل أن تخطر ببالهم فكرة غزل الكتان أو القطن أو القنب أو زغب الحيوانات لصنع المنسوجات منها، قد استخدموا الجلود كأردية لهم وفي عدد لا حصر له من الاستخدامات الأخرى.

كذلك، فنحن نعرف أن الناس منذ عصر موسى كانوا بالفعل يصبغون الجلود باللونين الأحمر والبنفسجي، كما نعرف أن مكتبة برجام (*) في عهد آل أومينوس (***) Eumènes كانت تفص بالكتب المؤلفة عن جنود الرقوق، ولا بد أن نستنتج من ذلك أن الفن الذي يهتم باعداد الجلود، كان في ذلك العصر متقدما لدرجة بدأ البحث معها عن النافع والمناسب منه.

ومع ذلك فمئذ آلت مصر إلى أيدي المسلمين، نكص هذا الفن إلى طور الطفولة، حيث تضاعل في هذه الأيام إلى مجرد أساليب بدائية ظلت على قيد الحياة بفعل التقليد، باعتبارها تراثا موروثا، تنفذ بشكل رديء بالغ الخشونة، وان كانت هذه الصناعة مع ذلك تنهض على أسس نفس المبادئ والتي نعمل نحن على أساسها، والتي طورتها أوربا، وبالإمكان أن نتعرف على ذلك إذا القينا نظرة عابرة على أساليب المصريين وكذلك على أساليبنا (1).

(*) مدينة ايطالية تقع في سهل لباردي (المترجم) .

(**) وهم ملوك برجام وقد حكم أومينوس الأول من ٢٦٣ إلى ٢٤١ ق.م. والثاني من ١٩٧ إلى ١٥٩ ق.م. وكان متحالفا مع الرومان (المترجم) .

(1) قد يكون بمقدورنا أن نظن أن هؤلاء الذين اخترعوا فن الأصل أساليب فن الدباغة كانوا يعرفون، قدر ما نعرف، طبيعة جلد الحيوانات، كما كانوا يعرفون كذلك مثلما نعرف، أن العصارة اللمفاوية التي يكون الجلد متشربا بها، بخلاف الدم، تتكون من مادتين متميزتين لا بد أن نستخلص (أو نستبعد) أحدهما، وهي جيلاتينية صرف، أما الأخرى، وهي نسيج ليفي غير قابل للذوبان في المياه، فلا بد لها، في نفس الوقت أن تحصل في جزء كبير منها على تغيير لتصبح كما نقول نحن شائطة ومنكمشة ومتهيجة، لتتحد بعد ذلك بالمادة الدابغة.

فن الدباغة

يعنى دبغ الجلود عند المصريين ، كما يعنى عندنا ، أن نشبعها بعنصر يسمى tannin (*) ، وتوجد هذه فى النباتات الخضراء (وتسمى القابضة ، أى التى تجعل انسجة الجلد تنقبض ، فيقل الإفراز أو النزف) وباتحاد هذا العنصر مع الألياف التى تشكل نسيج الجلود ، فإنه يجعلها تتخذ حالة نصف هيلاتينية ، بحيث ينتج عن ذلك جسم جديد أشد صلابة ، وأكثر مرونة (غير قابل للكسر) وأقل قابلية لنفاذ المياه منه ، كما يكاد يكون غير قابل للتلف .

وقبل أن ندبغ الجلود يقتضى الأمر أن نغسلها أولا ، ثم نكشطها ، أما لكى ننتج ما نطلق عليه فى أوربا اسم الجلود الكثيفة أو السميقة ، فلا بد أن نقوم بنفخها .

وفى مصر ، كما فى كل البلاد ، تعنى العملية الأولى (وهى الغسيل) أن نغمر الجلود وأن ننقعها وأن ندوسها وهى فى مياه جارئة ، وأن نجعلها ترشح وأن نبسطها فوق حامل ثم نغسلها مرة أخيرة حتى نتخلص تماما من وشلها (أو نضحها) ومن دمائها ، ومن الوساخات التى تراكمت عليها فى الزرائب أو فى المذبح حتى تصبح متشبعة بالماء .

أما العملية الثانية ، وهى الكشط ، فتقتصر فى مصر على واحدة من خطوات عدة تلجأ إليها أوربا ، ويتم بمقتضاها وضع الجلود فى محلول الجير حتى يمكن انتزاع زغبها (أو شعرها) بسهولة ، وحتى يمكن للعامل أن يزيله ، بينما تكون الجلود معلقة على الحامل ، بواسطة سكين دائرية الشكل ، لكنها غير قاطعة .

وتكتفى أوربا بطريقة الكشط بالجير بالنسبة لجلود البقر والعجول ، وهى الجلود التى تخصص لتصبح جلودا خشنة ، ويكتفى بها فى مصر كذلك بالنسبة لجلود الجاموس والثيران ، ذلك أن المصريين كما هو معروف لايسعون أبدا لكى يصنعوا من جلود هذه الحيوانات جلودا سميقة أو كثيفة . أما فى أوربا ، حيث يرغب الناس فى مثل هذه الجلود ، وفى أحسن شكل

(*) وهى مادة قابضة تؤخذ من قشر البلوط أو العنصه أو غيرها ومنها جاءت كلمات tanner و tanneur و tannée بمعنى يدبغ ودابغ ونزل المادة الدابغة المخ (المترجم) .

ممکن ، فانهم يفضلون ، للوصول بالجلود الى هذه الدرجة من الجودة ، كشط جلود الحيوانات الكبيرة وذلك بعد أن يغمروها فى سوائل لاذعة مثل منقوع الشعير أو مصل اللبن أو عصير الدباغة أو فى الناتج المائى والحمضى لتقطير الفحم الحجري والترب (*) أو فى ماء أذيب به بعض من حمض الكبريتيك ، أو بعد تعريضها لدرجة معينة من التخمر ، ويتم ذلك بطيها وقد رشت بالملح أو بدفنها فى الزباله والفضلات الحيوانية أو بحبسها فى قبو ، تتعرض وهى فى داخله لئثار ناتجة عن احتراق ثفل الدباغة تكون نصف جافة ونصف رطبة ، وتنتج درجة حرارة تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ ° وتحدث دخانا مشبعا بالبخر يخترق مسام الجلود ، ويتخللها ويجعل شعرها أقل التحاما بها ، وذلك بدون أن يتلفها أو يؤثر فيها هى لأكثر مما ينبغى .

وعندما تتم عملية السمط (ازالة الشعر) بواحدة من هذه الطرق ، تغسل الجلود وتكشط (أى تزال اللحوم العالقة بها) ، وعندئذ ، وهذا هو ما يحدث فى مصر ، تصبح الجلود ، بكل أنواعها ، معدة للذبح ، فى حين نظل الجلود ، التى تخصصها أوربا لانتاج ما يسمى بالجلود الكثيفة أو السميقة ، فى حاجة لأن تمر بعملية ثالثة تسمى بعملية النفخ ، وتحدث هذه إما بواسطة الجير ، اذا كان الكشط قد تم بهذه الوسيلة (أى باستخدام محلول الجير) ، وإما بأية وسيلة من تلك التى اتبعت لتنفيذ عملية الكشط ، اذا يمتلك الدباغون فى هذه البلاد ، لهذا الغرض حفرات جير يسمونها المثلثة Pleins أو ادواضا. توضع بها المحاليل اللاذعة أو الحمضية ، تتنوع درجات قوتها (أو مفعولها) ، يمررون فيها على التوالى تلك الجلود الى أن تكتسب درجة الانبساط أو التمدد المناسبة .

وتوجد لدى الأوربيين ثلاث طرق رئيسية يلجئون اليها فى عملية الدباغة ، فاما أن يبسطوا الجلود « على الناشف » داخل حفرات ، فوق طبقة من لحاء البلوط تحولت الى مسحوق بواسطة الرحى ، وأن يجددوا ذلك ثلاث مرات خلال ١٥ الى ١٨ شهرا ، مختصرين مع ذلك ، وفى بعض الأحيان هذه العملية ، فيعمد بعضهم الى تسريب قليل من الماء شيئا

(*) وهو تراب عضوى قابل للاشتعال ، يتكون من التحلل البطيء لبعض النباتات الطحلبية .

فشيئا داخل هذه الحفرات ، فى حين يعمد آخرون ، يريدون أن يوفروا على أنفسهم فى الوقت نفسه مشقة اتلاف الحفرات حين يستبدلون بالماء محاولات من الدبغة بالكمية التى كان من الممكن أن يستخدموها ، الى تقديم (استخدام) القشرة الثانية والثالثة من (لحاء الباط) بشكلها الطبيعى (بدون تحويلها الى مسحوق) .

واما انهم يخيطنون الجلود بشكل تتحول معه الى اجولة يملؤها بالماء والمادة الدابغة ، ثم يغمسونها فى أحواض تحتوى كذلك على كمية من المادة الدابغة المذابة ، وتستغرق هذه الطريقة ، والتي يسمونها Chippage (*) مدة شهرين .

واما انهم — أخيرا — يدبغون جلود الأبقار فى خلال بضعة أيام ، وجلود الضأن فى خلال بضع ساعات وذلك بأن يغمسوها منعزلة (أى كل جلد بمفرده) فى حوض يحوى محلولاً قويا من المادة الدابغة .

لكن المصريين ليست لديهم سوى وسيلة وحيدة لدبغ جلود الثيران والأبقار والجمال والجاموس والماعز الخ ، يبدأونها بتغطية الجلود وهى لينة ، ممطوطة ومكشوفة ، بخليط من الملح ومسحوق حبات الخردل والسنت ، ثم بعد ذلك توضع ، وتنفض ، وتداس أو تهرس لعدد من الأيام تزيد أو تنقص تبعا لحجم الجلود وسمكها ، ويتم ذلك كله فى ماء انيبيت فيه كمية مناسبة من نفس هذه المساحيق الملحية والقابضة .

وعندما تخرج الجلود من أحواض النقع هذه ، تبسط وتجفف ، ويدخل بعضها وهو ما يزال على هذه الحالة فى طور الاستعمال ، فى حين يمر بعضها الآخر بعملية التطرية أو التليين .

(*) الفعل Chiper فى اللغة الفرنسية يعنى خطف أو دبغ ، لذلك فقد يعنى هذا اللفظ الدباغة الخاطفة : (المترجم)

فن تطرية او تلبين الجلود

وتعنى هذه الخطوة اعطاء المرونة للجلود التى جعلتها عملية الدباغة يابسة ، وتمر كل الجلود التى تخضع لهذه العملية بين يدي « المطزى » ، وهو يعدها لهذا الامر عن طريق تجهيزات مختلفة تتناسب مع الأغراض التى ستستخدم فيها هذه الجلود .

ولنأخذ جلود البقر على سبيل المثال ، ان العامل يعيد لهذه الجلود رخاوتها عن طريق مياه يسمى لأن تتشربها مع وطئه الجلود وعركها بالأقدام ، ثم يعلقها فوق حمالة ويكشطها ويسوى حوافها ، ثم يجففها ويبسطها على نضد ، ويصب فوقها من ناحية الباطن (أو اللحم) زيتا يدللكه بيده ، ويفعل نفس الشيء من ناحية الوجه (أو الشعر) وان كان مايضعه هنا من زيت أقل كثيرا مما وضعه فى الناحية الأخرى ، ثم يعلق هذه الجلود حتى تتشرب هذا الزيت وبعد ذلك يدهسه ثم يفمره بالزيت من جديد ثم يدهسه أو يطؤه مرة أخرى ، ثم يزيل هذه الشحوم بواسطة محلول خفيف (غير مركز) من النطرون ، يضعها على وجه الجلد (أى الجهة التى بها الشعر) ، وذلك بقصد اعداده لكى يأخذ اللون الأسود ، الذى يمنحه اياه على مرتين ، بواسطة محلول يتكون من اترية حمض الكبريتيك ومسحوق ثمار السنط ، داهسا الجلد فى كل مرة ، وبعد ذلك يعالج عيوبه ثم يضع طبقة من الزيت على وجهه .

أما الجلود المستعملة فى سن أمواس الحلاق المصرى فتصنع من سيور من جلود الثيران أو الجاموس ، المدبوغة والتى تلبين بعد ذلك فى الزيت ، وتنقع هذه السيور لمدة ثمانية أيام فى زيت الكتان ، ثم لمدة ثمانية أيام أخرى فى زيت الزيتون ، ثم تداس بالأقدام ، وتلف حول نضد كى تكتسب المرونة المطلوبة ولكى تتشبع بالزيت .

لكننا نجهل ما ان كان هذا الصانع يستخدم فى بعض الأحيان ، بدلا من الزيت ، الودك (شحم الأمعاء) أو الشمع ، اذا ما أراد اعداد الجلود الناعمة أو المصقولة التى يحتفظ لها بلونها الأصهب — ان كان حقا يعرف ذلك ، وما ان كان يعطى لجلود الأبقار والعجول ، مثلما يفعل دباغونا ، اللون الأحمر ، مقتريا من نفس أساليبنا وخطواتنا ، وذلك بأن يعالج

هذه الجلود بالشببة ، فى الحالة التى تكون عليها عند صبغتها باللون الأسود ، ثم بأن يدوسها وهى فوق طبقة الشببة ثم بأن يصبغها بخلاصة خشب البرازيل أو خشب الفرنامبوك موضوعة فى مياه الجير ، ثم بأن يجففها وأن يصقلها قبل وبعد غمرها بالزيت ، وبعد ذلك بأن يضع على المصفاة تلك الجلود التى يريد أن يكون الحبوب على وجهها (يجعلها محببة) ، ومع ذلك فليس العامل المصرى هو الذى يجهز الجلود التى تصنع منها ، فى مصر ، القرب التى تستخدم هناك اما لحمل مياه النيل الى بيوت الأهلىين ، واما لنقلها خلال الاسفار على ظهور الجمال ، واما لاحتواء العسل الأسود القادم من الصعيد ، وكذلك الزبد وزيت الزيتون والعسل الأبيض ، أى هذه السلع القادمة من تونس ومن مدن أخرى فى بلاد البربر ، اذ تصنع هذه الجلود فى مكة وجدة ، ولا يفعل المصريون سوى أن يخطوها ليصنعوا منها قربهم ، أما القرب بالغة الضخامة ، التى لابد من حملها فوق ظهور الجمال ، فتصنع من جلود الثيران ، وتستخدم فى صنع القرب الأقل حجما جلود الماعز والتبوس ، وتحتاج هذه وتلك ، كى تعمر طويلا لأن تمرا كل عام مرتين على الأقل ، بالعملية الآتية :

عندما يلاحظ أحد السقائين أن قربته قد اعترها الانهاك ، فإنه يعلقها مع ابقاء فمها مفتوحا ، فتجف ، وعندئذ يدخل فيها خليطا من القطران وزيت الزيتون ، يبسطه بعناية بيده فوق نصف سطحها ، من داخلها ، ثم يقارب بين نصفيها ويدوسهما معا كى يتخللها هذا الخليط ، ثم تترك هذه القربة فى النهاية معرضة للشمس والهواء حتى تنتشر كل القطران الذى اعطى لها ولدرجة لانتلوث معها الأصابع بالقطران عند لمسها .

وتعمر قربة ما ، بهذه الوسيلة ، نحو خمس الى ست سنوات ، مع استعمالها يوميا .

وتوجد لدى المصريين كذلك ، بقصد اختزان الماء ، أنية صنعت بدرجة لا بأس بها من الحدق ، حتى أننا ظنناها ، دون أن نستطيع التأكد من ذلك ، مماثلة لانية صناع الأعمدة لدينا ، وتصنع هذه الانية من جلد مغلى فى الشمع ، وان كان ذلك يتم بقدر أقل من العناية ، برغم هذا .

ولدى المصريين كذلك جرار تكاد تكون من نفس الجلد ، لكنها صنعت على نحو خشن بعض الشيء ، وبستخدمها تجار الزيوت لاحتواء الزيت الذى يبيعهونه بالقطاعى .

فن صناعة جلود السختيان (*)

يصنع المصريون الجلود التى يخصصونها لصنع مايسميه الناس « بالزكوب » بأكبر قدر من العناية والحذق ، وهذه هى جلود التيوس والخراف والماعز .

وتمر هذه الجلود على التوالى ، بعد معالجتها بالجير ، وبعد أن تكشط وتشذب بأحواض مليئة بالمياه كى تغمس فيها ثم تغسل وتداس بالأقدام ، وبعد ذلك تكشط وتغسل ، ثم يكشط وجهها بشكل عكسى ، وتداس بالأقدام ، ويسوى وجهها باتقان ثم تعلق كى يتساقط ما بها من ماء .

وبعد ذلك ، ولكى تتم تطرية الجلد ومطه بعد ان ايبسه الجير بعض الشيء ، يوضع فى نقيع مغلى من زبل الحمام حيث يدلك به بقوة ، وحيث يترك لعدة ساعات ، ومن ثم يغمس ، الواحد بعد الآخر فى محلول من نقيع العفصة ومسحوق ثمار السنط ، وبعد أن يترك منقوعا فى هذا المحلول لمدة تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ ساعة ، يداس بالأقدام لمدة ساعتين .

جلد السختيان الأحمر

عند اخراج الجلود التى يراد اعطاؤها اللون الأحمر من النقيع الذى استخدم فى دباغتها ، توضع لمدة يومين فى عقد من النخالة ، وبعد غسلها ، تمر بنقيع التين حيث تترك لتعطن وتظل منقوعة لمدة اربع وعشرين ساعة ، وفى نهاية هذه المدة ، يغسل كل جلد ثم يرش بالملح ، ثم يكدسونها لعدة ايام ، فاذا ما استشعرت أية بادرة تخمر فانهم يوقفونها بالقساء الجلود فى الماء ثم يغسلونها لسبع أو ثمانى مرات مختلفة ، وفى كل مرة تستخدم

(*) وهى جلود الماعز مدبوغة وملونة (المترجم) .

مياه جديدة ، ثم تبرم الجلود (تصنع منها لفافة) وتبسط ، ثم تدهن ثلاث مرات بواسطة قطعة من الاسفنج أو كرة من القطن ، على وجهها باللون الأحمر المعد من القرمزية والشببة .

وبعد أن تصبغ الجلود على هذا النحو ، تغسل ، وتبرم ، ثم توضع فى نقيع قابض ، مكوناته هى مكونات النقيع الذى استخدم عند بدء عملية الدبغ ، وبعد أن تمكث الجلود بهذا النقيع وقتا كافيا (١) ، يغسلونها ثم يبسطونها ، وبعد ذلك يدلكون مسطحها (من ناحية الشعر) بيد مندأة بزيت السمسم ، حتى تصبح لامعة ومصقولة .

جلد السخيتان الأصفر

لا تمر الجلود المخصصة لى تصبغ باللون الأصفر قط بنقيع النخالة والتين والملح ، ولكنها توضع مباشرة ، بعد عملية الدباغة الاولى ، فى نقيع ثان ، ومن هناك ، وبعد أن تغسل وتداس وتبرم أو تلف وتجفف بشكل جزئى ، تبسط لتحصل على طبقتين من صباغة صفراء تصنع من سائل هوخلبط من حبوب Avignon والشببة المصحونة ، ولا بد أن يحرص العامل عند طبقة من الصبغة أن يطوى الجلد وجها لوجه وأن تصف الجلود على هيئة أكوام حتى يتوغل فيها اللون ، وبعد ذلك تجفف الجلود وتسوى من الداخل (من جهة اللحم) ، ثم تصقل من ناحية الوجه بواسطة العصا .

السختيان الأخضر

يحرص صانع جلود السختيان المصرية على اخفاء نر اعداد اللون الأخضر ، لكننا نظن أن هذا اللون (أو هذه الصبغة) ليست سوى محلول الجنزار (صدا النحاس) مذاب فى مياه حمضية بسبب مابها من درديات حمض البوتاسيوم ، وربما أضيف الى ذاك قليل من صبغة النيل .

(١) يكتسب جلد السخيتان ، فى هذه النقطة الثانية الحبوب التى تصنع جماله الخاص والتى ليست سوى أثر من فعل (الكرمشة) التى تعترى بشرة أو أدمة هذا الجلد .

السختيان الأسود

يصبغ السختيان باللون الأسود بعد أن يمر بعملية النقع الأولى ، وذلك بخليط من اتربة أملاح حمضية (سلفات الحديد والنحاس وحامض الكبريتيك) ، يطلق عليها بلغة أهل البلاد اسم جاز ، بالاضيفه الى العفصة أو ثمرات السنط على شكل مسحوق ، وتكفى طبقة واحدة ، لذلك فلا بد أن يغسل الجلد على الفور خشية أن يحترق بالصبغة ، وعندما يصبح الجلد جافا ، يدلك وجهه بزيت الكتان (١) .

فن تجهيز الجلود على الطريقة الهنجرية (المجرية)

يقوم الصانع هنا بصنع جلد متين دون أن يلجأ فى اعداده لا الى ماء الجير ولا الى المحلولات أو السوائل اللاذعة أو الحمضية ، ولا الى المادة القابضة (العفصة أو لحاء البلوط) ، وقد يحل الشبة والملح محل المادة الأخيرة ، ويمزج بهذا الجلد كمية هائلة من الودك أى شحم الأمعاء .

أما الأساليب التى تتبع فى هذا الفن فمجهولة تماما فى مصر ، اللهم الا اذا كانت الطريقة التالية تقدم لنا شيئا من التماثل مع هذه الأساليب .

يؤخذ جلد عجل وهو طازج ، ويبسط بحيث يكون الشعر الى أسفل ، ويوضع فوق ارض متربة لأحد الأفنية أو أحد الشوارع (٢) ، ويغطى الجلد بمزيج يتكون من نسب متساوية من الرماد وموريات الصودا منفصلة عن ملح البارود ، ولتأكيد وتسهيل ذوبان أملاح هذا المزيج واختراقه للجلد ، ولكى يكتسب الجلد فى الوقت نفسه نوعا من المرونة ، توطأ الجلود بالأقدام فى البداية ، ثم تترك معرضة للشمس ، ولضغط أقدام المارة وهم يعبرون .

وعندما ينفذ المزيج الذى يغطى الجلود أو يتبعثر ، فإنهم يجددونه ،

(١) يقال انهم فى الشرق يستخدمون نبات الرلول ذا الأوراق آسية الشكل (وهو الريحان الشامى) Coriaria فى دبغ الجلود وصبغها باللون الأسود ، كما يقال بأن الجلود تدين لهذا النبات بخاصية تفوقها ، وان كنا لم نعرف قط ان هذا النبات ينتشر استعماله فى مصر .

(٢) ليست الارصفة ولا الأفنية مرصوفة فى مصر (أى أنها كلها متربة)

وحيث يصبح الجلد بالغ الجفاف ، يستخدم ، وهو محتفظ بشعره ، كدواسات فى المدارس او المساجد (١) .

فن صناعة الرقوق

تتخصص الوسيلة المتبعة عادة فى صنع الرقوق فى وضع سائل كثيف من الجير المغلى عشية القيام بهذه العملية ، على الجلد وهو منبسط ، ثم يتم انتزاع الشعر منه بعد ساعتين من استمرار وجود الجير عليه ، وبعد ذلك يقلب لمدة ساعتين فى ماء الجير ، ويغسل جيدا ثم يبسط فوق سقيفة ، وبعد ذلك كله يكشط (لانتزاع اللحم والعروق) بعد رشه بجير مصبوغ ، ثم يغسل وهو فى مكانه بواسطة قطعة من الاسفنج ، ثم يجفف على الفور ، وبسرعة ، ثم يؤخذ كل جلد بمفرده لسكى ينتزع لحاؤه او سطحه الخارجى بواسطة حديدة قاطعة ، وفى النهاية يصقل وتحدد علامات يتم القطع عندها ، وبعد ذلك يتم تسيخه لتصنع منه الاوراق .

ويحتمل الا يكون المصريون يتبعون هذا الاسلوب بتمامه ، وبطريقة تمكنهم من التزود بالرقوق الجميلة التى يستخدمونها فى الكتابة ، بل يحتمل انهم لا يصنعون الرقوق التى يستخدمونها فى هذا الغرض وان كان من المؤكد انهم يصنعون الرقوق الشائمة ، وتستخدم انواع كثيرة من الجلود ، مثل جلود الخيل والحمير من اجل صنع الطبول الضخمة التى تحمل على ظهور الجمال . كما تستخدم جلود الماعز والايائل السمراء لصنع الطبول الصغيرة ، وقد رايهاهم يصنعون اغطية غمد سيوفهم وخنجرهم على شكل رق وليس فى هيئة جلود محببة (٢) ، ويصنعون ذلك من جلود ارداف الحمير ، وهم يصبغونها بعد تحبيبها بواسطة

(١) لهذا الاعداد المتبع فى مصر بالنسبة لجلود الثيران بعض شسبه بالاعداد الذى يتم عندنا بالنسبة لجلود العجول المستخدمة فى صنع حقائب الظهر او حقائب الشغل والتى نسميها العجول ذات الشعر **Veaux à Poils** . اذ تصفى دماء هذه الجلود ثم تكشط ، وتداس فى الشبة والملح البحرى مرتين مختلفتين ، وبعد ذلك توضع فوق حامل لتفتح وهى نصف جافة بواسطة السكين المستديرة .

(٢) الجلود المحببة هى نفسها الجلود المرشوشة بمسحوق خبواب الخردل بشكل خفيف .

مثقاب ينتهى طرفه بنقرة صغيرة ، كما أن غرابيلهم (١) تصنع من سيور
رق مصنوع من جلود الجمال والبغال ، كذلك شاهدناهم فى النهاية
يستخدمون فى أغراض عدة نوعا من الرقوق يعرفون كيف يعطونه لونا
أخضر بالغ الجمال وبالغ الثبات فى الوقت نفسه .

فن دباغة الجلود الرقيقة

لا يقدم هذا الفن ، بالطريقة التى يتم بها فى مصر أى فرق (١) عن
الدباغة كما وصفناها (اللهم فى أنه أكثر تطورا ، وهم هناك يعدون
الجلود للكثب ، على نحو قريب مما نفعل نحن فى أوربا ، ثم يملونه
ويطرونه بواسطة معجون النخالة ، وبعد ذلك يمررونه فى محلول الشببة،
ويبيضونه عن طريق وضعه فى سائل مغلّى يتكون من دقيق الحنطة وصفار
البيض وجزء من محلول الشببة الذى لم يتشربه الجلد ، ثم يجففونه
ويشدونه .

أما الجلود التى يراد لها أن تظل بوبرها أو صوفها فتغسل ، وتسوى
حوافها ، وتكثب ، وتوضع فى عجينة النخالة ، ثم تلتخ بالطين
وتشعب ، وتغطى من ناحية اللحم بعجينة من الدقيق والشببة وصفار
البيض ، وتغسل ، وتبسط ، وتجفف ، ثم تبلل ، وبعد ذلك تطوى طية
واحدة ، وترص بعضها فوق بعض ، وتحمل بالأحجار (كثقالات) ثم
تفتح لتوضع فوق حمالة ، وتسوى مرة أخرى ، وتجفف بحيث يكون الصوف
هو المعرض للهواء ، وأخيرا تشذب .

ويمكن أن نعد جلود الكلاب من بين تلك التى يعدها المصريون
بشعرها ، وهم هنا يسلخون الحيوان ، مع الاحتفاظ بالجلد كاملا ، كما
نفعل نحن بجلود الأرانب ، ومع ذلك فحيث أننا لم نر هذا الجلد قط
وهو مجهز ، وحيث أننا نعرف أنه يتخذ شكل الحقيبة ، وأنهم يستخدمونه ،
فى شكله هذا ، فى احتواء الزئبق ، فأننا نرجح أنهم ، بعد أن يشببوه

(١) وهى ليست مثقوبة مثل الغرابيل لدينا بواسطة مجوب (كسرة
فسكون مفتحة) ، وهو أداة لانتزاع قطع (صغيرة) من المعادن والجلود
.. الخ .

(اى يعالجونه بالشبة) على طريقة المرط (**) ، يربطونه بالزيت بنفس الاسلوب المستخدم فى صنع الجلود الشموازيه .

ملخص

يتضح مما قلناه عن مختلف تجهيزات الجلود فى مصر :

١. — أن المصريين يستخدمون الماء ، ليس فقط لغسل الجلود ، وانما كذلك للتخلص من الألياف التى تدخل فى تكوينها ، وكذلك لكى يخلصوا هذه الجلود من السوائل الحيوانية القابلة للتعفن ، التى هى مترعة بها .

٢. — وانهم يجعلون هذا الماء اكثر فاعلية واشد نفاذا عن طريق اضافة الجير الذى يعرفون ماله من خاصية فى منع تعفن الجزء اللينى ، وفى اكساب الماء صفات تنسبها الى ماؤدى اليه الجير بن فقد الماء لسا به من أوكسجين .

٣. — وانهم بعد أن يفسلوا ويمطوا ويكشطوا الجلود ، يعرفون على نحو قريب مما نعرف كيف يجعلونها يابسة اما بواسطة المادة الدابغة او عن طريق الشبة والملح بل كذلك بمجرد عملية تجفيف بسيطة ، وانهم يعرفون كيف يكسبونها الرونة اما باتباع اسلوب الدوس واما بأن يدمجوا بها الشحوم ، كما أنهم فى النهاية يعرفون كيف يصبغونها .

(**) اى دبغ الجلود بالأملاح المعدنية (المترجم) .

كتب أخرى للمترجم

أولاً : فى مجال الأدب :

- ١- المطاردون (مجموعة قصص قصيرة) .
 - ٢ - حكايات من عالم الحيوان .
 - ٣ - المصيدة (مجموعة قصص قصيرة) .
 - ٤ - موتى بلا قبور (مسرحية تأليف جان بول سارتر) .
 - ٥ - السماء تمطر ماء جافا . .
- (رواية تسجيلية تتناول وقائع الوحدة المصرية السورية وانفصالها) .

ثانيا : فى مجال التاريخ :

- ١ - تطور مصر من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٠ . تأليف مارسيل كولب .
- ٢ - فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية . تأليف أندريه ريمون .

ثالثا : الترجمة العربية الكاملة لموسوعة وصف مصر

تأليف علماء الحملة الفرنسية .

- ١ - المصريون المحدثون .
- ٢ - العرب فى ريف مصر وصحراواتها .
- ٣ - دراسات عن المدن والأقاليم المصرية .
- ٤ - الزراعة ، الصناعات والحرف ، التجارة .
- ٥ - النظام المالى والإدارى فى مصر العثمانية .

- ٦ - الموازين والنقود .
- ٧ - الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين .
- ٨ - الموسيقى والغناء عند المصريين المحدثين .
- ٩ - الآلات الموسيقية المستخدمة عند المصريين المحدثين .
- ١٠ - مدينة القاهرة - الخطوط العربية على عمائر القاهرة .

رابعاً : لوحات موسوعة وصف مصر :

- ١ - المجلد الأول والثاني للوحات الدولة الحديثة .
- ٢ - المجلد الأول من لوحات الدولة القديمة .

خامساً : من موسوعة وصف مصر :

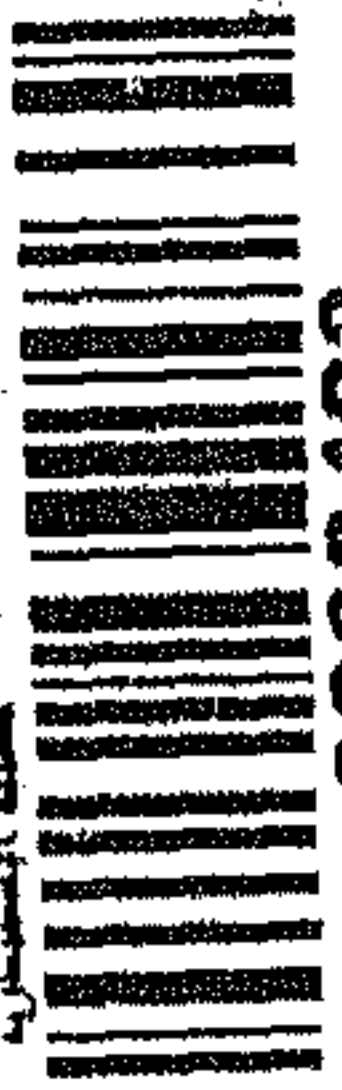
(دراسات مختارة من الموسوعة فى كتيبات)

- ١ - كيف خرج اليهود من مصر القديمة .
- ٢ - مدينة الإسكندرية .
- ٣ - مدينة رشيد .

تحت الطبع

- مقياس الروضة .
- القاهرة المملوكية .
- بقية مجلدات لوحات موسوعة وصف مصر .
- بقية الدراسات المختارة من موسوعة وصف مصر .

Bibliotheca Alexandrina



0232423

